Abū al-ʿAlāʾ, al-Maʿarrī

Risālat al-ghufrān

رسالة الغفران

وهي الرسالة التي كتبها ابو العلآء المعري الى الشيخ المحدث
علي بن منصور الاريب الحلبي المعروف
بابن القارح

نُقلت عن نسختين خطيَّتين من أصح النُّسَخ واضبطها
وقد صححها ووقف على طبعها العالم اللغوي الشهير
الشيخ ابرهيم اليازجي

الطبعة الاولى

على نفقة



مطبعة هنديه بشارع المهدي بالازبكيه بمصر

سنة ١٣٢١ — ١٩٠٣

﴿ ترجمة ابن القارح ﴾

هو الذي ألف هذا الكتاب جواباً لهُ عن رسالتهِ المعروفة باسمهِ وهو عليّ بن منصور بن طالب الحلبيّ الملقب بدوخلة ويعرف بابن القارح ويكنى أبا الحسن * قال ابن عبد الرحيم هو شيخ من أهل الادب شاهدناهُ ببغداد راويةً للاخبار حافظاً لقطعة كبيرة من اللغة والاشعار قؤوماً بالنحو وكان ممن خدم أبا علي الفارسيّ في دارهِ وهو صبيّ ثم لازمهُ وقرأ عليهِ على زعمهِ جميع كتبهِ وسماعاتهِ • وكانت معيشتهُ التعليم بالشام ومصر وكان يحكي انهُ كان مؤدباً لابي القاسم المغربي الذي وزر ببغداد لقاهُ الله سيئ افعالهِ • كذا قال ولهُ فيه هجوٌ كثير وكان يذمهُ ويعدد معايبهُ • قال ابن عبد الرحيم وشعرهُ يجري مجرى شعر المعلمين قليل الحلاوة خال من الطلاوة وكان آخر عهدي بهِ بتكريت في سنة احدى وعشرين واربعمائة فانّا كنا مقيمين بها واجتاز بنا واقام عندنا مدةً ثم توجه الى الموصل فبلغتني وفاتهُ من بعد • وكان يذكر ان مولدهُ بحلب سنة احدى وخمسين وثلاثمائة ولم يتزوج ولا اعقب وجميع ما أوردهُ من شعرهِ فما انشدنيهِ لنفسهِ فنهُ في الشمعة

لقد أشبهتني شمعةٌ في صبابتي * وفي طول ما ألقى وما اتوقعُ
نحولٌ وحرقٌ في فناء ووحدةٍ * وتسهيدُ عينٍ واصفرارٌ وادمعُ

ومنهُ في هجو المغربي

لُقّبتَ بالكامل ستراً على * نقصك كالباني على الخُصِّ
فصرتَ كالكُنُفِ اذا شُيّدَت * يُبّضَ اعلاهنّ بالجصِّ
يا عُرَّةَ الدنيا بلا غرةٍ * ويا طُوَيس الشؤم والحرصِ
قتلتَ اهليك وانهبت بيت م الله بالموصل تستعصي

وكان بينهُ وبين الكسرويّ مهاترةٌ ومهاجاة فمن قوله فيهِ

اذا الكسرويُ بدا مقبلاً * وفي يدهِ ذيل دُرّاعتهْ
وقدلبس العُجبَ مستنوكاً * يتيـه ويختال في مشيتهْ
فـلا يمنعنّـك بأواؤهُ * ضراطاً يقعقع في لحيتهْ

ولهُ

للصيمريّ دقيق الفكر في اللقمِ * يقول كم عندكم لونٌ وكم وكمِ
يسعى الى من يرى اكثارهُ وكذا * يراهُ ذاكَ وما هذاكَ من عدمِ
يلقى الوعيد بما يلقى الحشوش بهِ * وذاكَ والله بخلٌ ليس بالامَمِ

قال وحدثني قال كنت اؤدب ولدَي الحسين بن جوهر القائد بمصر وكانا مختصين بالحاكم وانيسين به فعملت قصيدةً وسألت المسمى منهما جعفراً وكان من أحسن الناس وجهاً ويقال ان الحاكم يميــل اليه ان يوصلها اليه ففعل وعرضها عليه فقال من هذا فقال مؤدبي قال يعطى الف دينار • قال واتفق ان المعروف بابن مقشر الطبيب كان حاضراً فقال لا تتقلوا على خزائن أمير المؤمنين يكفيهِ النصف فأعطيت خمسمائة دينار وحدثني ابن جوهر بالحديث • وكانت القصيدة على وزن منهوكة أبي نواس أقول فيها

ان الزمان قد نضَر * بالحاكم الملك الأغر
في كفهِ عضبٌ ذكر * فقد عدا على القصَر
من غرَّهُ على غرر * يمضي كما يمضي القدر
في سرعة الطرف نظر * او السحاب المنهمر
بادَرَ انفاق البدَر * بدرٌ اذا لاح بهر

وهي طويلة • قال ابو عبيدالله الفقيراليهِ مؤلف الكتاب وعلي بن منصور هذا يعرف بابن القارح وهو الذي كتب الى أبي العلاء المعري الرسالة المعروفة برسالة ابن القارح فاجابهُ أبو العلاء برسالة الغفران وذكر اسمهُ فيها • انتهى من معجم الادباء المسمى بارشاد الالباء الى طبقات الادباء لمؤلفهِ ياقوت الحموي وكتبهُ لنفسهِ محمد محمود بن التلاميد التركزي لطف الله بهِ



بسم الله الرحمن الرحيم

أَللهمَّ يسِّر وأعِن

قد علم الحبر الذي نُسِبَ اليهِ حبريل * وهو في كل الخيرات سبيل * أن في مسكني حَماطةَ ما كانت قطُّ أفانِيه * ولا الناكزةُ بها غانيه * تثمر من مودّة مولاي الشيخ الجليل كَبَتَ الله عدوَّه * وأدام رَواحهُ الى الفضل وغدوَّه * ما لو حملتهُ العاديَّةُ من الشجر لدَنَت الى الارض غصونُها * وأُزيل من تلك الثمرة مَصُونُها * والحماطة ضربٌ من الشجر يقال لها اذا كانت رطبةً أفانية قال الشاعر

اذا أُمُّ الوُلَيِّدِ لم تُطعني * حَنَوْتُ لها يدي بعصا حماطِ
وقلت لها عليكِ بني أُقَيْشٍ * فانكِ غير معْجِبة الشّطاطِ

وتوصف الحماطة بإِلف الحيَّات لها قال الشاعر

أُتيحَ لها وكان أخا عيالٍ * شجاعٌ في الحماطة مستكنٌّ

وان الحماطة التي في مقرّي لَتجدُ من الشوق حماطة * ليست بالمصادِفة إِماطة * والحماطة حُرقة القلب قال الشاعر * وهمٍّ تملأُ الاحشاء منهُ * فاما الحماطة المبدوء بها فهي حبَّة القلب قال الشاعر

رَمَتْ حماطةَ قلبٍ غيرِ منصرفٍ * عنها بأسهُمِ لحظٍ لم تكن غَرَبا

وان في طِمري لحضْباً وُكِّلَ بأذاتي * لو نطق لذَكَر شَذاتي * ما هو بساكنٍ في الشِقاب * ولا بمتشرفٍ على النِقاب * ما ظهر في شتاءٍ ولا صيف * ولا مرَّ بجبلٍ ولا خيف * يُضمِر من محبة مولاي الشيخ الجليل ثبَّت الله أركان العلم بحياتهِ

ما لا تُضمِرهُ للولد أمٌّ * اكان سَمُّها يُذَكَر ام فُقِد عندها السمّ * وليس هذا الحضب مجانساً للذي عناهُ الراجز في قولهِ * وقد تطوّيتُ انطواء الحضب * وقد علم أدام الله جمال البراعة بسلامتهِ أن الحضب ضربٌ من الحيات وأنهُ يقال لحبة القلب حِضْب * وإنَّ في منزلي لَأَسْوَدَ هو أعزُّ عليَّ من عنترة على زبيبة * واكرم عندي من السُلَيك عند السُلَكة * وأحقُّ بايثاري من خُفافٍ السُلَميّ بخبايا نُدبة * وهو أبداً محجوب * لا تُجاب عنهُ الأغطية ولا يجوب * لو قَدَرَ لَسافر الى أن يلقاه * ولم يحد عن ذلك لشقاء يَشقاه * وانهُ اذ يُذْكَر * لَيؤنَّثُ في المنطق ويُذَكَّر * وما يُعلَم أنهُ حقيقيُّ التذكير * ولا تأنيثه المُعتَمد بنكير * لا أفتأ دائباً فيما رضي * على أنهُ لا مَدفعَ لما قُضِي * أُعظِمُهُ أكثر من إعظام لخمٍ الأَسْوَدَ بنَ المنذر * وكِندةَ الأَسْوَدَ بنَ معديكرب * وبني نهشل بنِ دارم الأَسْوَدَ بنَ يعفُرَ ذا المقال المُطرِب * ولا يبرح مُولَعاً بذكرهِ كايلاعِ سُحَيمٍ بعُمَيرة في مَحضَرهِ ومبداه * ونُصَيبٍ مولى أُميَّة بسُعداه * وقد كان مَثَلُهُ مع الأَسوَد بن زَمْعة والأَسوَد بن عبد يَغُوث والأَسوَدين اللذين ذكرهما اليشكريُّ في قولهِ

فهداهم بالاسوَدَينِ وأمرُ الله م بَلغٌ يُشقَى به الاشقياءُ

ومع أَسوَدان الذي هو نَبْهان بن عمرو بن الغوث بن طَيِّئٍ ومع أبي الاسود الذي ذكرهُ امرؤ القيس في قولهِ

وذلك من خبرٍ جاءني * ونُبِّئتُهُ عن أبي الأَسوَدِ

وما فارقهُ ابو الاسود الدُؤَليُّ في عمرهِ طرفةَ عين * في حال الراحة ولا الأَين * وقارَن سُوَيدَ بن أبي كاهل * يَرِدُ بهِ على المناهل * وحالَف سُوَيد بن الصامت * ما بين المبتهج والشامت * وساعَفَ سُوَيد بن صُمَيع * في أيام

الرُّتَب والرِّيَع * وسُوَيدٌ هذا هو الذي يقول

اذا طلبوا مني اليمين منحتهم * يميناً كبُرْد الأتحميّ الممزّقِ

وان أحلفوني بالطلاق أتيتها * على خير ما كُنّا ولم نتفرقِ

وان أحلفوني بالعَتاقِ فقد درى * عُبَيدٌ غلامي أنهُ غيرُ معتَقِ

وكان يألف فراش سَوْدة بنت زَمْعة بن قيس امرأة النبي صلى الله عليه وسلم ويعرف مكانهُ الرسول * ولا ينحرف عنهُ السُّول * ودخل الجَدَث مع سَوادة ابن عديّ * وما ذلك بزولٍ بَدِيّ * وحَضَرَ في نادٍ حضَرَهُ الأَسوَدان اللذان هما الهَنَمُ والماء * والحَرَّةُ الغابرة والظلماء * وانهُ لَينفِرُ عن الأَبيضَين * اذا كانا في الرَّهَج معرَّضَين * الابيضان اللذان ينفر منهما سيفان * او سيفٌ وسنان * ويَصبِر عليهما اذا وجدهما قال الراجز

الأَبيَضان أَبرَدا عظامي * الماءُ والفتُّ بلا إدامِ

ويرتاح اليهما في قول الآخر

ولكنهُ يمضي ليَ الحولُ كلُّهُ * وما ليَ الا الأَبيضَينِ شرابُ

فأما الابيضان اللذان هما شحمٌ وشباب * فانما تفرح بهما الرَّباب * وقد يُبتهج بهما عند غيري * فأما أنا فيَئسا من خيري * وكذلك الأَحامرة والاحمران * فانهُ يعجبُ لهما أسوَدُ ران * فيتبعهُ حليف سِتر * ما نزل بهِ حادثُ هِتر

وقد وصلت الرسالة التي بحرُها بالحِكَم مسجور * ومن قرأها لا شكَّ مأجور * اذ كانت تأمر بتقيُّل الشرع * وتعيب مَن ترَكَ أصلاً الى فرع * وغرِقتُ في امواج بِدَعها الزاخره * وعجبت من اتّساق عقودها الفاخره * ومثلها شفَع ونفَع * وقرَّبَ عند الله ورفَع * والفيتها مفتَتحةً بتمجيد * صدَر من بليغٍ مُجيد * وفي قدرة ربنا جلَّتْ عظَمتهُ أن يجعل كلَّ حرفٍ منها شبَحَ نور *

لا يمتزج بعقال الزُّور * يستغفرُ لمن أنشأها الى يوم الدين * ويذكرُهُ ذِكرَ محبٍّ خَدِين * ولعلَّهُ سبحانهُ قد نصَب لسطورها المُنجيةِ من اللَّهَب * معاريجَ من الفِضَّةِ او الذَّهَب * تَعرُجُ بها الملائكة من الارض الراكدة الى السماء * وتكشف سجوف الظلماء * بدليل الآية إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وهذه الكلمة الطيبة كأنها المعنيَّة بقولهِ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللّٰهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي ٱلسَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا * وفي تلك السطور كَلِمٌ كثير * كلُّهُ عند الباري تقدَّسَ أثير * وقد غُرِس لمولايَ الشيخ الجليل ان شاء الله بذلك الثناء * شجرٌ في الجَنَّة لذيذُ اجتناء * كلُّ شجرةٍ منهُ تأخذ ما بين المشرق الى المغرب بظلٍّ غاط * ليست في الأَعيُن كذات أنواط * وذات أنواط كما يعلم شجرةٌ كانوا يعظمونها في الجاهلية وقد رُوِي أن بعض الناس قال يا رسول الله اجعل لنا ذاتَ أنواطٍ كما لهم ذاتُ أنواط وقال بعض الشعراء

لنا المُهيمنُ يكفينا أعادِيَنا * كما رفضنا اليهِ ذاتَ أنواطِ

والوِلدانُ المخلَّدون في ظلال تلك الشجر قيامٌ وقعود * وبالمغفرةِ نِيلت السُّعود * يقولون والله القادر على كل شيءٍ عزيزٍ نحنُ وهذه الشجرُ صِلَةٌ من الله لعليِّ بن منصور * تُخبأُ لهُ الى نفخ الصور * وتجري في أصول ذلك الشجر أنهارٌ تختلَجُ من ماء الحيوان * والكوثرُ يمدُّها في كل أوان * مَن شرِبَ منها النُّغبة فلا موت * قد أمن هنالك الفوت * وسُعُدٌ من اللبن متخرِّقات * لا تُغَيَّرُ بان تطول الاوقات * وجعافرُ من الرحيق المختوم * عزَّ المقتدر على كل محتوم * تلك هي الراح الدائمه * لا الذميمة ولا الذائمه * بل هي كما قال علقمة مفتريا * ولم يكن لمفوٍ مقتريا

تشفي الصُداعَ ولا يؤذيهِ صالبُها * ولا يخالطُ منها الرأسَ تدويمُ

ويعمد اليها المغترف بكؤوسٍ من العسجد * وأباريقَ خُلقت من الزبرجد * ينظر منها الناظر الى بديّ * ما حلَمَ بهِ أبو الهنديّ * فلقد آثرَ رحمهُ الله شراب الفانية * ورَغِبَ في الدنيَّة الدانية * ولا ريب فانهُ يُروَى ديوانهُ وهو القائل

سيُغني أبا الهنديّ عن وَطب سالمٍ * أباريقُ لم يَعلَقْ بها وَضَرُ الزُّبْدِ

مفدَّمةً قزًّا كأنَّ رقابها * رقابُ بناتِ الماء افزعها الرعدُ

هكذا يُنشَد على الإقواء وبعضهم ينشد * رقابُ بنات الماء خافت من الرعدِ * والرواية الاولى انشاد النحويين * وأبو الهنديّ اسلاميٌّ واسمهُ عبد المؤمن بن عبد القدُّوس وهذان اسمان شرعيان . وما استُشهِد بهذا البيت الا وقائلهُ عند المستشهِد فصيح . فان كان ابو الهنديّ ممن كتب وعرف حروف المعجم فقد أساء في الإقواء وان كان بنى الابيات على السكون فقد صح قول سعيد بن مَسعَدة في ان الطويل من الشعر له اربعة أضرُب * ولو رأى تلك الاباريق ابو زيد * لَعلِمَ انهُ كالعبد الماهن او العُبيد * وانهُ ما تَشبَّبَ بخير * ورَضيَ بقليل المَير * وهَزِئَ بقولهِ

وأباريقُ مثلُ أعناق طير ال * ماءِ قد جِيبَ فوقهنَّ خنيفُ

هيهات هذه أباريق * تحملها أباريق * كأنها في الحسن الاباريق * فالأولى هي الأباريق المعروفة والثانية من قولهم جاريةٌ ابريق اذا كانت تبرق من حسنها قال الشاعر

وغيداءَ إبريقٍ كأنَّ رُضابَها * جنى النحل ممزوجاً بصهباء تاجرِ

والثالثة من قولهم سيفٌ إبريق مأخوذ من البريق قال ابن أحمر

تقلدتَ ابريقاً وعلقتَ جعبة * لتُهلِكَ حيًّا ذا زهاء وجاملِ

ولو نظر اليها علقمة لَبرِق وفرِق * وظنَّ أنهُ قد طُرِق * وأين يراها المسكين علقمة ولعلهُ في نارٍ لا تَغير * ماؤها للشارب وَغير * ما ابنُ عبدة وما فريقهُ * قد خَسِر وكُسِرَ إِبريقهُ * أليس هو القائل

كأنَّ ابريقهم ظبيٌ براببةٍ * مجلَّلٌ بسبا الكتَّان مفدومُ

أبيضُ أبرَزَهُ للضحِ راقِبهُ * مقلَّدٌ قُضُبَ الرَّيحان مفغومُ

نظرةٌ الى تلك الاباريق * خيرٌ من بنت الكرمة العاجلية ومن كل ريق * ضَمِنَتهُ هذه الدارُ الخادعة * التي هي لكل شَمَمٍ جادعة * ولو بَصُرَ بها عديُّ بن زيد * لشُغِلَ عن المُدام والصيد * واعترف بأن أباريق مُدامه * وما أدرك من شرب الحيرة وندامه * أمرٌ هيِّنٌ لا يُعدَلُ بنابتٍ من حمَصيص * او ما حقَرَ من خربَصيص * وكنتُ بمدينة السَّلام فشاهدت بعض الورَّاقين يسأل عن قافية عديّ بن زيد التي اولها

بَكَرَ العاذلونَ في غَلَس الصبح م يقولونَ لي الا تستفيقُ

ودعا بالصبُّوح فجراً فجاءت * قينةٌ في يمينها إبريقُ

وزعم الورَّاق أن ابن حاجب النعمان سأل عن هذه القصيدة وطُلبت في نُسَخ من ديوان عديّ فلم توجد ثم سمعت بعد ذلك رجلاً من اهل أستراباذ يقرأ هذه القافيــة في ديوان العِبَاديّ ولم تكن في النسخة التي في دار العلم * فأما الأُقَيشر الأسَديّ فانهُ مِني بقاشر * وشقي الى يوم حاشر * قال ولعلهُ سيندم * اذا تقرَّى الأَدَم

أفنى تلادي وما جمَّعتُ من نَشَبٍ * قرعُ القواقيز افواهَ الاباريقِ

ما هو وما شرابهُ * نقضَّتْ في الخائنة آرابهُ * لو عاينَ تلك الاباريقَ لأيقنَ انه فُتِنَ بالغرور * وسرَّ بغير موجِبٍ للسرور * وكذلك إياسُ بنُ الأَرَتّ ان كان

عَجَبَ لأباريق كإِوَزّ الطفّ * فان الحوادث بسطت لهُ ا قبض كَفّ * فكأنهُ ما قال

كأنّ أباريق المدامة بينهم * إِوَزٌّ بأعلى الطفّ عُوجُ الحناجرِ

ورحم الله العجّاجَ * فانهُ خلطَ في رَجزِهِ العِلْبطَ والسَّجاج * اين ابريقهُ الذي ذَكَرَ فقال

قَطّفَ من اعنابها ما قَطّفا * فعمّها حولين ثم استودفا

صهباءَ خُرْطوماً عُقَارًا قَرْقفَا * فَسَنّ في الابريق منها نُزُفَا

منْ رَصَفٍ نازَعَ سَيْلاً رَصَفَا

وكم على تلك الانهارِ من آنيَةٍ زَبَرْجَدٍ محفور * وياقوتٍ خُلِقَ على خَلْقِ الفُور * من أصفر وأحمر وازرق * يُخَالُ إِن لُمِسَ أَحْرَق * كما قال الصَّنَوْبَرِيُّ

تَخِيلُهُ ساطعاً وَهجُهُ * فتَأْبَى الدُّنُوَّ الى وهجِهِ

وفي تلك الانهار أوانٍ على هيئة الطير السابحة * والغانيةِ عن الماء السائحة * فمنها ما هو على صُوَرِ الكراكيِّ * وأُخَرُ تشاكل المَكاكيِّ * وعلى خَلْقِ طواويسَ وبَطّ * فبعضٌ في الجارية وبعضٌ في الشَّطّ * يَنْبُعُ من أفواهها شَراب * كأنهُ من الرِّقَّة سَراب * لو جرِعَ جُرْعةً منهُ الحَكَمِيُّ * لحكم بانهُ الفوز القدَمِيُّ * وَشَهِدَ لهُ كل وَصَّافٍ للخمر * من مُحْدَثٍ في الزمن وعتيقٍ في الامر * أَنّ اصناف الاشربة المنسوبة الى الدار الفانية كخمر عانَة وأَذْرِعَاتٍ * وهي مَظِنَّةٌ للنُّعَاتِ * وَغزَّةَ وبيت راس * وَالفِلَسْطِيَّةِ ذوات الاحراس * وما جُلِبَ من بُصْرَى في الوُسوق * تُبْغَى بهِ المرابحةُ عند سوق * وما ذَخَرهُ ابن بُجْرَةَ بِوَجّ * واعتمد بهِ أوقاتَ الحج * قبل أن تُحَرَّمَ على الناس القهوات * وتُحْظَرَ لخوف الله الشهوات * قال ابو ذؤيب

ولو أنّ ما عندَ ابنِ بُجْرَةَ عندها * من الخمر لم تَبْلُلْ لَهاتي بناطلِ

وما أُعتصِرَ بِصَرْخَد او أرض شام * لـكل ملكٍ غـيرِ عَبام * وما تردّد ذكرُهُ من كُميت بابِلَ وَصَرِيفِين * واتُّخذ للاشراف المنيفـين * وما عُمِلَ من أجناس المسكرات * مفوَّقاتٍ للشارب وَموُكِّرات * كالجِعةِ والبِتْـعِ وَالمِزْر * والسُّكُرْكَةِ ذات الوِزر * وما وُلِّدَ من النخيل * لكريم يَغترِفُ او بخيـل * وما صُنِع في ايام آدم وشيث * الى يوم المبعث من مُعَجَّلٍ او مكيث * اذا كانت تلك النُطفة ملِـكَة * لا تَصلُحُ أن تكون برعاياها مشتبِكَة * ويعارض تلك المُدامة أنهارٌ من عسـلٍ مصفًّى ما كَسَبَتْهُ النحل الغادية الى الانوار * ولا هو في مُومٍ مُتَوار * ولكن قال لهُ العزيز القادر كن فكان * وبكرمهِ أعطى الامكان * واهاً لذلك عسلا * لم يكن بالنار مُبسَّلا * لو جعلهُ الشارب المحرور غذاءهُ طول الابد ما قُدِرَ لهُ عارضُ موم * ولا لَبِسَ ثوب المحموم * وذلك كلهُ بدليل الآية مَثَلُ ٱلجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ ٱلثَّمَرَاتِ * فليت شعري عن النَّمِرِ بن تَوْلَبٍ العُكْلِيِّ هل يُقْدَرُ لهُ أن يذوق ذلك الأَرْيِ * فيعلم ان شهد الفانية اذا قيس اليه وُجِدَ يُشاكِهُ الشَّرْيِ * وهو لما وصف أُمَّ حِصْنٍ * وما رُزِقَتْهُ في الدَّعَةِ والامن * ذكر حُوَّارَى بسمن * وعسلٍ مصفًّى * فرحمهُ الخالق مُتَوفًّى * فقد كان اسلم وروى حديثاً منفرداً * وحَسبُنا بهِ للكلم مُسَرِّدًا * قال المسكين النمر

ألَمَّ بصحبـتي وهمُ هجوعٌ * خيالٌ طارقٌ من أم حصنِ

لها ما تشتهي عسلاً مصفًّى * اذا شاءَت وحُوَّارَى بسمنِ

وهو ادام الله تمكينهُ يعرف حكاية خَلَفٍ الاحمر مع اصحابهِ في هذين البيتين

ومعناها انهُ قال لهم لو كان موضع امّ حصنٍ أمّ حفصٍ ما كان يقول في البيت الثاني فسكتوا فقال حوّارى بِلَمْصٍ يعني الفالوذَج * ويفرَّع على هذه الحكاية فيقال لو كان مكان أمّ حصن أمّ جزء وآخرهُ همزة ما كان يقول في القافية فانهُ يحتمل ان يقول وحوارى بكَشْءٍ من قولهم كشأت اللحم اذا شويتهُ حتى ييبَسَ ويقال كشأ الشوآءَ اذا اكلهُ او يقول بِوَزْءٍ من قولهم وزأت اللحم اذا شويتهُ ولو قال حوارى بِنَسْءٍ لجاز وأحسن ما يُتأَوَّلُ فيهِ ان يكون من نَسَأَ اللهُ في اجلهِ اي لها خبزٌ مع طول حياة وهذا أحسن من ان يُحمَلَ على ان النسء اللبن الكثير الماء وقد قيل ان النسء الخمر وفسروا بيت عُرْوَةَ بن الوَرْدِ على الوجهين

سقَوْني النسءَ ثم تكنَّفُوني * عُداة الله من كذبٍ وزورِ

ولو حُمل حوارى بنسء على اللبن او الخمر لجاز لانها تأ كل الحوارى بذلك اي لها الحوارى مع الخمر وقد حدّث محدّثٌ أنهُ رأى ملك الروم وهو يغمس خبزًا في خمر ويصيب منهُ * ولو قيل حوارى بلَزْءٍ من قولهم لزَأَ اذا اكل لما بَعُدَ * ولا يمكن ان يكون رَوِيُّ هذا البيت أَلِفًا لانها لا تكون الا ساكنة وما قبل الرويّ هاهنا ساكن فلا يجوز ذلك فان خرج الى الباء فقال من امّ حربٍ جاز ان يقول وحوارى بِصَرْبٍ وهو اللبن الحامض ويجوز بإِرْبٍ أي بِعُضْوٍ من شِواءٍ أو قديد ويجوز بِكَشْبٍ وهو اكل الشواء * فان قال من ام صَمْتٍ جاز ان يقول وحوارى بِكَمْتٍ يعني جمع تَمْرَةٍ كُمَيْت وذلك من صفات التمر ويُنْشَد للاسود بن يَعْفُر

وكنت اذا ما قُرِّبَ الزادُ مُولَعاً * بكل كميتٍ جلْدَةٍ لم تُوَسَّفِ

وقال الآخر

ولست ابالي بعد ما اكمتَ مرْبَدِي * من التمر ان لا يمطر الارضَ كوكبُ

ويجوز حوارى بحَمْتِ من قولهم تمرٌ حَمْت اذا كان شديد الحلاوة * فان اخرجهُ الى الثاء فقال من أم شَثّ قال وحوارى ببثّ والبث تمر لم يجد كنزه فهو متفرق * فان اخرجهُ الى الجيم فقال من امّ لَجّ جاز ان يقول وحوارى بدُجّ والدُجّ الفَرّوج جاء به العُمانيُّ في رجزهِ * فان خرج الى الحاء فقال من ام شحّ جاز ان يقول وحوارى بمُحّ وبُحّ وبرُحّ وبجُحّ وبسُحّ فالمُحّ مُحّ البيضة وبُحّ جمع أبَحّ من قولهم كسرٌ أبَحُّ اي كثير الدَّسَم وقال

وعاذلةٍ هبَّت عليَّ تلومني * وفي كفها كسرٌ ابحُّ رذُومُ

ويجوز ان يُعْنى بالبُحّ القِداح اي هذه المرأة اهلها أيسار كما قال السُّلَميُّ

قرَوْا اضيافهم رِبحًا ببُحٍّ * يعيش بفضلهنَّ الحيُّ سُمرِ

ورُحّ جمع أرَحّ وهو من صفات بقر الوحش اي يصاد لهذه المرأة ويقال لاظلاف البقر رُحّ قال الشاعر الاعشى

ورُحٌّ بالزّماع مردَّفاتٌ * بها تنضو الوَغى وبها ترُودُ

والسُحُّ تمر صغير يابس والجُحُّ صغار البطيخ قبل ان ينضجَ * فان قال ام دُخّ قال حوارى بمُخّ ونحو ذلك * فان قال أمّ سعدِ قال حوارى بثَعْدِ وهو الرُطَبُ الذي قد لانَ كلُّهُ * فان قال ام وَقْذِ قال حوارى بشِقْذِ وهي فراخ الحَجَل * فان قال ام عمرو فانّ اشبه ما يقول حوارى بتمرِ * فان قال أم كرْزَ فان اشبه ما يقول وحوارى بأرْز وفيهِ لغات ست أرُزّ على وزن أشُدّ وأُرُزّ على وزن صُمُلّ وأُرْز على وزن شُغُل وأُرْز على وزن قُفْل ورُزّ على وزن سُدّ ورُنْز بنون وهي رديئة * فان قال ام ضِبسِ قال وحوارى بدبسِ والعرب

تسمي العسـل دبساً * فان قال من أم قِرْشِ جاز ان يقول حوارى بِوَرْشِ
والورش ضرب من الجبن ويجوز ان يكون مولدا وبه سمي ورش الذي يروي
عن نافع واسمهُ عثمان بن سعيد * والصاد قد مضت * فان قال أم غَرْضِ جاز
ان يقول حوارى بفَرْضِ والفرض ضرب من التمر قال الراجز

اذا اكلتُ لبنـاً وفرضا * ذهبتُ طُولاً وذهبتُ عَرْضا

وفي نصب طول وعرض اختلاف بين المُبَرِّد وسيبَوَيْه * فان قال من أم لَقْطِ
جاز ان يقول حوارى بِأَقْطِ يريد أُقِط على اللغة الرَبَعية * فان قال من أم
حَظِّ فان الاطعمة تقل فيها الظاء كقلّتها في غيرها لان الظاء قليلة جدّا ويجوز
ان يقول حوارى بكَظِّ اي يكظها الشِبَعُ او نحو ذلك من الاشياء التي تدخل
على معنى الاحتيال * فان قال ام طَلْعِ جاز ان يقول حوارى بخَلْعِ والخلع هو
الذي كان يطبخ ويحملونهُ في القروف وهي أوعية من أدم ويُنشَد

كلي اللحم الغريض فان زادي * لمن خَلْعٍ تَضَمَّنهُ القُروفُ

فان قال أم فَرعِ جاز ان يقول حوارى بِضَرْعِ لان الضروع تطبخ وربما
تطرب الملوك الى اكلها * فان قال أم مُبْغِ قال حوارى بِصبْغِ والصبغ ما تغمس
فيـهِ اللقمة من مرَق او زيت او خل * فان قال أم خِشفِ قال حوارى
بِرَخْفِ والرخف زُبدٌ رقيق والواحدة رَخْفَة قال الشاعر

لنا غنمٌ يرضي النزيل حليبها * ورَخْفٌ يغاديهِ لها وذبيحُ

فان قال أم فرقِ قال حوارى بعَرْقِ والعرق عظم عليهِ لحم من شِوَاءٍ او قَديدٍ *
فان قال أم سبـكِ جاز ان يقول حوارى برَبْكِ او بلَبْكِ من قولهم رَبَكْت
الطعام او لبكتهُ اذا خلطتهُ وكان ذلك مما فيهِ رطوبة مثل ان يخالطهُ لبن او
سمن او نحو ذلك ولا يقال ربكت الشعير بالحنطة الا ان يستعار * فان قال أم

نخلٍ قال حوارى برَخلٍ يريد الانثي من أولاد الضأن وفيهِ اربع لغات رَخِلٌ ورَخْلٌ وَرِخْلٌ وَرِخِلٌ * فان قال أم صِرْمٍ قال حوارى بطِرْمٍ والطرم العسل وقد سُمِّي السمن طِرماً * وقد مضت النون في أم حصن * فان قال ام دَوٍ قال حوارى بحَوٍ والحو فيما حكى بعض اهل اللغة الجَدْيُ في قولهم ما يعرف حوًّا من لَوٍّ اي جدياً من عناق * فان قال أم كُرْهٍ قال حوارى بِوُزْهٍ يريد جمع أَوْزَه من قولهم كبش أوزَه اي سمين * فان قال أم شَرْيٍ قال حوارى بأَرْيٍ أي عسل * وهذا فصلٌ يتسع وانما عرض في قولٍ نام * نخيالٍ طرق في المنام * ولو خالط منٌّ من عسل الجنان ما خلقهُ اللهُ سبحانهُ في هذه الدار الخادعة كالصاب والمَقِر والسَّلَع والجَعْدَة والشيح والهَبيد لعاد ذلك كلهُ وغيرُهُ من المُعْقِيَات * يُعَدُّ من اللذائذ المرتقيات * فآضَ ماكُرِه من الصاب * كأنهُ المُعْتَصَرُ من المُصاب * والمُصاب قصب السكر * وأمسى الحَدَجُ وكأنهُ المُتَّخَذُ بالاهواز * إلاَّ يكُن السُّكَّرَ فانهُ مُوَاز * ولصارت الراعية في الابل اذا وجدت الحنظلة * اتحفت بها السيدةَ المُحْظَلَة * وهي التي تَنْظُمُ عليها الغَيْرَةَ من قولهم حَظَلَ نساءَهُ اذا أفرط في الغيرة عليهن قال الراجز

ولا ترى بعلاً ولا حلائلا * كهُا ولا كهُنَّ الا حاظلا

وانقطعت معايش ارباب القَصَب في سواحل البحر * وصُنِع من المُرِّ الفالوذَجُ المُحْكَم بلا سِحرٍ * اي بلا خَدْع * ولو ان الحارث بن كَلَدَةَ طَعِمَ من ذلك الطِرْيَم لعلم ان الذي وَصَفَهُ يجري من هذا المنعوت مجرى الدِفْلى الشاقَّة من الرِّعْديد * ومَدُوفِ مايُكرَه من القِنْدِيد * وذكرتُ الحارث بقولهِ

فما عسلٌ ببارد ماء مُزنٍ * على ظمإٍ لشاربهِ يُشابُ
باشهى من لُقِيِّكمُ الينا * فكيف لنا بهِ ومتى الايابُ

وكذلك السَّلْوى التي ذكرَها الهُذَليّ * هي عند عَسَل الجنَّة كأنَّها قارٌ رَمْليٌّ * والقار شجرٌ مرٌّ يَنْبُتُ بالرَّمْلِ * قال بشر

يُرَجُّونَ الصَّلَاحَ بذَاتِ كَهْفٍ * وما فيها لهم سَلَعٌ وقارُ

وعَنيتُ قول القائل

فقاسمها بالله جهدًا لأَنْتُمُ * أَلَذُّ منَ السَّلْوَى اذا ما نَشُورُها

واذا مَنَّ اللهُ تَبارَكَ اسْمُهُ بوُرُودِ تلك الأَنْهار صادَ فيها الواردُ سَمَكَ حَلاوة * لم يُرَ مِثْلُهُ في مَلاوَة * لو بَصُرَ بهِ أَحمدُ بْنُ الحُسَيْنِ لَاحْتَقَرَ الهَدِيَّةَ التي أُهدِيَت إِليهِ فقال فيها

أَقَلُّ ما في أَقَلِّها سَمَكٌ * يَلْعَبُ في بِرْكَةٍ منَ العَسَلِ

فأَمَّا الأَنهارُ الخمريَّة * فتَلْعَبُ فيها أَسماكٌ هيَ على صوَر السَّمَك بَحْرِيَّةٌ ونَهرِيَّة * وما يَسكُنُ منهُ في العيونِ النَّبعيَّة * ويظفَرُ بِضُرُوبِ النَّبْتِ المَرْعيَّة * إِلاَّ أَنَّهُ منَ الذَّهَبِ والفِضَّةِ وصنُوفِ الجَواهر * المُقابلةِ بالنُّورِ الباهر * فاذا مَدَّ المؤمنُ يَدَهُ إِلى واحدَةٍ منْ ذلكَ السَّمَك شَرِبَ منْ فيها عذْبًا لو وَقَعَتِ الجُرعَةُ منهُ في البحرِ الذي لا يستطيع ماءَهُ الشارب * لَحلَتْ منهُ أَسافِلُ وغَوارِب * ولَصارَ الصمَرَ كأَنَّهُ رائحةُ خُزَامى سَهْل * طَلَّتْهُ الدَّاجِنةُ بدَهْل * والدَّهْل الطائفة من الليل * أَو نَشْرُ مُدامٍ خَوَّارَة * سَيَّارَةٍ في القُلَلِ سَوَّارَة * وكأَني بهِ أَدامَ اللهُ الجَمالَ بِبَقائهِ اذا استحقَّ تلكَ الرُّتبة * بيَقينِ التَّوْبة * وقد اصطفى لهُ نَدامَى من أُدَباءِ الفِرْدَوْس * كأَخي ثُمالَةَ وأَخي دَوْس * ويُونُسَ بن حبيبٍ الضَّبّيّ * وابنِ مَسْعَدَةَ المُجاشِعيّ * فهم كما جاءَ في الكتاب العزيز وَنَزَعْنا ما في صُدُورِهِمْ منْ غِلٍّ إِخْوَانًا على سُرُرٍ مُتَقابِلِينَ * لا يَمَسُّهُمْ

فيها نَصَبٌ وما هُمْ منها بمُخْرَجِين * فصدْرُ أحمدَ بنْ يحيَى هنالك قد غُسلَ من الحِقدِ على محمدِ بن يزيدَ فصارا يتصافيانِ ويتوافيانِ كأنهما نَدْمانا جذيمـةَ مالكٌ وعقيل * جَمَعَهُما مَبيتٌ ومَقيل * وأبو بِشرٍ عمرُو بنُ عثمانَ سيبويهِ قد رُحِضتْ سُوَيدآءُ قلبـهِ منَ الضِغْنِ على عليِّ بنِ حمزةَ الكسائيِّ وأصحابهِ لِما فعلوا بهِ في مجلسِ البرامكة * وأبو عُبَيدةَ صافي الطويَّة لعبدِ المَلكِ بنِ قُرَيب * قدِ ارْتفعتْ خلَّتهُما عنِ الرَّيب * فهُما كأَرْبَدَ ولَبيدٍ أخوان * أو بني نُوَيْرَةَ فيما سَبَقَ منَ الأوان * أو صخرٍ ومُعاويةَ ولَدَيْ عَمْرو * وقد أَخمَدا منَ الإحَنِ كُلَّ جمْر * والملائكةُ يَدْخلُونَ عليهم من كلِّ باب سَلامٌ عليكم بما صبرتم فَنِعْمَ عُقْبى الدَّار * وهو أيَّدَ اللهُ العلمَ بحَياته معَهُمْ كما قال البَكْرِيُّ

نازَعتُهُمْ قُضُبَ الرَّيحانِ مُرْتَفِقاً * وقَهْوَةً مُزَّةً راوُوقُها خضِلُ
لا يَستفيقونَ منها وهْيَ راهنـةٌ * الأَبهاتِ وان علَّوا وان نَهِلوا
يَسْعَى بها ذو زُجاجاتٍ لهُ نُطَفٌ * مُقَلِّصٌ أَسفَلَ السِّربال مُعتَمِلُ
ومُستجيبٍ لصوْتِ الصنْجِ يَسْمَعُهُ * اذا تُرَجِّعُ فيهِ القَيْنَـةُ الفُضُلُ

وأبو عُبَيدَةَ يُذاكِرُهم بوَقائعِ العَرَبِ ومَقاتلِ الفُرسان * والأصمعيُّ يُنْشِدُهم ما أحسنَ قائلُهُ كلَّ الإحسان * وتَهِشُّ نُفوسُهم لِلعَبِ فيَقذِفونَ تلكَ الآنيةَ في أَنهارِ الرَّحيق * ويُصفِّقُها الماذِيُّ المُعترضُ أيَّ تصفيق * وتَقترعُ تلكَ الآنيةُ فيُسمعُ لها أصوات * تُبعثُ بمثلها الأموات * فيقولُ الشيخ حسَّنَ اللهُ الأيَّامَ بطُولِ عُمْرهِ آهِ لمَصرعِ الأعشَى ميمون * وكم أَعمَلَ منْ مَطيَّـةٍ أمون * ولقد وَدِدْتُ أنَّهُ ما صدَّتهُ قُرَيشٌ لمَّا توجَّهَ الى النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّم * وانما ذَكَرتُهُ الساعةَ لمَّا تَقارَعَتْ هذهِ الآنيةُ بقولهِ في الحائيَّـة

وشَمُولٍ تَحْسَبُ العينُ اذا * صُفِقَتْ جُنْدُعها نورَ الذُّبَحْ
مثل ريحِ المِسكِ ذاكٍ ريحُها * صبّها الساقي اذا قيلَ تَوَحْ
منْ زِقاقِ التَّجْرِ في باطيَةٍ * جَوْنَةٍ حاريَةٍ ذاتِ رَوَحْ
ذاتِ غَوْرٍ ما تُبالي يومَها * غَرَفَ الإبريقُ منها والقدحْ
وإذا ما الرّاحُ فيها أزْبَدَتْ * أفَلَ الإزبادُ عنها فمصحْ
وإذا مكُوكُها صادمَهُ * جانباها كَرَّ فيها فَسَبَحْ
فتَرامتْ بزُجاجٍ معْمَلٍ * يُخلِفُ النّازحُ منها ما نَزَحْ
وإذا غاضتْ رَفَعْنا زِقّنا * طَلَقَ الأوْداجِ فيها فانْسفحْ

ولوْ أنّهُ أسلمَ لجازَ أنْ يكونَ بيننا في هذا المجلسِ فيُنشدنا غريبَ الأَوْزان * ممّا نظمَ في دارِ الأحزان * ويُحدِّثنا حديثَهُ معَ هَوْذَةَ بنِ عليٍّ وعامرِ بنِ الطُّفَيْلِ ويزيدَ بنِ مُسْهِرٍ وعلقمةَ بنِ عُلاثةَ وسلامةَ بنِ ذي فائشٍ وغيرِهمْ ممّنْ مدحهُ أوْ هجاه * وخافَهُ في الزمنِ أوْ رجاه * ثمَّ إنّهُ أدامَ اللهُ تمكينَهُ يخطرُ لهُ حديثُ شيءٍ كانَ يُسمّى النُّزْهةَ في الدّارِ الفانية فيَرْكَبُ نجيباً منْ نُجُبِ الجنّةِ خُلِقَ منْ ياقوتٍ ودُرّ * في سَجْسَجٍ بَعُدَ عنِ الحرِّ والقُرّ * ومعهُ إناءٌ فَيْهج * فيسيرُ في الجنّةِ على غيرِ منهج * ومعهُ شيءٌ منْ طعامِ الخُلُود * ذُخِرَ لوالدٍ سعدَ أوْ مولُود * فإذا رأى نجيبَهُ يملعُ بينَ كُثبانِ العنبَر * وضَيْمُرانٍ وُصِلَ بصعبَر * رفعَ صوتَهُ متمثّلاً بقولِ البكريّ

لَيتَ شعري متى تخُبُّ بنا النا * قةُ نحوَ العُذَيبِ فالصَّيّبُّونِ
مُحْقِباً زُكْرَةً وخُبزَ رُقاقٍ * وحِباقاً وقِطعةً منْ نونِ

يَعني بالحِباقِ جُرْزَةَ البقل * فيهتفُ هاتفٌ أتشعرُ أيُّها العبدُ المغفورُ لهُ لمنْ

هذا الشِّعرُ فيقولُ الشَّيخُ نَعَمْ * حدَّثَنا أهلُ ثِقَتِنا عن اهلِ ثِقَتِهِمْ يتوارثُونَ ذلكَ كابِرًا عن كابرٍ حتّى يَصِلُوهُ بأبي عَمرٍو بنِ العَلاءِ فيَرْوِيهِ لَهُمْ عنْ أشياخِ العَرَبِ حَرَشَةِ الضِّبابِ في البِلادِ الكَلَدَاتِ * وجُناةِ الكَمْأَةِ في مَغاني البُداةِ * الّذِينَ لم يأكُلوا شِيرازَ الألبانِ * ولم يجعلُوا الثُّمُرَ في الثِّبانِ * أنَّ هذا الشِّعرَ لِمَيمُونِ بنِ قيسِ بنِ جَندَلٍ أخي رَبيعةَ بنِ ضُبَيْعَةَ بنِ قَيسِ بنِ ثَعلَبَةَ بنِ عُكابَةَ ابنِ صَعبِ بنِ عليِّ بنِ بكرِ بنِ وائِلٍ * فيقولُ الهاتِفُ انا ذلِكَ الرَّجُلُ مَنَّ اللهُ عَلَيَّ بعدَ ما صِرْتُ منْ جهنَّمَ على شَفِيرٍ * وَيَئِستُ منَ المَغفِرَةِ والتَّكفِيرِ * فيلتفِتُ اليهِ الشيخُ هَشًّا بَشًّا مُرْتاحًا فاذا هُوَ بِشابٍّ غُرانِقٍ * غَبَرَ في النَّعيمِ المُفانِقِ * وقد صارَ عَشاهُ حَوَرًا معرُوفًا * وانحناءُ ظَهرِهِ قوامًا مَوْصُوفًا * فيَقُولُ سَحَبَتْني الزَّبانِيَةُ الى سَقَرَ * فرأيتُ رَجُلاً في عَرَصاتِ القِيامةِ يتلألأُ وَجهُهُ تَلأْلُؤَ القَمَرِ * والنَّاسُ يَهتِفُونَ بِهِ منْ كُلِّ أَوْبٍ يا مُحمَّدُ يا مُحمَّدُ الشَّفاعةَ الشَّفاعةَ * نَمُتُّ بِكَذَا وَنَمُتُّ بِكَذَا * فصَرَخْتُ في أَيدِي الزَّبانِيَةِ يا مُحمَّدُ أغِثْني فإنَّ لي بِكَ حُرْمَةً فقال يا عَلِيُّ بادِرْهُ فانظُرْ ما حُرْمَتُهُ * فجاءَ عَلِيُّ بنُ أبي طالبٍ صلَواتُ اللهِ عَلَيهِ وأنا أُعتَلُ كَيْ أُلقَى في الدَّرَكِ الأسفَلِ منَ النَّارِ * فزَجَرَهُم عني وقال ما حُرْمَتُكَ فقلتُ أنا القائلُ

أَلا أَيُّهذا السائلي أَينَ يَمَّمَتْ * فإنَّ لها في أهلِ يَثرِبَ مَوْعِدا

فآلَيْتُ لا أَرثي لها من كَلالةٍ * ولا من حَفًى حتَّى تُلاقي مُحمَّدا

متى ما تُناخي عندَ بابِ ابنِ هاشمٍ * تُرِيحي وتَلْقَيْ من فواضلِهِ نَدَا

أَجِدَّكَ لمْ تَسمَعْ وَصاةَ مُحَمَّدٍ * نبيِّ الإِلهِ حينَ أَوْصَى وأَشهَدا

اذا أنتَ لم ترْحَلْ بزادٍ منَ التُّقَى * وأَبصَرْتَ بعدَ الموتِ مَنْ قد تزَوَّدا

نَدِمتَ على أَن لا تكونَ كمثلِهِ * وأَنَّكَ لم تُرْصِدْ لِما كانَ أَرصَدا

وإِيَّاكَ والمَيْتاتِ لا تَقْرَبَنَّها * وَلا تأخُذَنْ سهماً حَدِيدًا لِتَفْصِدا

وَلا تَقْرَبَنَّ جارَةً إِنَّ سِرَّها * عَليكَ حَرامٌ فَانْكِحَنْ اوْ تأَبَّدا

نَبِيٌّ يَرَى ما لا يَرَوْنَ وَذِكْرُهُ * أَغارَ لَعَمْرِي في البِلادِ وَأَنجدا

وَهوَ اكملَ اللهُ زِينَةَ المَحافلِ بِحُضورِهِ يَعرِفُ الأَقوالَ في هذا البيتِ وانما اذكُرُها لأَنَّهُ قد يجوزُ أَنْ يقرأَ هذا الهَذَيانَ ناشئٌ لم يَبلُغْهُ ذلك * حكَى الفرَّاء وَحدَهُ أَغارَ في معنى غارَ إِذا أَتى الغَوْرَ * وَإِذا صحَّ هذا البيتُ للأَعشى فلم يُرِدْ بالإِغارة الاَّ ضِدَّ الإِنجاد * وروى عنهُ الأَصمعيُّ رِوايَتينِ إِحداهما أَنَّ أَغارَ في معنى عَدَا عَدْواً شَدِيدًا وأَنشدَ في كِتابِ الأَجناس

فَعَدِّ طلابَها وتَسَلَّ عنها * بناجيَةٍ إِذا زُجِرَتْ تُغيرُ

والأُخرَى أَنَّهُ كانَ يُقَدِّمُ وَيُؤَخِّرُ فيقول * لَعَمْرِيَ غارَ في البِلادِ وَأَنجدا * فيجيءُ بِهِ على الزِّحاف * وكانَ سعيدُ بنُ مَسْعَدَةَ يقول * غارَ لعمري في البلادِ وَأَنجدَا * فيَخرِمُهُ في النصفِ الثاني * ويقول الأَعشَى قلتُ لِعَليٍّ وقد كنتُ أُومنُ باللهِ وبالحِسابِ وأُصدِّقُ بالبعثِ وأَنا في الجاهليَّةِ الجَهلاء فمنْ ذَلكَ قَوْلي

فما أَيْبُلِيٌّ على هيكلٍ * بَناهُ وصلَّبَ فيهِ وصارا

يُراوِحُ مِن صلَواتِ المَليكِ م طَوْرًا سُجوداً وَطَوْرًا جؤَارا

بِأَعظَمَ منكَ تُقًى في الحِسابِ * إِذا النَسَماتُ نَفَضْنَ الغُبارا

فذَهبَ عليٌّ الى النَّبيِّ صلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسلَّمَ فقالَ يارسُولَ اللهِ هذا أَعشَى قَيسٍ قد رَوَى مَدْحَهُ فيكَ وشَهِدَ أَنَّكَ نَبيٌّ مرُسَلٌ * فَقالَ هلاَّ جاءَ في الدَّارِ السَّابِقة * فقالَ عليٌّ قَدْ جاءَ ولكِنْ صَدَّتْهُ قُرَيشٌ وحبُّهُ للخمر * فشفَعَ لي

فادْخِلْتُ الجَنَّةَ على أنْ لا أشْرَبَ فيها خمراً * فقرَّتْ عيْنايَ بِذلكَ وإنَّ لي منادِحَ في العَسَلِ وماءِ الحَيَوانِ * وكَذلكَ مَنْ لم يَتُبْ مِنَ الخمرِ في الدارِ الساخرَةِ * لَم يُسقَها في الآخرَةِ * وينْظُرُ الشَّيْخُ في رِياضِ الجَنَّةِ فيرَى قَصْرَيْنِ مُنيفَيْنِ * فيقولُ في نَفْسِهِ لَأبْلُغَنَّ هَذَيْنِ القَصْرَيْنِ فأسألُ لِمَنْ هُما * فإذَا قَرُبَ منهما رَأى على أحَدِهِما مكتوباً هذَا القَصْرُ لِزُهَيرِ بنِ أبي سُلْمَى المُزَنيّ * وعلى الآخَرِ هذا القَصْرُ لِعَبِيدِ بنِ الأبْرَصِ الأسَدِيّ * فَيَعْجَبُ مِنْ ذلِكَ ويقولُ هذَانِ ماتا في الجاهِلِيَّةِ ولكنَّ رَحْمَةَ رَبِّنا وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ * وَسَوْفَ أَلْتَمِسُ لِقاءَ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ فأسألُهُما بِمَ غُفِرَ لَهُما * فيبتدِئُ بِزُهَيْرٍ فَيَجِدُهُ شابًّا كالزَهْرَةِ الجَنِيَّةِ * قَدْ وُهِبَ لَهُ قَصْرٌ مِنْ وَنِيَّةٍ * كأنَّهُ ما لَبِسَ جِلْبابَ هَرَمٍ * ولا تأفَّفَ مِنَ البَرَمِ * وكأنَّهُ لم يَقُلْ في المِيمِيَّةِ

سَئِمْتُ تَكاليفَ الحياةِ وَمَنْ يَعِشْ * ثَمانينَ حَوْلاً لا أبا لَكَ يَسأَمِ

ولم يَقُلْ في الأُخرَى

أَلَمْ تَرَنِي عُمِّرتُ تِسعِينَ حِجَّةً * وَعَشْرًا تباعًا عِشْتُها وَثَمانيا

فيقولُ جَيْرِ جَيْرِ * أنْتَ أبو كَعْبٍ وبُجَيْر * فيقولُ نَعَمْ * فيَقولُ أدامَ اللهُ عِزَّهُ بِمَ غُفِرَ لَكَ وَقَدْ كُنْتَ في زَمانِ الفَتْرَةِ والنَّاسُ هَمَلٌ * لا يُحْسِنُ منهم العَمَلُ * فيقول كانَتْ نَفْسي مِنَ الباطِلِ نَفُورًا * فَصادَفْتُ مَلِكًا غَفُورًا * وكُنْتُ مُؤْمِناً باللهِ العظيمِ * ورأيتُ فيما يَرَى النَّائِمُ حَبْلاً نَزَلَ مِنَ السَّماءِ * فَمَنْ تَعَلَّقَ بِهِ مِنْ سُكَّانِ الأرْضِ سَلِمَ * فعلمتُ أنَّهُ أمْرٌ مِنْ أمْرِ اللهِ فأوْصَيْتُ بَنِيَّ وقُلْتُ لَهم عِنْدَ المَوْتِ إنْ قامَ قائِمٌ يَدعوكُمْ الى عِبادَةِ اللهِ فأطيعوهُ * ولَوْ أدْرَكْتُ مُحَمَّدًا لَكُنْتُ أوَّلَ المُؤْمنينَ * وقُلْتُ في المِيمِيَّةِ والجاهِلِيَّةُ على السَّكِينَةِ والسَّفَهُ ضارِبٌ بالجِرانِ

فلا تكتمنَّ اللهَ ما في نفوسكم * ليخفى ومهما يكتمِ اللهُ يعلمِ
يؤخرْ فيوضعْ في كتابٍ فيدَّخرْ * ليومِ الحسابِ أو يقدَّمْ فينقمِ

فيقول ألستَ القائلِ

وقد أغدو على ثُبَةٍ كرامٍ * نشاوى واجدينَ لما نشاءُ
يجرُّونَ البرودَ وقد تمشَّتْ * حميَّا الكأسِ فيها والغناءُ

أفأطلقتْ لكَ الخمرُ كغيركَ من أصحابِ الخلودِ أمْ حرِّمتْ عليكَ مثلما حرِّمتْ على أعشى قيس * فيقول زهيرٌ إنَّ أخا قيسٍ أدركَ محمَّدًا فوجبتْ عليهِ الحجَّةُ لأنَّهُ بُعثَ بتحريمِ الخمر * وحظرِ ما قبُحَ من أمرٍ * وهلكتُ أنا * والخمرُ كغيرها من الأشياء * يشربُها أتباعُ الأنبياء * فلا حجَّةَ عليَّ * فيدعوهُ الشيخُ الى المنادمةِ فيجدهُ من ظرافِ الندماء * فيسألُهُ عن أخبارِ القدماء * ومعَ المنصفِ باطيةٌ منَ الزمرُّذِ فيها منَ الرحيقِ المختوم شيءٌ يمزجُ بزنجبيل * والماءُ أُخذَ من سلسبيل * فيقولُ زادَ اللهُ في أنفاسهِ أينَ هذهِ الباطيةُ من التي ذكرَها السرَويُّ في قولهِ

ولنا باطيةٌ مملوءةٌ * جونةٌ يتبعُها برزينُها
فإذا ما حاردتْ أو بكأتْ * فُتَّ عن خاتمِ أُخرى طينُها

ثمَّ ينصرفُ الى عبيد * فإذا هوَ قد أُعطيَ بقاءَ التأييد * فيقولُ السلامُ عليكَ يا أخا بني أسد * فيقول وعليكَ السلام * وأهلُ الجنَّةِ أذكياء * لا يخالطُهمُ الأغبياء * لعلَّكَ تريدُ أن تسألَني بمَ غُفرَ لي فيقولُ أجلْ وإنَّ في ذلك لعجبًا * أألفيتَ حكمًا للمغفرةِ موجبًا * ولم يكنْ عنِ الرحمةِ محجبًا * فيقول عبيدٌ أُخبرُكَ أنّي دخلتُ الهاويةَ وكنتُ قلتُ في أيّامِ الحياة

مَنْ يَسأَلِ النَّاسَ يَحْرِموهُ * وَسائِلُ اللهِ لا يَخيبُ

وسارَ هذا البيتُ في آفاقِ البِلادِ * فلم يزَلْ يُنشَدُ ويخِفُّ عنّي العَذاب حتّى أُطلقتُ منَ القيُودِ والأَصفادِ * ثمَّ كُرِّرَ الى أَنْ شمِلتْني الرَّحمةُ بِبَرَكةِ هذا البيتِ وَإِنَّ رَبَّنا لغفورٌ رحيم * فإِذا سَمِعَ الشَّيخُ ثَبَّتَ اللهُ وَطأَتَهُ ما قال ذانِكَ الرَّجُلانِ طَمِعَ في سَلامةِ كَثيرٍ منْ أَصنافِ الشُّعَراء * فيقُولُ لعُبيدٍ أَلكَ عِلمٌ بعَدِيِّ بنِ زيدٍ العِباديِّ فيقُولُ هذا منزِلُهُ قَريباً منكَ * فيقفُ عليْهِ فيقُولُ كَيفَ كانَتْ سَلامَتُكَ على الصِراط * ومَخلَصُكَ من بَعدِ الإِفراط * فيقولُ إِنّي كُنتُ على دِينِ المَسيحِ ومَنْ كانَ منْ أَتباعِ الأَنبياءِ قَبلَ أَنْ يُبعَثَ مُحمَّدٌ فلا باسَ عليهِ * وَإِنَّما التَّبِعَةُ على مَنْ سَجَدَ لِلأَصْنام * وعُدَّ في الجَهَلَةِ منَ الأَنام * فيقولُ الشَّيخُ يا أَبا سَوادةَ أَلاَ تُنشِدُني الصادِيَّةَ فإِنَّها بَديعةٌ منْ أَشعارِ العَرَب فَينبَعِثُ مُنشِداً

أَبْلِغْ خَليلي عَبْدَ هِنْدٍ فلا * زِلْتَ قَرِيباً منْ سَوادِ الخُصُوصْ
مُوَازِيَ الفَوْرَةِ أَوْ دُونَها * غَيْرَ بَعيدٍ منْ غُمَيْرِ اللُّصوصْ
تُجنَى لَكَ الكَمْأَةُ رِبعيَّةً * بالخَبْءِ تَنْدَى في أُصولِ القَصيصْ
تَقنِصُكَ الخيْلُ وَتَصطادُكَ الـ * طَيرُ وَلاَ تُنكَعُ لَهْوَ القَنيصْ
تأْكُلُ ما شِئْتَ وَتَعْتَلُّها * حَمراءَ مِلْحصَّ كلَوْنِ الفُصُوصْ
غُيِّبْتَ عَنّي عَبْدُ في ساعةِ الـ * شَرِّ وَجُنِّبْتَ أَوانَ العَويصْ
لاَ تَنسَيَنْ ذِكْرِي على لَذَّةِ الـ * كأْسِ وَطَوْفٍ بالخُذُوفِ النَّحوصْ
إِنَّكَ ذُو عَهدٍ وَذُو مَصدَقٍ * مُخالِفٌ عَهْدَ الكَذُوبِ اللَّمُوصْ
يا عَبْدُ هلْ تَذكُرُني ساعةً * في مَوْكِبٍ أَوْ رَائِدًا لِلقَنيصْ

يوماً معَ الرَّكْبِ إِذَا أَوفضوا * تَرْفَعُ فيهمْ منْ نجَـاءِ القَلُوصْ
قد يُدْرِكُ المبطئُ من حظّهِ * والخيرُ قد يَسبقُ جهْدَ الحريصْ
فلا يَزَلْ صَدرُكَ في ريبةٍ * يَذْكُرُ منّي تلَفي او خلُوصْ
يا نفسِ أَبْقي واتَّقي شتمَ ذي ال * أَعراض إِنَّ الحِلْمَ ما إِنْ يَنُوصْ
يا ليتَ شعرِي وَانَ ذو عَجَّةٍ * متى أَرَى شَرْباً حَوالَيْ أَصيصْ
بيتُ جُلوفٍ باردٌ ظِلُّهُ * فيـهِ ظِباءٌ ودواخيلُ خُوصْ
وَالزَبرَبُ المكفوفُ أَردانُهُ * يمشي رُوَيدًا كَتَوَقّي الرَّهيصْ
يَنفَحُ من أَردانهِ المِسكُ وال * عنـبرُ والغَلْوَى ولُبْنَى قَفُوصْ
والمُشْرِفُ المشمولُ نُسقَى بهِ * أَخضرَ مطموثاً بماءِ خَرِيصْ
ذلك خيرٌ من فُيُوجٍ على ال * بابِ وقَيـدَينِ وغُلٍّ قَرُوصْ
او مرُتَقى نِيقٍ على نِقْنِقٍ * أَدْبَرَ عَوْدٍ ذي إِكافٍ قَمُوصْ
لا يُشْمِنُ البيعَ ولا يحمِلُ ال * ردفَ ولا يُعطَى بهِ قَلْبُ خُوصْ
او من نُسورٍ حَولَ مَوتَى معاً * يأْكُلنَ لحماً من طَرِيءِ الفَرِيصْ

فيقول الشيخ أَحسنتَ واللهِ أَحسنت * لو كُنتَ الماءَ الراكدَ لما أَسَنْتَ * وقد عملَ أَديبٌ منْ أُدَباءِ الإِسلام قصيدةً على هذا الوزن وهو المعروف بأَبي بكرِ بنِ دُرَيدٍ قال

يَسعَدُ ذو الجَدِّ ويَشقَى الحريصْ * ليسَ لخَلْقٍ عن قَضاءٍ مَحِيصْ

ويقول فيها

أَينَ ملوكُ الأَرضِ من حِميَرٍ * أَكرَمُ من نُصَّتْ اليهم قَلُوصْ
جيفَرٌ الوَهّابُ أَودَى بهِ * دهرٌ على هدمِ المعالي حريصْ

إلاَّ أَنكَ يا ابا سَوادةَ أَحرَزتَ فَضيلةَ السَبْق * وما كُنتُ أَختار لك ان تقول يا ليتَ شِعري وَانَ ذو عجَّـةٍ لانك لا تخلو من احد امرين * إِمَّا أَنْ تكون قد وصلتَ همزةَ القطع وذلك رديءٌ * على انهم قد انشدوا

إِن لم أُقاتِلْ فأَلبِسوني بُرقُعا * وفَتَخاتٍ في اليَدَينِ أَربعا

ويزيدُ ما فعلتَ من إِسقاط الهمزة بُعدًا أَنَّكَ حذَفتَ الأَلِف التي بعدَ النون * فاذا حُذِفَت الهمزة من أَوَّل الكَلِمة بقِيَتْ على حرفٍ واحدٍ وذلك بها إِخلال * وإِمّا أَن تكون حقَّقتَ الهمزة فجعلتَها بينَ بينَ ثم اجترأْتَ على تصييرها أَلِفًا خالصةً وحَسْبُك بهذا نقضًا للعادة * ومثلُ ذلك قولُ القائل

يقولونَ مهلاً ليسَ للشيخ عَيِّلٌ * فها أَنا قد أَعيَلْتُ وَانَ رَقوبُ

ولو قُلتَ يا ليتَ شِعري أَنا ذو عجَّةٍ فحذفتَ الواو لَـكانَ عندي أَحسَنَ وَأَشبهَ فيقولُ عَدِيُّ بنُ زيدٍ انما قُلتُ كما سَمِعتُ أَهلَ زمني يقولونَ وحدَثَتْ لكمْ في الاسلام أَشياءُ ليسَ لنا بها علمٌ * فيقولُ الشيخُ لا أَراكَ تَفهَمُ ما أُريدُهُ من الأَغراض ولقد همَمْتُ أَن أَسأَلكَ عن بيتك الذي استَشهَدَ بهِ سيبويهِ وهو قولُك

أَرَواحٌ مودِّعٌ ام بُكورُ * أَنتَ فانظُرْ لأَيِّ حالٍ تَصيرُ

فانهُ يزعمُ أَنَّ أَنتَ يجوزُ أَن ترفع بفعلٍ مُضمَرٍ يُفسِّرُهُ قولك فانظُرْ وأَنا أَستبعِدُ هذا المذهبَ ولا أَظنُّك أَردتَهُ * فيقولُ عَدِيُّ بنُ زيدٍ دَعْني من هذهِ الأَباطيل * ولكنّي كُنتُ في الدار الفانية صاحبَ قَنَصٍ ولعلَّهُ قد بلَغَك قولي

ولَقـد أَغدو بِطِرْفٍ زانَهُ * وَجهُ منزُوفٍ وخَدٌّ كالمِسَنْ
ذي تَليـلٍ مُشْنَقٍ قائدَهُ * يَسَرٍ في الكفّ نَهْدٍ ذي غُسَنْ
مُدمَجٍ كالقِدح لا عَيْبَ بهِ * فيُرَى فيـهِ ولا صَدْعَ أُبَنْ

رَمَّهُ الباري فسوَّى دَرْأَهُ * غمزُ كَفَّيهِ وتخليقُ السَّفَنْ
ايُّ ثغرٍ ما يُخَفْ يُنْدَبْ لهُ * ومتى يُخْلَ منَ القَوْدِ يُصَنْ
كَرَبِيبِ البَيتِ يُغري جِلَّهُ * طاعةُ العُضِّ وتسحيرُ اللَّبَنْ
فبلغنا صنعَهُ حتى شتَا * ناعمَ البالِ لَجُوجاً في السَّنَنْ
فاذا جالَ حِمارٌ مُوحِشٌ * ونَعامٌ نافرٌ بعدَ عَنَنْ
شآءَنا ذو مَيعةٍ يُبطِرُنا * خَمَرَ الارضِ وتقديمَ الجُنَنْ
يدأَبُ الشَّدَّ بسحٍّ مُرْسَلٍ * كاحتفالِ الغيثِ بالمُزْنِ اليَفَنْ
أَنسلَ الذِّرْعانَ غَرْبٌ خَذِمٌ * وعلا الرَّبْرَبَ أَزْمٌ لمْ يُدَنْ
فالذي يُمسكُهُ يَحمَدُهُ * تَئِقٌ كالسِّيدِ مُمْتَدُّ الرَّسَنْ
واذا نحنُ لَدَينا أَربَعٌ * يَهتدِي السائلُ عنّا بالدَّخَنْ

وقولي في القافيَة

ومُجُودٍ قدِ اُسْجَهَرَّ تَناويرَ م كَلَونِ العُهونِ في الأَعلاقِ
عن خريفٍ سقاهُ نَوْءٌ منَ الدَّلو م تَدَلَّى ولم تُوارَ العَراقي
لم يَعِبْهُ إلاَّ الأَداحي فقدْ وَبَّرَ م بعضُ الرِّئالِ في الأَفلاقِ
وإِرانُ الثيرانِ حولَ نِعاجٍ * مُطفِلاتٍ يَحْمِينَ بالأَرْواقِ
وتَراهنَّ كالأَعِزَّةِ في المَحْـ * فِلِ او حِينَ نَعمةٍ وارْتفاقِ
قد تَبطَّنتُهُ بكَفِّيَّ خرًّا * جٌ منَ الخيلِ فاضلٌ في السِّباقِ
ولهُ النَّعجةُ المَريُّ تُجاهَ الـ * رَّكبِ عِدْلاً بالنّابئِ المِخراقِ
والخَدَبُّ العاري الزَّوائدِ مُلْحِفَّانِ م داني الدماغِ للآماقِ

فهل لك أَن نركبَ فرسَين من خيل الجنَّةِ فنبعثَهما على صِيرانها * وخِيطانِ

نَعامِها * وأَسرابِ ظِبائها * وعانات حمُرِها * فانَّ للقَنِيص لَذّةً قد تَنَغّصت لك بها * فيقول الشيخُ انما انا صاحبُ قَلَم وسَلَم * ولم اكن صاحبَ خيل * ولا ممَّن يَسْحَبُ طويلَ الذَيل * وزرتُكَ الى منزلك مُهنّئًا بسلامتك من الجَحيم * وتَنَعُّمِكَ بعفو الرحيم * وما يُؤمنني اذا رَكِبتُ طِرْفاً زَعِلاً * رَتَعَ في رياضِ الجنَّــةِ فآضَ من الأَشَرِ مُستسعِلاً * وأَنا كما قال القائل

لم يَرْكَبوا الخيلَ الاّ بعدَ ما كَبِرُوا * فهمْ ثِقالٌ على أكتافها عُنُفُ

أَن يَلحقَني مالحِقَ جلَماً صاحبَ المُتَجرِّدة لَمَّا حُمِلَ على اليَحْمُوم * والتَعرُّضُ لما لم تَسبِق بِهِ العادةُ منَ المُوم * وقد بَلَغكَ ما لَقِيَ وَلَدُ زُهَير * لمَّا وُقِصَ عن العَتَدِ ذي المَيْرِ * فَسَلَكَ في طريقٍ وَعْب * وما انتفَع ببكاءِ كَعْب * وكذلك وَلَدُكَ عَلقَمــة * حلّت في العاجلةِ بِهِ النَقمــةِ * لمَّا رَكِبَ للصيد * فأَصبحَ كجَدِّهِ زيد * وقلتَ فيهِ

إِنعِمْ صَباحاً عَلقَمَ بْنَ عَدِيٍّ * أَثوَيْتَ اليومَ لم ترحَــلِ

وإِنّي لأَحارُ يا مَعاشِرَ العَرَبِ في هــذهِ الأَوزانِ التي نَقَلَها عنكم الثِقات * وتَداوَلتْها الطَبَقات * ومِن كَلِمتَكَ التي على الراءِ وأَوّلُها

قد آنَ أَن تصحوَ أَو تُقصِرْ * وقد أَتَى لِمَا عَهِدتَّ عُصُرْ

عن مُبرِقاتٍ بالبُرِين وتبـ * ـدو بالأَكُفِّ اللامعاتِ سُوُرْ

بِيضٌ عليهنَّ الدِمَقْسُ وبالـ * أَعناقِ من تحتِ الأَكِفَّةِ دُرْ

ويجوزُ أَن يَقذِفَني السابِحُ على صُخورِ زُمُرُّدٍ فيَكسِرَ لي عَضُدًا او ساقاً فأَصيرَ ضُحْكَةً في أَهلِ الجِنانِ * فيَبتَسِمُ عَدِيٌّ ويقولُ وَيحَكَ أَما علمتَ أَنَّ الجَنَّةَ لا يُرهَبُ لَدَيها السَقَم * ولا تَنزِلُ بِسكَنِها النِقَم * فيَركَبانِ سابِحَينِ من

خيل الجنَّةِ مَركَبُ كلٍّ واحدٍ منهما لو عُدِلَ بممالك العاجلةِ الكائنة من أَوَّلها الى آخرِها لَرَجَحَ بها * وزادَ في القيمة عليها * فاذا نَظَرَ الى صِوارٍ تَرتَعُ في دَقارِي الفِردَوس * والدَقاري الرياض * صَوَّبَ مولايَ الشيخُ المِطرَد * وهو الرُمح القصير * لِأَخنَسَ ذَيَّال * قد رَتَع هُنالكَ طويلَ أَيَّامٍ ولَيال * فاذا لم يَبقَ بين السنان وبَينَهُ إلّا قِيدُ ظُفْر * قال أَمسِكْ رَحِمَكَ اللهُ فإنِّي لَستُ من وَحشِ الجَنَّة التي انشأَها اللهُ سُبحانَهُ ولم تَكُن في الدار الزائلة . ولكنّي كُنت في مَحَلَّة الغُرور أَرُودُ في بعض القِفار فمرَّ بي رَكْبٌ مُؤْمِنون قد كَرِيَ زادُهم فصَرَعوني * واستَعانوا بي على السفَر فعوَّضَني اللهُ جلَّتْ كَلِمتُهُ بأَن أَسكَنَنِي في الخُلود * فيَكُفُّ عنه مولايَ الشيخُ الجليل * ويَعمِدُ لِعلجٍ وَحشيّ * ما التلَفُ عِندَهُ بمَخشيّ * فإذا صارَ الخُرصُ منهُ بِقَدْرِ أَنمُلةٍ قال أَمْسِكْ يا عبدَ اللهِ فإنَّ اللهَ أَنعَمَ عَلَيَّ ورَفَعَ عنّي البُؤس * وذلكَ أَنّي صادَني صائدٌ بمَخلَب * وكان إهابي لهُ كالسلَب * فباعَهُ في بعض الأَمصار * وصَرَاهُ للسانِيَةِ صار * فاتُّخِذَ منهُ غَرْب * شُفِيَ بمآئهِ الكَرْب * وتَطهَّرَ بنَزِيعِهِ الصالحون فشَمِلَتْني بَرَكةُ من أُولئك فدَخَلتُ الجَنَّةَ أُرزَقُ فيها بغيرِ حِساب . فيقولُ الشيخُ فينبغي أَن أَن تَميَّزْنَ فما كانَ منكنَّ دَخَلَ الفانيةَ فما يَجِبُ أَن يَختَلِطَ بوُحوش الجَنَّة * فيقولُ ذلك الوَحشيُّ * لَقَد نَصَحتَنا نُصحَ الشفيق وسوفَ نَمتَثِلُ ما أَمَرْتَ * وينصرفُ مولايَ الشيخُ الجليلُ وصاحبُهُ عَدِيٌّ فإذا هما برَجُلٍ يَحتَلِبُ ناقةً في إناءٍ من ذَهَب فيقولان مَنِ الرَجُلُ فيقولُ ابو ذُؤَيبٍ الهُذَليُّ * فيقولان حُيِّيتَ وسَعِدتَ * لا شَقِيتَ في عَيشك ولا بعدت * أَتحتَلِبُ مَعَ أَنهارٍ من لَبَن * كان ذلك منَ الغَبَن * فيقولُ لا بأْسَ انَّما خطَرَ لي ذلك مِثلما خطَرَ

لَكُما القَنَص * وإِنّي ذَكرتُ قولي في الدهرِ الأَوَّل

وإِنَّ حديثاً منكِ لو تَعلمينَـهُ * جَنَى النحلِ في أَلبانِ عُوذٍ مَطافِلِ

مَطافيلَ أَبكارٍ حديثٍ نِتاجُها * تُشابُ بمآءٍ مثلِ مآءِ المَفاصلِ

فقَيَّضَ اللهُ بقُدرتِهِ لي هذهِ الناقةَ عائذاً مُطفلاً * وكان بالنِعَمِ مُتكفِّلاً * فقُمتُ أَحتلبُ على العادة وأُريدُ أَن أَشوبَ ذلكَ بضَرَبِ نَحْل * تَبعَنَ في الجَنَّةِ طريقةَ الفحْل * فاذا امتلأَ إِناؤُهُ من الرِّسْلِ كوَّنَ الباري جلَّت عظَمَتهُ خَليَّةً من الجوهر * رَتَعَ نَوْلُها في الزَّهَر * فأَجتَنَى ذلكَ أَبو ذُؤَيب * ومَزَج حليبَهُ بلا رَيْب * فيقولُ أَلاَ تَشْرَبان * فيَجرَعانِ من ذلكَ المِحْلَبِ جُرَعاً * لو فُرِّقت على اهل سَقَرَ لَفازوا بالخُلد شَرَعاً * فيقول عَدِيٌّ الحمدُ للهِ الذي هدانا لهذا وما كُنّا لنهتدِيَ لولا أَن هَدانا اللهُ * لقد جاءَتْ رُسُلُ رَبِّنا بالحقِّ ونُودُوا أَنْ تِلكُمُ الجَنَّةُ التي أُورِثْتُموها بما كنتم تَعْمَلونَ * ويقول أَدامَ اللهُ تمكينَهُ لِعدِيٍّ جئتَ بشيئين في شعرك وَدِدْتُ أَنَّكَ لم تأْتِ بهما أَحَدُهما قولك

فَصافَ يُفَرِّي جُلَّهُ عن سَرَاتِهِ * يَبُذُّ الرِهانَ فارِهاً مُتَتابِعا

والآخر قولك

فلَيتَ دَفعتَ الهمَّ عَنِّيَ ساعةً * فنُمْسي على ما خَيَّلَتْ ناعِمَيْ بالِ

فيقولُ عديٌّ بِعباديَّتِهِ * يا مَكبُور * لقد رُزِقتَ ما يَكِبُ أَن يَشغَلَكَ عن القريض انما ينبغي أَن يكونَ كما قيلَ لك كُلُوا واشرَبوا هنيئاً بما كنتمْ تَعملونَ * قولهُ يا مَكبور يُريدُ يا مجبور * فجعَلَ الجيم كافاً وهي لُغَـةٌ رديئةٌ يَستَعْمِلُها اهلُ اليَمَن * وجاءَ في بعضِ الأَحاديث أَنَّ الحارثَ بنَ هانئِ بنِ أَبي شَمِرِ بنِ جَبَلَةَ الكِنْدِيَّ استُلحِمَ يومَ ساباطَ فنادَى يا حُكْر يا حُكْر يُريدُ يا حُجْرَ بنَ عديٍّ

الأَدبرَ * فعطفَ عليهِ فاستنقذهُ * ويكب في معنَى يجب * فيقولُ * زادَ اللهُ في أنفاسهِ * إنّي سألتُ ربي عزَّ سلطانهُ أنْ لا يحرمَني في الجنَّةِ تلذذاً بأدبي الذي كنتُ أَتلذَّذُ بهِ في عاجلَتي فأَجابني الى ذلك * ولهُ الحمدُ في السمَواتِ والأَرض وعَشياً وحينَ تُظهِرون

ويَمضي في نُزهتهِ تلك بشابَّينِ يتحادثانِ كُلٌّ واحدٍ منهما على بابِ قَصرٍ من دُرّ . قد أُعفِيَ منَ البُؤسِ والضرّ . فيُسلّمُ عليهما ويقولُ مَن أَنتما رَحِمَكما اللهُ وقد فعَل . فيقولانِ نحنُ النابِغتان . نابغةُ بني جعْدَة . ونابغةُ بني ذُبيان . فيقولُ ثبّتَ اللهُ وَطأَتهُ أَمَّا نابغةُ بني جعْدَةَ فقدِ استوجبَ ما هوَ فيهِ بالحَنيفيَّـة . وأَمَّا أَنتَ يا أَبا أُمامةَ فما أَدري ما هيّأَنكَ . اي ما جهتُكَ . فيقولُ الذُبيانيُّ إنّي كُنتُ مقرًّا باللهِ وحججتُ البيتَ في الجاهليَّةِ أَلَم تَسمعَ قولي

فلا لَعمرُ الذي قد زرتُهُ حِججاً * وما هُريقَ على الأَنصابِ من جسَدِ
والمؤمنِ العائذاتِ الطيرَ تمسَحُها * رُكبانُ مكَّـةَ بين الغيْلِ والسنَدِ

وقولي

حلَفتُ فلم أَتركْ لنفسكَ ريبـةً * وهل يأْثمَنْ ذو أُمَّـةٍ وَهوَ طائعُ
بمُصطَحِباتٍ من لِصافٍ وثَبْرَةٍ * يَزُرْنَ إلالاً سَيرُهُنَّ تَدافُعُ

ولم أُدركِ النبيَّ صلى اللهُ عليـهِ وسلَّم فتقومَ الحُجَّـةُ عليَّ بخلافهِ . وإنَّ اللهَ تَقدَّسَتْ أَسمآؤُهُ عزَّ ملكاً وجلّ . يغفِرُ ما عظُمَ بما قلَّ . فيقولُ لا زالَ قولُهُ عالياً يا أَبا سَوادةَ ويا أَبا أُمامةَ ويا أَبا ليلى اُجعلُوها ساعةَ مُنادَمةٍ فانَّ مِن قولِ شيخنا العِبادِيّ

أَيُّها القَلبُ تَعلَّلْ بِدَدَنْ * إنَّ همّي في سَماعٍ وأُذُنْ

وشَرابٍ خُسرُوانيٍّ اذا * ذاقهُ الشيخُ تغنَّى وٱزْجحَنْ

وقال

وَسَماعٍ يأْذَنُ الشيخُ لهُ * وحَديثٍ مِثلِ ماذِيٍّ مُشارْ

فكيف لنا بأَبي بَصيرٍ . فلا تَتِمُّ الكَلِمةُ إلاَّ وأَبو بصيرٍ قد خمَسَهم فيُسبِّحُونَ ٱللهَ ويُقدِّسونهُ ويحمَدونهُ على أنْ جمَعَ بينَهم . ويَتلُو جمَّلَ اللهُ ببقآئهِ هذهِ الآيَةَ وَهوَ على جمْعِهمْ إذَا يَشآءُ قَديرٌ

فاذا أَكلوا من طَيِّباتِ الجَنَّةِ وشَرِبوا من شَرابِها الذي خزَنَهُ اللهُ لعِبادِهِ المتَّقين قالَ كَبَّ اللهُ أنفَ مبغِضهِ يا أَبا أُمامةَ إنَّكَ لَحَصيف الرأْيِ لَبيبٌ فكيفَ حسَّنَ لكَ لُبُّكَ أَن تقولَ للنُعمانِ بنِ المُنذِرِ

زَعمَ الهُمامُ بأَنَّ فاها باردٌ * عَذْبٌ اذا ما ذُقتَهُ قلتَ ٱزْدَدِ

زَعَمَ ٱلهُمامُ ولم أَذُقْهُ بأَنهُ * يُشفَى ببَرْدِ لِثاتِها العَطِشُ الصَدِي

ثمَّ استمرَّ بكَ القَولُ حتى أَنكَرَهُ عليكَ خاصَّةً وعامَّةً . فيقولُ النابغةُ بذَكآءٍ وفَهْمٍ . لقَد ظَلَمني مَن عاب عَلَيَّ . ولو أَنصفَ لَعلِمَ أَنَّي احترَزتُ أَشدَّ احترازٍ . وذلكَ أَنَّ النُعمانَ كانَ مُستَهتَرًا بتلكَ المَرْأَةِ فأَمَرَني أَنْ أَذكُرَها في شِعري . فأَدَرْتُ ذلك في خلَدِي فقُلتُ إن وصفتُها وَصفاً مُطلَقاً . جازَ أَن يكونَ بغيرِها معُلَّقًا . وخشيتُ أَن أَذكُرَ ٱسمَها في النَظمِ فلا يكونَ ذلك مُوافِقاً للمَلِك لِأَنَّ المُلوكَ يأنَفون من تَسميةِ نِسآئِهم فرأَيتُ أَن أُسندَ الصفَةَ اليهِ فأَقولَ زعمَ ٱلهُمامُ اذ كُنتُ لو تركتُ ذِكرَهُ لَظَنَّ السامعُ أَنَّ صِفَتي على المُشاهَدَة والأَبياتُ التي جآءَت بعدُ داخلةٌ في وصفِ الهُمام فمَنْ تأَمَّلَ المَعنى وجدَهُ غيرَ مختلٍّ * وكيفَ يُنشِدُونَ وإذا نَظَرتَ رأَيتَ أَقمرَ مُشرِقاً وما بعدَهُ .

فيقولُ أرغمَ اللهُ أنفَ شانئهِ يَنْشدُ * وإذا نظرتَ * وإذا لَمستَ * وإذا طَعَنتَ * وإذا نَزَعتَ على الخِطاب * فيقولُ النابغةُ قد يَسوغُ هذا ولكنَّ الأجودَ أنْ تجعلوهُ إخبارًا عن المتكلِّم لأنَّ قولي زَعَمَ الهُمامُ يُؤدّي معنى قولنا قالَ الهُمام فهذا أسلَمُ اذا كان المَلِكُ إنَّما يحكي عن نفسهِ * واذا جعلتموهُ على الخِطاب قَبُح إن نسبتُموهُ إليَّ فهوَ مَنْدِيَةٌ وان نسبتُموهُ الى النُعمانِ فهوَ إزراءٌ وتَنَقُّصٌ *فيقولُ أيَّدَ اللهُ الفضلَ بزيادةِ مُدَّتهِ * للهِ دَرُّكَ يا كوكبَ بني مُرَّةَ * ولقد صحَّفَ عليكَ اهلُ العِلم منَ الرُواة وكيفَ لي بأبوَيْ عَمْرٍو المازنيِّ والشَيْبانيِّ وأبي عُبَيْدَةَ وعبدِ المَلِكِ وغيرِهِم من النَقَلَة لأسأَلَهم كيفَ يَرْوُون وأنتَ شاهدٌ لتعلمَ أني غيرُ المُتخرِّصِ ولا الوَلاَّغِ * فلا يَقِرُّ هذا القولُ في حُذُنَّةِ أبي أُمامةَ الاَّ والرُواةُ اجمعون قد أحضَرَهم اللهُ القادِرُ من غير مَشقَّةٍ نالَتْهم *ولا كُلفةٍ في ذلك أصابتهم * فيُسلِّمون بلُطفٍ ورِفقٍ * فيقولُ أعلَى اللهُ قولَهُ مَن هذهِ الشُخوصُ الفِردَوْسيَّة * فيقولون نحنُ الرُواةُ الذين شِئتَ إحضارَهم آنفًا * فيقول لا الهَ الاَّ اللهُ مُكوِّنًا مُدَوِّنًا * وسُبحانَ اللهِ باعثًا وارثًا * وتَبارَكَ اللهُ قادِرًا لا غادِرًا * كيف تَرْوُونَ أيُّها المرحومون قولَ النابغة في الداليَّة *واذا نَظَرْتَ * واذا لَمَسْتَ * واذا طَعَنْتَ *واذا نَزَعْتَ * أبِفتح التاء ام بضمها * فيقولون بفتحها * فيقولُ هذا شيخُنا ابو أُمامةَ يختارُ الضمَّ ويُخبِرُ أنَّهُ حكاهُ عن النُعمانِ * فيقولون هو كما جاء في الكِتاب الكريم وَالأَمْرُ إِلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ * فيقول ثَبَّتَ اللهُ كلمتَهُ على التوفيق مَضَى الكلامُ في هذا يا ابا أُمامةَ * فأنشِدْنا كَلِمَتَكَ التي اولها

أَلِمًّا على المطورة المتأبّدهْ * أقامتْ بها في المَربَعِ المُتجرِّدهْ

مُضمَّخةٌ بالمِسكِ مخضوبةُ الشَوَى * بدُرٍّ وياقوتٍ لها متَقلِّدَهْ
كأَنَّ ثَناياها وما ذُقتُ طَعْمَها * مُجاجةُ نحلٍ في كُميتٍ مبرَّدَهْ
لِيَقرِز بها النُعمانُ عيناً فانها * لهُ نعمةٌ في كل يومٍ مُجدَّدَهْ

فيقول ابو أُمامة ما أَذكرُ أَني سلكتُ هذا القريَّ قطُّ * فيقول مولايَ الشيخُ زيَّنَ اللهُ أَيَّامَهُ ببقائهِ إِنَّ ذلك لَعجبٌ فمَنِ الذي تطوَّعَ فنَسبَها اليك * فيقول إِنَّها لم تُنسَب اليَّ على سبيل التطوُّع . ولكن على معَنى الغلَط والتَوَهُّم ولعلَّها لرَجُلٍ من بَني ثَعلَبَةَ بنِ سَعْد . فيقول نابغةُ بني جَعْدة صحِبَني شابٌّ في الجاهليـة ونحن نُريد الحِيرة فأَنشدَني هذه القصيدةَ لنفسهِ وذكَرَ أَنَّهُ من ثَعلَبَةَ بنِ عُكابة وصادَفَ قُدُومُهُ شَكاةً من النُعمان فلم يَصِل بها اليهِ * فيقول نابغةُ بني ذُبيان ما أَجدَرَ ذلك أَن يكون . ويقول الشيخُ كَتَبَ اللهُ لهُ مثُوبَةَ المُتَّقين لنابغةِ بني جعْدة يا أَبا لَيلَى أَنشدْنا كَلمتَكَ التي على الشين التي تقولُ فيها

ولقـد أَغدُو بِشَرْبٍ أُنُفٍ * قبلَ ان يظهَرَ في الأَرضِ رَبَشْ
معَنا زِقٌّ الى سهمَـةٍ * تَسِقُ الآكالَ من رَطْبٍ وَهَشْ
فنزَلنـا بمَلِيعٍ مُقفِـرٍ * مَسَّهُ طَلٌّ من الدَجْنِ ورَشْ
ولَدَينا قَيْنـةٌ مُسمِعـةٌ * ضَخْمةُ الأَردافِ من غيرِ نَفَشْ
واذا نحن بإِجْلٍ نافرٍ * ونَعـامٍ خِيطُهُ مثلُ الحَبَشْ
فحمَلْنـا ماهناً يَنصفُنـا * فوقَ يَعبُوبٍ منَ الخيلِ أَجَشْ
ثُمَّ قُلنا دُونَكَ الصيدَ بهِ * تُدرِكِ المحبوبَ منَّا وتَعَشْ
فأَتانا بشَبُوبٍ ناشـطٍ * وظَلِيمٍ معَـهُ أُمُّ خَشَشْ
فاشتَوَينا من غَرِيضٍ طيِّبٍ * غيرِ ممنونٍ وأُبنا بغَبَشْ

فيقول نابغة بني جَعْدة ما جعَلتُ الشينَ قَطّ رَوِيّاً وفي هذا الشعر أَلفاظٌ لم أَسمَع بها قطُّ * رَبَش وسُهمَة وخَشَش * فيقول مولاي الشيخ الأَريب المُغرَم بالعِلم يا أَبا لَيلَى لقد طال عهدُكَ بأَلفاظ الفُصَحاء وشغَلَكَ شرابٌ ما جاءَتْكَ بمثلهِ بابلُ ولا أَذرِعاتٌ وثَنَتْكَ لُحُومُ الطَيرِ الراتعة في رياض الجَنَّة فنسيتَ ما كُنتَ عرَفت * ولا مَلامةَ اذا نَسِيتَ ذلك إِنَّ أَصْحَابَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ * هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى ٱلْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ * لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدَّعُونَ * اما رَبَش فمن قولهم أَرضٌ رَبشاء اذا ظهَرت فيها قِطَع منَ النبات وكأَنها مقلوبةٌ عن بَرْشاء * واما السُهمَة فشبيهةٌ بالسُفْرة تُتَّخذ من الخُوص * واما خَشَش فان ابا عمرٍو الشَّيبانيَّ ذكَر في كِتاب الخاء ان الخَشَش وَلَدُ الظَّبْيَة * فكيف تُنشِدُ قولك

وليس بمعروفٍ لَنا أَن نَرُدَّها * صِحاحاً ولا مُستَنكَرًا ان تُعَقَّرا

أَتقول ولا مُستَنكَرًا ام ولا مُستنكَرٍ * فيقول الجَعْديُّ بل مُستَنكَرًا * فيقول الشيخ فإِن أَنشَدَ مُنشِدٌ مُستَنكَرٍ ما تَصنَعُ بهِ * فيقول أَزجرُهُ وأَزبرُهُ * نطَقَ بأَمرٍ لا يَخبُرُهُ * فيقول الشيخ طَوَّلَ اللهُ له امدَ البقاء إِنَّا للهِ وإِنَّا إِليهِ راجعون * ما أُرَى سيبَوَيه إِلَّا وَهِمَ في هذا البيت لأَنَّ أَبا لَيلَى أَدرَكَ جاهِليةً وإِسلاماً * وغُذِيَ بالفَصاحة غُلاماً * ويَنثني الى أَعشَى قَيسٍ فيقول يا أَبا بَصيرٍ أَنشِدْنا قولك

أَمِنْ قَتْلَةَ بالأَنقا * ءِ دارٌ غيرُ مَحْلُولَهْ
كأَنْ لم تَصحَبِ الحَيَّ * بها بَيضاءُ عُطْبُولَهْ
أَناةٌ يُنزِل القَوْسيَّ * منها مَنظَرٌ هَوْلَهْ

وما صهباءُ من عانة م في الذرّاع محمولَهْ
تولّى كرْمَها أصهبُ م يسقيهِ ويغدو لَهْ
ثوَتْ في الخُرْسِ أعواماً * وجاءَت وهْيَ مقتولَهْ
بماء المُزنةِ الغرّا ء راحتْ وهْيَ مشمولَهْ
بأشهى منكِ للظمآ ن لو أنّكِ مبذُولَهْ

فيقول اعشى قيْس ما هذه مما صدَرَ عني وإنّكَ منذُ اليوم لمُولَعٌ بالمنحولات * ويمرُّ رفٌّ من إوزّ الجنّة فلا يلبثُ أنْ ينزل على تلك الروضة ويقفَ وُقوفَ منتظرٍ لأمر * ومن شأنِ طيرِ الجنّة أنْ يتكلّمَ فيقولُ ما شأنُكنّ * فيقُلْنَ أُلهِمْنا أنْ نسقُطَ في هذه الروضة فنُغنّيَ لمَنْ فيها من شرْبٍ * فيقول على برَكةِ اللهِ القَدير * فينتفِضْنَ فيصِرْنَ جواريَ كواعِبَ يرفُلْنَ في وَشْيِ الجنّة . وبأيديهِنَّ المَزاهِر وأنواعُ ما يُلتمَسُ بهِ المَلاهي فيَعجَبُ وحُقَّ لهُ العجب * وليسَ ذلكَ ببَديعٍ من قُدرةِ اللهِ جلّتْ عظَمتُه * وعزّتْ كلمتُه * وسبَغتْ على العالمِ نِعمتُه * ووَسعتْ كُلَّ شيءٍ رَحمتُه * ووقَعتْ بالكافرِ نِقمتُه * فيقولُ لإحداهُنَّ على سبيلِ الامتحان أعْمَلي قولَ أبي أُمامةَ وهوَ هذا القاعد .

أمِنَ آلِ ميّةَ رائحٌ او مغتَدِ * عجْلانَ ذا زادٍ وغيرَ مزوّدِ

ثقيلاً أوّل * فتصنَعُهُ فتجيءُ به مُطرِباً * وفي أعضاءِ السامعِ متسرِّباً * ولو نُحِتَ صنَمٌ من أحجار * او دَفٌّ أشِرَ عندَ النجّار * ثمّ سمِعَ ذلك الصوتَ لرقَص * وان كان متعالياً هبَط ولم يراعِ أنْ يُوقَص * فيَردُ عليه أوْردَ اللهُ قلبَهُ المَحابَّ زَوْل * تعجزُ عنهُ الحِيَلُ والحَوْل * فيقولُ هلُمَّ خفيفَ الثقيلِ الأوّل * فتنبعِثُ فيهِ بنغَمٍ لو سمِعَهُ الغَريض * لأقرَّ أنَّ ما ترنَّمَ بهِ مريض * فاذا

أَجادَتْه * وأَعطَتْهُ المِهرَةَ وزادَتْه * قال عليكِ بالثقيلِ الثاني * ما بينَ مثالثكِ والمَثاني * فتأتي بهِ على قَرِيٍّ لو سَمِعَهُ عبدُ اللهِ بنُ جعفر * لقَرَنَ أَغانيَّ بُدَيْحٍ الى هَدير ذي المِشفَر * فاذا رأى ذلك قال سُبحانَ اللهِ كُلَّما كُشِفَت القُدرة بَدَت لها عَجائب * لا تَثبُتُ لها النجائب * فصيري الى خفيف الثقيل الثاني فانكِ لَمُجيدَةٌ مُحسنة * تُطرِدُ بغنائكِ السِنَة * فاذا فعلَتْ ما أَمر بهِ أَتَتْ بالبُرَحين * وقالت للأَنفُسِ أَلا تمرَحين * ثُمَّ يقترحُ عليها الرَمَل وخَفيفَهُ * وأَخاهُ الهزَجَ وذَفيفَهُ * وهذهِ الأَلحانُ الثمانية * للأُذُنِ تَمَنِّيها المانيَة * فاذا تَيَقَّنَ لها حَذاقة * وعَرَفَ منها بالعُودِ لَباقة * هَلَّلَ وكَبَّر * وأَطال حمدَ ربِّهِ واعتَبَر * وقال وَيحَكِ أَلَم تكوني الساعةَ إِوَزَّةً طائرة * واللهُ خَلَقَكِ مَهْدِيَّةً لا حائرة * فمن اينَ لكِ هذا العِلم * كأَنكِ لجَذَلِ النفس خِلْم * لو نَشأْتِ بينَ مَعْبَدٍ وابنِ سُرَيج * لما هِجْتِ السامعَ بهذا الهَيج * فكيفَ نَفَضْتِ بَلَهَ الإِوَزّ * وهَزَزتِ الى الطَرَبِ أَشَدَّ الهَزّ * فتقول وما الذي رأَيتَ من قُدرة بارئك إِنَّك على سيفِ بحر * لا يدرِكُ لهُ عبر * سُبحانَ من يُحيي العِظامَ وهي رَميم

فبينما هم كذلك إِذ مرَّ شابٌّ في يَدِهِ مِحجَنُ ياقوت * مَلَكَهُ بالحُكم الموقوت * فيُسلِّمُ عليهم فيقولون مَن انت فيقولُ أَنا لَبيدُ بنُ رَبيعةَ بنِ مالكِ بنِ جعفرِ بنِ كلاب * فيقولون أَكرَمْتَ أَكرَمْتَ * لو قُلتَ لَبيدٌ وسكَتَّ * لَشُهِرتَ باسمِكَ وإِن صمَتَّ * فما بالُكَ في مَغفرة ربِّك * فيقول انا بحمدِ اللهِ في عيشٍ قَصَّرَ أَنْ يصِفَهُ الواصفون * ولَدَيَّ نواصِفُ ومُنصفون * لا هَرَمَ ولا بَرَم * فيقول الشيخ تبارَكَ المَلِكُ القُدُّوس * ومَن لا تُدرِكُ يَقينَهُ الحُدُوس * كأَنَّك لم تَقُلْ في الدار الفانية

ولَقد سَئِمتُ منَ الحياةِ وطولِها * وسؤال هذا الناس كيفَ لَبيدُ

ولم تَفُهْ بقولك

فمتى أَهلِكْ فلا أَحفِلُهُ * بجَلي الآنَ منَ العَيشِ بجَلْ

من حياةٍ قد مَلِلْنا طُولَها * وجَديرٌ طُولُ عَيشٍ أَنْ يُمَلْ

فأَنشِدْنا ميميَّتك المُعلَّقة * فيقول هَيهاتَ إِنّي تركتُ الشعرَ في الدار الخادعة ولن أَعُودَ اليهِ في الدار الآخِرة * وقد عوِّضتُ ما هوَ خيرٌ وأَبرّ * فيقول أَخبِرْني عن قولك

ترَّاكُ أَمكِنةٍ اذا لم أَرْضَها * او يَرتبِطْ بعضَ النفوسِ حِمامُها

هل اردتَ ببعضٍ مَعنَى كُلّ * فيقولُ لَبيدٌ كَلاَّ * إِنَّما أَردتُ نَفْسي وهذا كما تَقُولُ للرَّجُلِ اذا ذَهَبَ مالُكَ أَعطاكَ بعضُ الناس مالاً وأَنتَ تَعني نفسَكَ في الحقيقة * وظاهرُ الكلام واقعٌ على كل إِنسانٍ وعلى كل فِرقةٍ تكونُ بعضاً للناس. فيقول لا فتِيَ خَصْمُهُ مُفحَماً أَخبِرْني عن قولك او يَرتبِطْ هل مَقصَدُكَ اذا لم أَرْضَها أَو لم يرتبطْ ام غَرَضُكَ أَترُكُ المنازلَ او يرتبط فيكونَ يرتبط كالمحمول على قولك ترَّاكُ أَمكِنةٍ * فيقولُ لبيدٌ الوَجهَ الأَوَّلَ أَردتُ . فيقولُ أَعظَمَ اللهُ حَظَّهُ في الثَوابِ فما مَغزاكَ في قولك

وصَبُوحِ صافيةٍ وجَذْبِ كَرِينةٍ * بِمُوَتَّرٍ تأْتالُهُ إِبهامُها

فان الناس يرْوُون هذا البيتَ على وَجهَين منهم من يُنشِدُهُ تأْتالُهُ بجعلهُ تفتعلهُ من آلَ الشيءَ يَؤُولهُ اذا ساسَهُ * ومنهم من يُنشِد تأْتالَهُ من الإِتيان * فيقول لبيدٌ كِلا الوَجهَين يحتملهُ البيت * فيقول أَرغَمَ اللهُ حاسدَهُ ان ابا عليٍّ الفارسيَّ كان يدَّعي في هذا البيت أَنَّهُ مثلُ قولهم استحَى يَستَحي على مَذهَبِ الخليل

وسيبويه لأنهما يريان أنّ قولهم استحيتُ انما جاء على قولهم استحايَ كما ان استقمتُ على استقامَ وهذا مذهبٌ ظريف لأنهُ يعتقدُ أنّ تأتى مأخوذةٌ من أوى كأنهُ بُنِيَ منها افتعل فقيل اتْتَايَ فأُعلّت الواو كما تُعلُّ في قولنا اعتانَ من العَوْن واقتالَ من القَوْل . ثم قيل اتْتَيتُ فحُذِفَت الألف كما يقال اقتلْتُ ثم قيل في المستقبَل يأْتَى بالحذف كما قيل يَسْتَحِي * فيقول لبيدٌ مُعرِضٌ لعَنَنٍ لم يعْنِهِ * الأمرُ أيسرُ مماّ ظنَّ هذا المتكلّف * ويقولُ لبيدٌ سبحانَ اللهِ يا ابا بَصيرٍ بعدَ إقرارِكَ بما تعلَمُ غُفِرَ لك وحصلَتَ في جنّة عدْنٍ * فيقول مولايَ الشيخُ متُكلماً عن الأعشى كأنك يا ابا عَقِيلٍ تعني قولَهُ

وأَشْرَبُ بالريفِ حتى يُقا * لَ قد طالَ بالريفِ ما قد دجَنْ
صَرِيفيّةً طَيّباً طَعْمُها * تُصَفَّقُ ما بين كُوبٍ وَدَنْ
وأَقرَرْتُ عيني من الغانيا * تِ إمَّا نِكاحاً واما أُزَنْ

وقولَهُ

فبتُّ الخليفةَ من بعلِها * وسيّدَ تيّاً ومُسْتَادَها

وقولَهُ

فظَلَلْتُ أَرعاها وظلّ يحُوطُها * حتّى دَنَوْتُ إذِ الظلامُ دنا لَها
فرَميتُ غَفلةَ عينِهِ عن شاتِهِ * فأَصَبْتُ حبّةَ قلبِها وطِحالَها

ونحوَ ذلك مما رُوِيَ عنهُ * فلا يخلو من أحدِ أمرَين إمّا أن يكونَ قالَهُ تحسيناً للكلام على مذهب الشعراء * وإمّا أنْ يكونَ فعَلَهُ فغفرَ لهُ * قُلْ يا عبادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ ٱللهِ إِنَّ ٱللهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ * إِنَّ ٱللهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ

ويغفرُ ما دُون ذَلكَ لمَن يَشآء وَمَن يُشرِكْ بِاللهِ فَقَدْ ضلَّ ضَلالاً بَعِيدًا * ويقولُ رَفعَ اللهُ صوتَهُ لنابغةِ بني جَعْدَة يا أَبا لَيْلَى إِنّي لَأَستَحسنُ قولَك

طَيِّبَةُ النَشْرِ والبُداهة وأل * علاَّتِ عندَ الرُقادِ والنَسَمِ
كَأَنَّ فاها اذا تُنَبَّهُ من * طيبِ مشَمٍّ وحُسْنِ مبْتَسمِ
يُسَنُّ بِالضِرْوِ من بَراقشَ او * هَيْلانَ او ضامرٍ من العُتُمِ
رُكِّزَ في السام والزَبيبِ أَقا * حيُّ كَثيبٍ تُعَلُّ بالرِهمِ
بماءِ مُزنٍ من ماءِ دَوْمَة قد * جُرِّدَ في ليل شمْأَلٍ شَبِمِ
شُجَّت بهِ قَرقَفٌ منَ الراحِ إِسْ * فَنْطُ عُقارٍ قَليلةُ النَدَمِ
أُلقيَ فيها فلجانِ من مسكِ دا * رِينَ وفلجٌ من فُلْفُلٍ ضَرِمِ
رُدَّت الى أَكلَفِ المناكبِ مَرْ * سُومٍ مقيمٍ في الطينِ مُحتَدِمِ
جَوْنٍ كجَوْزِ الحمار جَرَّدَهُ أَل * بَيْطارُ لا ناقسٍ ولا هَزِمِ
تَهدِرُ فيهِ وساوِرَتهُ كما * رُجِّعَ هَدْرٌ من مُصْعَبٍ قَطِمِ

اين طيبُ هذه الموصوفة من طيب مَن تُشاهدُهُ من الأَترابِ العُرُب * كلاَّ واللهِ أَينَ الأَهلُ من الغُرُب * وأَينَ فُوها المُذَكَّر * من أَفواهِ ما وَلَب اليها المُنكَر * إِنَّها لَتَفضُلُ على تلك فضلَ الدُرَّة المُختَزَنة على الحَصاةِ المُلقاة * والخَيرات الملتَمَسة على الأَعراضِ المُتَّقاة * ما سامُك ايها الرجلُ وزَبيبُك * ما حَسُنَ في العاجلةِ حَبيبُك * وإِنَّ ثغراً يَفتَقِرُ الى قَضيب البَشام * لِيُجشِمُ حليفَهُ بعضَ الإِجشام * لولا أَنَّهُ ضَرِيَ بالخَبر ما أُفتقَرَ الى ضِرْوٍ مطلوب * او غُصنٍ من العُتُمِ مجلوب * وما المآءِ الذي وَصَفتَهُ من دَوْمة * وغيرُهُ ينافي اللَّوْمة * أَلَيسَ هو إِن أَقامَ أَجَن * ولا يَدُومُ للماكثِ اذا دَجَن * وان فَقَدَ

بَرْدَ الشَمْأَل * رَجعَ كغيره من السَّمَل * تُلقي الغَسَرَ فيهِ الهابَّة * وَتَشبهُ الغَرَّاء الشابَّة * والغرَّاء الهاجرة ذاتُ السَراب * وما قَرقَفُك هذه المشجوجة * ولو أَنَّها للشَّرَبَةِ محجوجة * قَرُبتَ من حاجتك فلا تَنُطُ * لا كانتِ الفَيْهجُ ولا الإِسفَنْط * طالما ثَملتَ في رُفقَتك فَندِمتَ * وأَنفقتَ ما تملكُ فعدِمتَ * ما عُقارُكَ وما فِلْجاكَ * زالَت عن مُقلَتكَ دُجاكَ * ولو دَخلَ مِسكُ دارين * جَنَّةَ رَبِّنا الموهوبةِ لغيرِ المُمارين * لَعُدَّ في تُرابها الذَّفِر كَصِيق المقتول * او دَنَسٍ قَدَمٍ مبتول * زَعَمتَ أَنها تُطيَّبُ بالفُلفُل * وشَبَّهها غيرُكَ بنسيم القَرَنْفُل * إنَّ في هذه المَنزلة لَنشرًا * لا يَزيدُ على نَشر الفانيـةِ عشرًا * ولكن يَشفُّ بعَدَدٍ لا يُدرَكُ * ليس وَراءَهُ مَترَكُ * نَزاهةً لهذِهِ القَهْوَةِ أَن تُدَّخرَ في أَكلَفِ مَناكِب * مَنْ حَفِظَهُ عدَّ النا كب * أَصبحَ بطينِها مَرسومًا * وَصنَعَ فيه المُتَرَبِّصُ وُسُومًا * فهو جَوْنٌ كَجوز الحِمار * لا سلِمَ ذُخرًا للخَمَّار * ليسَ بناقسٍ ولكن منقوس * ذمَّهُ المُتَحَنِّفُ ومَنْ فِنَاؤُهُ القوس * تَهدِرُ فيـه الصهباء المُعتصَرة وهي في قُربِ تِتاج * كالسِقاب الموضوعة بغير إِخداج * فاذا وَصلَتْ سِنَّ البازل بطَلَ الهدير * وأَدارها في الكأس مُدير * ويَخطُرُ لَهُ جعَلَ اللهُ الإِحسانَ اليـه مربوبًا * ووُدَّهُ في الأَفئدة مشبوبًا * غناءُ القِيانِ بالفُسطاط ومَدينة السَلام . ويَذكُرُ تَرجيعَهُنَّ بميميَّة المُخَبَّل السَعْديّ . فتَندفعُ تلكَ الجَواري التي نَقَلتهُنَّ القُدرةُ من خَلقِ الطَيرِ اللاقطة * الى خَلقِ حُورٍ غيرِ مُتَساقطة * تُلحِنُ قولَ المُخَبَّل السَعديّ

ذَكَرَ الرَّبابَ وذِكرُها سُقْمُ * وصَبا وليسَ لمَنْ صَبا عَزْمُ
واذا أَلَمَّ خيالُها طَرِفَتْ * عيني فماءُ شُؤُونِها سَجْمُ

كاللؤلؤ المسجور توبعَ في * سلكِ النظامِ فخانهُ النظمُ

فلا يمرُّ حرفٌ ولا حركةٌ الاّ ويوقعُ مسرّةً لو عُدلت بمسرّات أهل العاجلة مُنذ خلقَ اللهُ آدمَ الى أنْ طوى ذُرّيتهُ من الارضِ لكانتِ الزائدةَ على ذلك زيادةَ اللجِّ المتموّج على دمعة الطفل * والهضبِ الشامخ على الهباءة المُنتفضةِ من الكِفل * ويقولُ لِندماآئهِ ألاَ تسمعونَ الى قول السعْديّ

وتقولُ عاذِلَتي وليسَ لها * بغَدٍ ولا ما بعدَهُ عِلْمُ

إنَّ الثَّوآءَ هوَ الخُلودُ وإنَّ م المرءَ يكربُ يومهُ العُدْمُ

ولئنْ بنَيتَ ليَ المُشقَّرَ في * عنقاءَ تقصُرُ دُونَها العُصْمُ

لَتُنقّبَنْ عنّي المنيّةُ إنَّ م اللهَ ليسَ كحكمِهِ حكْمُ

فيقولُ إنّهُ المسكينَ قال هذهِ الأبياتَ وبنُو آدمَ في دارِ المِحَن والبلآء * يقبضونَ منَ الشدائدِ على السُّلاَّء * والوالدةُ تخافُ المنيّةَ على الولَد * ولا يزال رُعبُها في الخلَد * والفقرُ يُرهَبُ ويُتّقَى * والمالُ يُطلَبُ ويُستبقَى * والسغَبُ موجودٌ والظمآء * والكمَهُ معروفٌ والكمآء * ولم يكفُفْ للغيرِ عِنان * ولا سُكِنَت بالعفو الجِنان * فالحمدُ للهِ الذي أذهبَ عنا الحزَنَ إنَّ ربّنا لغفورٌ شكور * الذي أحلّنا دارَ المقامةِ من فضلِهِ لا يمسُّنا فيها نصَبٌ ولا يمسُّنا فيها لُغُوب * فتبارَكَ اللهُ القدُّوسُ نقَلَ هؤلآءِ المُسمِعات من زيِّ ربّات الأجنحة * الى زيِّ ربّات الأكفال المُترجّحة * ثم ألهمَهُنَّ بالحكمة حفظَ أشعارٍ لم تمرُرْ قبلُ بمسامعِهنَّ فجئْنَ بها متقَنة * محمولةً على الطرائق مُلحّنة * مُصيبةً في لحن الغنآء * منزَّهةً عن لحن الهُجنآء * ولقد كانتِ الجاريةُ في الدار العاجلة اذا تُفُرِّستْ فيها النجابةُ وأُحضِرَت لها المُلحّنة لتُلقيَ اليها ما تعرفُ من ثقيلٍ

وخفيف * وتأخذها بمأخذٍ غيرِ ذفيف * تُقيمُ معَها الشهرَ كَرِيتاً * قبلَ أن تُلقَّنَ كَذِباً حنبرِيتاً * بيتاً من الغزَل او بيتَين * ثم تُعْطى المائةَ او المائتَين * فسُبحانَ القادر على كلِّ عزيز * والمميِّزِ بفضلِهِ كلَّ مزيز * ويقولُ نابغة بني جَعْدَةَ وهو جالسٌ يستمعُ يا أَبا بصيرٍ أَهذهِ الرَّبابُ التي ذكرَها السعْديُّ هي رَبابُكَ التي ذكرتَها في قولك

بِعاصي العواذلِ طَلْقِ اليَدَينِ م يُعطي الجزيلَ ويُرخي الإزارا

فما نطَقَ الدِيكُ حتى ملأْ * تُ كُوبَ الرِباب لهُ فاستَدارا

اذا أُنكِبَّ أَزهرُ بينَ السُقاةِ * تراموْا بهِ غرَباً أَو نُضارا

فيقولُ ابو بَصيرٍ قد طالَ عُمرُكَ يا أَبا لَيلَى وأَحسَبُكَ أَصابكَ الفنَد فبقِيتَ على فنَدِكَ الى اليوم * أَما علِمتَ أَنَّ اللواتي يُسَمَّيْنَ بالرَّبابِ اكثرُ من أَن يُحصَيْنَ أَفتظُنُّ أَنَّ الرَّبابَ هذه هي التي ذكرها القائل

ما بالُ قومِكِ يا رَبابُ * خُزْراً كأَنَّهُمُ غِضابُ

غارُوا عليكِ وَكيفَ ذا * كِ ودُونَكِ الخَرْقُ اليَبابُ

او التي ذكرها امرُؤُ القيس في قولهِ

دارٌ لهندٍ والرَبابِ وفَرْتَنَى * ولَمِيسَ قبلَ حوادثِ الأَيّامِ

ولَعلَّ أُمَّها أُمُّ الرَبابِ المذكورةُ في قولهِ

وَجارَتِها أُمِّ الرَبابِ بمأسَلِ

فيقولُ نابغةُ بني جَعْدَةَ أَتكلِّمُني بمثل هذا الكلامِ يا خليعَ بني ضُبَيْعَةَ وقد مُتَّ كافرًا * وأَقرَرْتَ على نَفسِكَ بالفاحشة * وأَنا لقيتُ النبيَّ صلى الله عليهِ وسلَّمَ فأَنشدتُهُ كَلِمَتي التي اقول فيها

بَلغنا السمآءَ مجدُنا وسنآؤُنا * وإنّا لنبغي فوق ذلكَ مَظهرا

فقالَ الى اين يا أَبا ليلى * فقلتُ الى الجَنَّةِ بكَ يا رَسولَ الله * فقال لا يَفْضُضِ اللهُ فاكَ * أَغرَّكَ أَنْ عدَّكَ بعضُ الجُهّالِ رابعَ الشعرآءِ الأَربعة * وكَذَبَ مُفضِّلُكَ وإنّي لأَطوَلُ منكَ نَفَساً وأَكثرُ تصرُّفاً ولقد بلغتُ بعَدَدِ البيوتِ ما لم يبلُغْهُ احدٌ من العرَب قبلي وأَنتَ لاهٍ بعفارتك تفتري على كرائمِ قومكَ وان صدَقتَ فخزياً لك ولمقارِكَ . ولقد وُفِّقتِ الهوازنيَّةُ في تخليتك عاشرَتْ منك النابحَ عشيَ فطافَ الأَحوِيَة على العِظام المُنتَبَذة وحرَصَ على انتباث الأَجداث المُنفرِدة * فيغضَبُ أَبو بَصيرٍ فيقولُ أَتقولُ هذا وإنَّ بيتاً مما بَنَيْتُ لَيُعدَلُ بمائةٍ من بنآئك * وان أَسهبتَ في منطقك فإنَّ المُسهبَ كحاطب الليل * وإنّي لَفي الجُرثومةِ من ربيعةِ الفرَس وإنّكَ لَمِنْ بني جَعْدَة * وهل جَعدةُ إلّا رائدةُ ظليمٍ نفور * أَتُعيِّرُني مَدحَ المُلوكِ ولو قدَرْتَ يا جاهلُ على ذلك لهجَرْتَ اليهِ أَهلَكَ وولَدَكَ * ولكنَّكَ خُلِقتَ جباناً هِداناً * لا تُدْلِجُ في الظَلمآءِ الداجية * ولا تُهجّرُ في الوَديقةِ الصاخدة * وذكرتَ لي طَلاقَ الهوازنية ولعلّها بانت عنّي مَسرّةَ الكَمَد والطلاقُ ليسَ بمُنكَرٍ للسُّوقِ ولا للملوكِ * فيقول الجعديُّ اُسكُت يا ضُلَّ بنَ ضُلّ فأُقسمُ أَنَّ دُخولك الجنَّةَ من المُنكَرات ولكنَّ الأَقضيةَ جرَت كما شآءَ اللهُ * لَحقُّكَ أَن تكونَ في الدرَكِ الأَسفلِ منَ النار ولقد صلِيَ بها من هوَ خيرٌ منك ولو جازَ الغَلَطُ على ربِّ العزَّة لقلتُ إنّك غلِطَ بك * أَلستَ القائل

فدخلتُ اذ نامَ الرقيـ * ـب فبتُّ دُونَ ثيابِها

حتى اذا ما اُسترسلَت * للنوم بعـد لِعابِها

قَسَمْتُها نِصفَين كُلُّ م مسوَّدٍ يُرْمَى بها

فثَنَيتُ جِيدَ غَريرةٍ * ولَمَستُ بَطنَ حقابها

كالحُقَّةِ الصفرآء صا * كَ عبيرُها بملابها

واذا لها تامُورةٌ * مرفوعةٌ لِشَرابها

واستقللتَ بني جعدَةَ وليَومٌ من أيامهم يَرْجَحُ بمساعي قومك * وزعمْتَني جباناً وكذبتَ * لأنا أشجعُ منك ومن أبيك وأصبَرُ على إدلاج المُظلِمةِ ذاتِ الأَرِيزِ وأشدُّ إيغالاً في الهاجرةِ أُمّ الصَّخدان * ويثِبُ نابغةُ بني جَعدَةَ على أبي بَصيرٍ فيضربُهُ بكُوزٍ من ذَهَبٍ * فيقولُ أصلحَ اللهُ بهِ وعلى يدَيهِ لاَ عَرْبَدَةَ في الجنان انما يُعرَفُ ذلك في الدار الفانية بين السفِلةِ والهِجاج وإنَّكَ يا أبا لَيلَى لَمُتَتَرِّعٌ * وقد رُوِي في الحديث أنَّ رجلاً صاح بالبَصرة يا آل قَيسٍ فجاءَ النابغةُ الجعْدِيُّ بعُصَيَّةٍ لهُ فأخذَهُ شُرَطُ أبي موسى الأشعَرِيّ فجلَدَهُ لان النبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّم قال من تعزَّى بعزآء الجاهليَّةِ فليسَ منَّا * ولولا أنَّ في الكتاب الكريم لاَ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنْزَفُونَ لَظَنَنَّاكَ أصابَكَ نَزْفٌ في عقلِكَ * فأمَّا ابو بصيرٍ فما شَرِبَ إلاَّ اللبَنَ والعَسَلَ وإنَّهُ لَوَقُورٌ في المَجالِسِ لا يَخِفُّ عندَ حَلّ الحُبْوة وانما مَثَلُهُ مثَلُ ابي نُواسٍ في قولهِ

أيُّها العاذلان في الرَّاح لُوما * لا أذوقُ المُدامَ الاَّ شَمِيما

نالَني بالعِتابِ فيها إمامٌ * لا أرَى لي خلافَهُ مُستَقِيما

إنَّ حظِّي منها إذا هيَ دارت * أن أراها وأن أشمَّ النَسيما

فأصرِفاها الى سِوايَ فإني * لستُ الاَّ على الحديث نديما

فكأني وما أُحسِّنُ منها * قَعَدِيٌّ يُحَسِّنُ التَّحكيما

لم يُطِقْ حَمْلَهُ السلاحَ الى الحر * بِ فأَوْصَى المُطيقَ أَن لا يُقيما

فيقولُ نابغةَ بني جعدةَ قد كان الناس في ايام الخادعة يَظهَرُ عنهم السفَهُ بِشُربِ اللَبَن لا سيَّما اذا كانوا أرقآءَ لِئاماً كما قال الراجز

يا أبنَ هِشامٍ أَهلكَ الناسَ اللَبَن * فَكُلُّهُمْ يغدو بسَيفٍ وقَرَن

وقال آخر

ما دهرُ ضَبَّةَ فأعلَمْ نَحْتُ أَثْلَتِنا * وانما هاجَ من جُهّالها اللبَنُ

وقيل لبعضهم متى يُخافُ شَرُّ بني فُلانٍ قال اذا أَلْبَنُوا * فيُريدُ بلَّغَهُ اللهُ إرادتَهُ أَن يُصلحَ بينَ النُدَماَءِ فيقولُ يَجِبُ أَن يُحْذَرَ من مالَكٍ يَعبرُ فيَرَى هذا المَجلِسَ فيَرفَعُ حديثَهُ الى الجبَّار الأَعظَم فلا يَجُرُّ ذلك الاَّ الى ما تَكرَهان* واستَغنَى رَبُّنا أَن تُرفَعَ الأَخبارُ اليهِ ولكن جرى ذلك مجرى الحَفَظَةِ في الدار العاجلة * أَما علِمتُما أَنَّ آدَمَ خرجَ من الجنَّةِ بذَنبٍ حقيرٍ فغيرُ آمِنٍ مَنْ وُلِدَ أَن يُقْدَرَ لهُ مثلُ ذلك * فسأَلتُكَ يا أَبا بصيرٍ باللهِ هل يَهجُسُ لك تَمَنّي المُدام * فيقولُ كلاَّ واللهِ إنَّها عندي لَمِثلُ المَقِرِ لا يَخطُرُ ذِكرُها بالخَلَد* فالحمدُ للهِ الذي سقاني عنها السلْوانة فما أَحفِلُ بأُمّ زِنبَقٍ أُخرَى الدهر * وينهَضُ نابغةُ بني جَعدةَ مُغضَباً * فيَكرَهُ جَنَّبهُ اللهُ المَكارِهَ انصرافَهُ على تلك الحال فيقولُ يا أَبا لَيلَى إنَّ اللهَ جلَّت قُدرتُهُ مَنَّ علينا بهؤلآءِ الحُور العِينِ اللَواتي حَوَّلَهُنَّ عن خَلْق الإِوَزِ فأختَرْ لنفسكَ واحدةً منهُنَّ فلتَذهَبْ معَكَ الى منزلك تُلاحِنُكَ أَرَقَّ اللِحان * وتُسمِعُكَ ضُروبَ الأَلحان * فيقولُ لبيدُ بنُ ربيعةَ إن أَخذَ أَبو لَيلَى قينَةً وأَخذَ غيرُهُ مثلَها أَليسَ ينتشرُ خبرُها في الجنَّةِ فلا يُؤمَنُ أَن يُسمَّى فاعلُو ذلك أَزواجَ الإِوَزّ * فتَضرِبُ الجماعةُ عنِ اقتسامِ

أُولئك القيان

ويَمرُّ حسَّانُ بنُ ثابتٍ فيقولونَ أهلاً أبا عبدِ الرحمن ألا تحدَّثُ معَنا ساعةً * فاذا جلسَ اليهم قالوا أينَ هذه المشروبةُ من سَبيئتك التي ذكرتَها في قولك

كأنَّ سبيئةً من بيت رأسٍ * يكونُ مزاجَها عسلٌ وماءُ

على أنيابها او طعمَ غضٍّ * من التفَّاح هصَّرهُ اجتناءُ

على فيها اذا ما الليلُ قلَّتْ * كواكبُهُ ومال بها الغطاءُ

اذا ما الأَشرباتُ ذُكرنَ يوماً * فهنَّ لطيِّبِ الراحِ الفداءُ

وَيحكَ ما استحييتَ أنْ تذكُرَ مثلَ هذا في مِدحتكَ رسولَ اللهِ صلى الله عليهِ وسلَّم * فيقولُ إنهُ كان أسجحَ خُلقاً مِمَّا تظُنُّون ولم أقُلْ الاّ خيرًا . لم أذكُر أنّي شَربتُ خمرًا * ولا رَكِبتُ مِمَّا حظِرَ أمرًا * وانما وَصفتُ ريقَ امرأةٍ يجوزُ أنْ يكونَ حِلاًّ لي ويُمكنُ أنْ أقولَهُ على الظَنّ . وقد شَفعَ صلى الله عليهِ وسلَّم في ابي بَصيرٍ بعدَ ما تهكَّم في مواطِنَ كثيرةٍ وزَعمَ أنَّهُ مُشترٍ * مُفتَرياً او ليسَ بمُفترٍ * وما سُمِعَ باكرَمَ منهُ صلى الله عليهِ وسلَّم لقد أفكْتُ فجَلَدَني مَعَ مِسطَحٍ ثم وَهبَ لي أُختَ ماريَةَ فولَدَتْ لي عبدَ الرَّحمن وهي خالةُ وَلَدِهِ ابراهيمَ * وهو زيَّنَ اللهُ الآدابَ بِبقائهِ يخطرُ في ضَميرِهِ أشياءَ يُريدُ أن يذكُرَها لحسَّانٍ وغيرِهِ ثم يخافُ أنْ يكونوا لما طلَبَ غيرَ مُحسنين فيضربَ عنها إكراماً للجليس مثلُ قول حسَّانٍ * يكونُ مزاجَها عسلٌ وماءُ * ويَعرِضُ لهُ أن يقولَ كيفَ قُلتَ يا ابا عبدالرحمن أيكونُ مزاجَها عَسَلٌ وماءُ ام مزاجُها عَسَلاً وماءً ام مزاجُها عَسَلٌ وماءٌ على الأبتداء والخبَر * وقولِه

فمَنْ يهجو رسولَ اللهِ منكم * ويَمدَحهُ ويَنصُرُهُ سَوآءُ

يَذهَبُ بعضُهم الى أَنَّ مَنْ محذوفةٌ من قولك ويمدحهُ وينصُرُهُ على أَنَّ ما بعدَها صِلةٌ لها * وقال قومٌ حُذِفت على أَنَّها نَكِرةٌ وجُعِلَ ما بعدَها وَصفاً لها فأُقيمت الصِفة مُقامَ الموصوف * ويقولُ قائلٌ منَ القوم كيف جُبْنُكَ يا ابا عبد الرحمن * فيقول أَلي يُقالُ هذا وقومي أَشجَعُ العرَب * أَرادَ ستَّةٌ منهم أَنْ يَميلوا على اهل المَوسِم بأَسيافِهم وأَجاروا النبيَّ صلى الله عليهِ وسلم على أَن يحارِبوا معَهُ كُلَّ عَنُود * فرَمَتْهم ربيعةُ ومُضَرُ وجميعُ العرَب عن قَوْسِ العَداوةِ وأَضمَرُوا لهم ضِغْنَ الشنَآن * وإِنْ ظَهَرَ منِّي تحَرُّزٌ في بعضِ المَواطن فانما ذلك على طريقة الحَزْم كما جاء في الكتابِ الكريم. وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِنَ ٱللهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ

ويَفترِقُ اهلُ ذلك المجلسِ بعدَ أَن اقاموا فيهِ كعُمْرِ الدُنْيا أَضعافاً كثيرةً * فبَيْنا هُوَ يَطُوفُ في رياضِ الجَنَّة لَقِيَهُ خمسةُ نَفَرٍ على خمس أَيْنُقٍ فيقول ما رَأَيتُ أَحسَنَ منْ عُيونِكم في اهل الجِنانِ فمَنْ أَنتم خلَدَ عليكمُ النعيم * فيقولون نحنُ عُورانُ قَيسٍ تميمُ بنُ مُقبلٍ العَجْلانيُّ وعَمْرُو بنُ أَحمَرَ الباهِليُّ والشمَّاخُ مَعقِلُ بنُ ضِرارٍ أَحدُ بني ثَعْلَبَةَ بنِ سَعْدِ بن ذُبيان وراعي الإِبِلِ عُبَيْدُ بنُ الحُصَيْن النُميريّ وحُمَيدُ بنُ ثورٍ الهِلاليُّ * فيقول للشمَّاخ بنِ ضِرارٍ لَقد كان في نفسي أَشياءُ من قصيدتك التي على الزاي وكَلمتك التي على الجيم فأَنشِدْنيهما لا زلتَ مخلَّداً كريماً * فيقولُ لَقد شغَلني عنهما النَعيمُ الدائمُ فما أَذكُرُ منهما بيتاً واحداً * فيقول لفَرْطِ حُبِّهِ الأَدَبَ وإِيثارِهِ تَشيِيدَ الفَضلِ لَقدْ غَفَلْتَ أَيُّها

المؤمنُ وأَضعتَ * أما علمتَ أنَّ كَلمتَيك * أنفعُ لك من ابنتَيك * ذُكِرت بِهما في المَواطنِ * وشهِرتَ عند راكبِ السفَرِ والقاطن * وإنَّ القصيدةَ من قَصائدِ النابغةِ لَأنفعُ لَهُ من ابنتِهِ عقْربَ ولعلَّ تِلك شانتْهُ * وما زانتْهُ * وأَصابها في الجاهليَّةِ سبآء * وما وفَرَ لأجلِها الحِبآء * وإنْ شئتَ أنْ أُنشِدَكَ قصيدتَيك فإنَّ ذلكَ ليسَ بمتعَذرٍ عليَّ * فيقولُ أنشِدْني ضفَتْ عليك نِعمةُ الله . فيُنشِدُهُ

عفا من سُلَيمَى بطنُ قوٍّ فعالزُ * فذاتُ الغضَى فالمُشرفاتُ النواشِزُ

فيَجِدُهُ بها غيرَ عليم * ويسأَلُهُ عن أشيآءَ منها فيصادِفُهُ بها غيرَ بصير * فيقول شغلَتني لَذائذُ الخُلودِ عن تعهُّدِ هذهِ المُنكَرات . إنَّ المُتَّقِينَ في ظِلالٍ وَعيُونٍ * وفَواكِهَ مِمَّا يَشتَهُونَ * كُلُوا وَاشرَبُوا هَنِيئاً بِما كُنتُمْ تَعمَلُونَ * انما كنت أَسِقُ هذهِ الأُمورَ وانا آمُلُ أَنْ أُفقَرَ بها ناقةً أَو أُعطَى كَيلَ عِيالي سَنةً كما قال الراجز

لو شاكَ مِن رأسِكَ عظمٌ يابسُ * لآلَ منكَ جَمَلٌ حُمارِسُ

سوَّى عليكَ الكيلَ شيخٌ بائسُ * مثلَ الحَصَى يَعجَبُ منهُ اللامسُ

وأنا الآنَ في تَفضُّلِ اللهِ أغترِفُ في مَرافِدِ المسجَدِ من أَنهارِ اللبَنِ * فتارةً أَلبانَ الإبلِ وتارةً أَلبانَ البقَرِ * وإنْ شئتُ لبنَ الضأنِ فإنَّهُ كثيرٌ جمٌّ وكذلك لَبَنُ المَعيزِ * وإن أَحببتُ ورداً من رِسْلِ الأَراويِّ فَرُبَّ نهرٍ منهُ كأَنهُ دِجلةُ او الفُرات * ولقد أَراني في دارِ الشقْوةِ أَجهَدُ أَخلافَ شياهٍ لجِباتٍ لا يمتلئُ منهنَّ القَعْب * فيقول لا زال مِقوَلاً للخَيرِ فأَينَ عمرُو بنُ أَحمرَ * فيقول عمرٌو ها أَنا ذا فيقول أَنشِدْني قولك

بانَ الشبابُ وأخلَفَ العمْرُ * وتغيَّرَ الإخوانُ والدهرُ

وقدِ اختلفَ الناس في تفسير العمْر بالفتح فقيلَ إنَّكَ أردتَ البقاءَ وقيل إنَّكَ أردتَ الواحد من عُمُور الأسنان وهو اللحمُ الذي بينها * فيقول عمرٌو متمثلاً

خُذا وَجهَ هَرْشَى او قَفاها فإنهُ * كِلا جانبَيْ هَرْشَى لهنَّ طريقُ

ولم تتركْ فِيَّ أهوالُ القيامة غُبَّرًا للإنشاد * أما سمعتَ الآيةَ يومَ ترونَها تذهلُ كلُّ مرضعةٍ عمَّا أرضعَتْ وتضعُ كلُّ ذاتِ حملٍ حملَها وترى الناسَ سكارى وما هُمْ بسكارى ولكنَّ عذابَ اللهِ شديدٌ * وقد شهدْتَ الموقفَ فالعجبُ لكَ إذْ بقِيَ معكَ شيءٌ من رِواياتك * فيقولُ الشيخُ إنّي كُنتُ أخلصُ الدُّعاءَ في أعقابِ الصلَواتِ قبلَ أن أنتقلَ منْ تلك الدارِ أنْ يمتّعَني اللهُ بأدبي في الدُّنيا والآخرةِ فأجابني الى ما سألتُ وَهو الحميدُ المَجيد * ولقد يُعجبُني قولُك

ولقد غدوتُ وما يفزّعُني * خوفٌ أحاذرُهُ ولا ذُعرُ

رُؤْدُ الشبابِ كأنني غُصُنٌ * بحَرامِ مكَّةَ ناعمٌ نَضِرُ

كشرابِ قَيْلٍ عن مَطيَّتِهِ * ولِكُلِّ امرٍ واقعٍ قَدَرُ

مُدَّ النهارُ لهُ وطالَ عليهِ م * الليلُ واستغنَتْ بهِ الخمرُ

ومُسفَّةٌ دهماءُ داجنةٌ * رَكَدتْ وأُسبِلَ دُونَها السترُ

وجَرادتانِ تُغنّيانِهِم * وتلألأَ المرْجانُ والشذْرُ

ومُجلجِلٌ دانٍ زبرْجدُهُ * حَدِبٌ كما يتحدَّبُ الدبرُ

ونَّانِ حنَّانانِ بينَهُما * وَترٌ أجشُّ غِناؤُهُ زمِرُ

وبعيرُهُمْ ساجٍ بجِرَّتهِ * لم يُؤْذِهِ غَرَثٌ ولا نَقَرُ

فاذا تجرَّدَ شقَّ بازلُهُ * واذا أصاخ فانهُ بكرُ

خلُّو طريقَ الديدبونِ فقد * ولَّى الصبي وتفاوتَ النجرُ

فما أردتَ بقولك كشرابِ قيلٍ ألواحدَ من الأقيال ام قيلَ بنَ عترٍ من عاد * فيقول عمرٌو إن الوجهين ليتصوَّران * فيقول الشيخ بلَّغهُ اللهُ الأمانيَّ ممَّا يدلُّ على أنَّ المرادَ قيلُ بنُ عترٍ قولُكَ وجرادتانِ تغنّيانهم لأنَّ الجرادتينِ فيما قيلَ مغنّيتانِ غنَّتا لوفدِ عادٍ عند الجرهميّ بمكَّةَ فشغلوا عن الطوافِ بالبيتِ وسؤالِ اللهِ سبحانهُ وتعالى فيما قصدُوا لهُ فهلكتْ عادٌ وهُمْ سامِدُونَ * ولقدْ وجدتُ في بعضِ كتُبِ الأغانيِّ صوتاً يقال غنَّتْهُ الجرادتانِ فتفكَّنتُ لذلكَ * والصوت

أقفرَ من أهلهِ المَصيفُ * فبطْنُ عرْدةَ فالغريفُ

هل تُبلغنّي ديارَ قومي * مَهْرِيَّةٌ سيرُها تلقيفُ

يا أُمَّ عثمانَ نوِّليني * هل ينفعُ الطائلُ الطفيفُ

وهذا شعرٌ على قريٍّ * أقفرَ من أهلهِ ملحوبُ * ومَنِ الذي نقلَ الى المغنّينَ في عصر هارونَ وبعدَهُ أنَّ هذا الشعرَ غنَّتْهُ الجرادتانِ * إنَّ ذلك لبعيدٌ في المعقول وما أجدرَهُ أن يكونَ مكذوباً * وقولك ومسفَّةٌ دهماءُ داجنةٌ ما أردتَ بهِ * وقولك ومُجلجلٌ دانٍ زبرجدُهُ * فيقول أبنُ أحمرَ أمَّا ذِكرُ الجرادتَينِ فلا يدُلُّ على أنّي خصصتُ قيلَ بنَ عترٍ وإنْ كانَ في الوفدِ الذي غنَّتْهُ الجرادتانِ لأنَّ العربَ صارت تُسمّي كلَّ قينةٍ جرادةً حملاً على أنَّ قينةً في الدهرِ الأوَّلِ كانت تُدعى الجرادة * قال الشاعر

تُغنّينا الجرادُ ونحنُ شَرْبٌ * نُعلُّ الرّاحَ خالطَها المَشُورُ

وَأما المُسفَّـة الدَّهماء فإنها القِدر * واما المُجلجَل الداني زَبَرْجَدُهُ فهو العُود وزبرجدُهُ ما حُسِّنَ منه أمَا تَسمعُ القائلَ يُسمّي ما تلوّنَ منَ السحابِ زِبرِجاً * ومن رَوَى مُجلجِلٌ بكسرِ الجيم أرادَ السَّحابَ

فيعجَبُ الشيخُ من هذه المَقالةِ ويقولُ كأنَّكَ أيُّها الرجُلُ وأنتَ عربيٌّ صميمٌ يُستَشهَدُ بألفاظِك وقَرِيضك تزعُمُ أنَّ الزَبرْجَد من الزِبرِج فهذا يُقوّي ما ادَّعاهُ صاحبُ العَين من أنَّ الدال زائدة في قولهم صَلَخْدَمَ واهل البَصْرةِ يَنفرُونَ من ذلك * فيُلهم اللهُ القادرَ بنَ أحمرَ عِلمَ التَصْرِيف ليُرِيَ الشيخَ بُرهانَ القُدرة فيقولُ ابنُ أحمرَ وما ذَا الذي أنكرتَ أن يكونَ الزِبرِجُ من لَفظ الزَبَرْجَد كأنَّ فعلاً صُرِّفَ من الزَبَرْجَد فلم يُمكِنْ أن يُجاء بحرُوفِهِ كُلِّها اذ كانت الافعالُ لا يكونُ فيها خمسةُ أحرُفٍ من الأُصُولِ فقيل زَبْرَجَ يُزَبْرِجُ ثُمَّ بُنِيَ من ذَلك الفعلِ اسمٌ فقيلَ زِبْرِجٌ ألاَ تَرَى أنَّهمْ اذا صغَّرُوا فرزدَقاً قالوا فُرَيزِدٌ واذا جمعوهُ قالوا فرازِدُ وليسَ ذَلكَ بدليلٍ على أنَّ القاف زائدة * فيقولُ خلَّدَ اللهُ ألفاظَهُ في دِيوانِ الأَدَبِ كأنَّكَ زعمْتَ أنَّ فعلاً أُخذَ منَ الزَبَرْجَد ثُمَّ بُنِيَ منهُ الزِبْرِج فقد لَزِمَكَ على هذا أنْ تكونَ الأفعالُ قبلَ الأسماء * فيقولُ ابنُ أحمرَ لا يلزمُني ذلك لأنّي جعلتُ زبرَجَداً أصلاً فيجوزُ أنْ يحدُثَ منه فُرُوعٌ ليس حُكمُها كحُكمِ الأُصُول * ألاَ ترَى أنَّهم يقولونَ إنَّ الفعلَ مُشتقٌّ من المَصدَر فهذا أصلٌ ثم يقولون الصفَـةُ الجاريةُ على الفعل يَعنُونَ الضاربَ والكريمَ وما كانَ نحوَهُما فليسَ قولُهم هذهِ المَقالةَ بدَليلٍ على أنَّ الصفةَ مُشتقَّـةٌ من الفعل إذْ كانتِ اسماً وحقُّ الأسماء أن تكونَ قبلَ الأفعالِ وإنَّما يُراد أنَّهُ يُنطَقُ بالفعلِ منها كثيراً *

ولِمُدَّعٍ أن يقولَ الفعلُ مُشتَقٌّ منَ المَصدَر فهو فَرْعٌ عليهِ والصفَةُ فَرْعٌ آخَرَ فيجوز أن يتَقدَّمْ أحدُ الفرْعَينِ على صاحبِهِ * ثم يذكُرُ لهُ أشياءَ مِن شِعرِه فيَجِدُه عن الجَواب مُستَعجِماً * إن نطَق نطَق مُحجِماً * فيقولُ أيُّكُمْ تميمُ بنُ أُبَيٍّ فيقول رَجلٌ منهم ها أنا ذا * فيقول أخبِرْني عن قولك

يا دارَ سلمى خلاءً لا أُكلّفُها * الا المرانةَ حتى تَسأَمَ الدِينا

ما أَرَدتَ بالمرانة * فقد قيل إنَّك أَردتَ اسمَ امرأَةٍ وقيل هي اسمُ أَمَةٍ وقيل العادة * فيقول تَميمٌ والله ما دَخلتُ من باب الفرْدَوْس ومعي كَلِمةٌ منَ الشعر ولا الرَجَز وذلك أنّي حُوسِبتُ حِساباً شَديداً وقيلَ لي كُنتَ فيمن قاتَلَ عليَّ بنَ أَبي طالبٍ * وانبرَى اليَّ النُجاشيُّ الحارثيُّ فما أَفلَتُّ منَ اللّهَب حتى سفَعَني سفَعاتٍ * وإنَّ حفظَك لَمُبقًى عليك كأَنَّك لم تَشهَد أهوالَ الحساب ومُنادي الحَشر يقولُ أينَ فُلانُ بنُ فُلان والشُوسُ الجَبابرةُ منَ المُلوك تَجذِبُهمُ الزَبانيَةُ الى الجحيم والنِسْوَةُ ذَواتُ التيجان يصرنَ بأَلسِنةٍ منَ الوَقُود فتأْخُذُ في فُرُوعِهنَّ وأَجسادِهنَّ فيَصِحْنَ هل من فِداءٍ هل من عُذْرٍ يُقام والشَبابُ من أَولادِ الأَكاسِرة يتَضاغَوْنَ في سَلاسلِ النار ويقولون نحنُ أَصحابُ الكُنوز نحنُ أربابُ الفانيــة ولقدكانت لنا الى الناس صنائعُ وأَيادٍ فلا فادِيَ ولا مُعين. فهتَف داعٍ من قِبَل العَرْشِ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ * لَقَدْ جاءَتكم الرُسُل في زَمانٍ بعدَ زَمانٍ وبَذَلتُ لكُمْ ما وُكِّدَ منَ الأَيمانِ وقيل لكم في الكتاب وَٱتَّقُوا يَوْماً تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ * فكُنتم في لَذَّاتِ الساخرةِ واغلِين * وعن أَعمالِ الآخِرةِ مُتَشاغِلين * فالآنَ

ظهر النبأُ لاظُلمَ اليومَ إنَّ اللهَ قد حكَمَ بينَ العباد * فيقولُ أَنطقَهُ الله بكلّ فضْلٍ إن شآءَ ربُّهُ أَن يقول أَنا أَقصُّ عليك قصتي لمَّا نهضتُ أَتنفضُ من الرَّيم وحضَرتُ حرَصاتِ القِيامة * والحرَصاتُ مِثلُ العرَصاتِ أُبدِلَت الحآء من العين * ذكرتُ الآيةَ تعرُجُ ٱلملائكةُ والرُّوحُ إليهِ في يومٍ كانَ مقدارُهُ خمسينَ أَلفَ سنَةٍ فاصبِرْ صبْراً جميلاً * فطالَ عليَّ الأَمدُ * واشتدَّ الظَّمأُ والومَدُ * والومَدُ شدَّةُ الحرّ وسكُونُ الريح كما قال اخوكم النُّميري

كأَنَّ بيْضَ نَعامٍ في ملاحِفِها * جلاهُ طَلٌّ وقيظٌ ليلُهُ ومِدُ

وأَنا رجُلٌ مِهيافٌ اي سريعُ العطَشِ فأفتكرتُ فرأيتُ أَمراً لا قِوامَ لمثلي بهِ ولقيَني المَلَكُ الحَفيظُ بما زبرَ لي من فعلِ الخير فوجَدتُ حسناتي قليلةً كالنُّفأ في العام الأَرمل * والنُّفأُ الرياض والأَرمل قليل المطر * الاّ أَنَّ التوبة في آخرها كأَنها مِصباحُ أَبيل * رُفع لسالك السبيل * فلمَّا أَقمتُ في الموقف زُهاءَ شهرٍ او شهرَين وخفت من الغرَق * في العرَق * زيَّنَت ليَ النفسُ الكاذبة أَنْ أَنظِمَ أَبياتاً في رِضوان * خازنِ الجِنان * عَمِلتُها في وزن قفا نبكِ من ذِكرى حبيبٍ وعِرفان * ووسَمتُها برِضوان * ثم ضانكتُ الناسَ حتى وقفتُ منهُ بحيثُ يَسمَعُ ويرَى فما حفَلَ بي ولا أَظنُّهُ أَبَهَ لِما اقول فغبَرْتُ بُرهةَ نحوِ عشَرةِ أَيَّامٍ من أَيام الفانية ثمَّ عملتُ ابياتاً في وزن

بانَ الخليطُ ولو طُوْوِعتُ ما بانا * وقطَّعوا من حبال الوصل أَقرانا

ووسَمتُها برِضوان ثم دَنوتُ منهُ ففعلتُ كفعليَ الأَوَّل فكأَني أُحرّكُ ثبيرا * وأَلتمسُ من العضرم عبيرا * والعضرم تُرابٌ يُشبه الجِصّ * فلم أَزل أَتتبَّعُ الأَوزانَ التي يُمكِنُ أَن يُوسَمَ بها رِضوانُ حتى أَفنيتُها وأَنا لا أَجدُ عنده

مغوثة ولا ظَنَنته فهم ما أقول * فلمَّا أستقصيتُ الغرضَ فما أنجحتُ دَعوتُ بأعلى صوتي يا رِضوانُ يا أمينَ الجبَّار الأعظم على الفراديس ألم تَسمَع نِدائي بك واستغاثتي اليك * فقال لَقد سَمِعتُك تذكُر رِضوانَ وما علمتُ مقصَدك فما الذي تطلُبُ أيُّها المسكين * فاقولُ انا رَجلٌ لا صبرَ لي على اللُّوابِ اي العَطَش وقد استَطَلتُ مُدَّةَ الحِساب ومعي صَكٌّ بالتَوْبة وهي للذُنوب كُلّها ماحِيَة وقد مَدَحتُك بأشعارٍ كثيرةٍ ووَسَمتُها بأسمك * فقال وما الأشعار فإنّي لم أسمَع بهذه الكَلِمة قطُّ الاّ الساعةَ * فقُلتُ الأشعارُ جمعُ شِعرٍ والشِعر كَلامٌ مَوزون تَقبَلُهُ الغَريزة على شرائط إن زادَ أو نَقصَ أبانَهُ الحِسّ * وكانَ أهلُ العاجلة يَتقرَّبون به الى المُلوك والسادات فجئتُ بِشيْءٍ منه إليك لَعلَّكَ تأذَنُ لي بالدُخول في هذا الباب فقدِ أستَطَلتُ ما الناسُ فيه وانا ضَعيفٌ مَنينٌ ولا رَيبَ أنّي مِمَّن يرجو المَغفِرة وتَصِحُّ له بمَشيئة اللهِ تعالى * فقال إنَّكَ لَغَبينُ الرَّأي أتأمُلُ أن آذَنَ لك بغَيرِ إذنٍ من رَبّ العِزَّة هيهات هيهات وأنَّى لهمُ التناوُشُ من مكانٍ بعيد * فتَركتُهُ وانصرفتُ بأَمَلي الى خازنٍ آخرَ يُقال لهُ زُفَر فعَملتُ كَلمة ووَسَمتُها بإسمِه في وزن قول لَبيد

تَمنَّى أبنتايَ أن يَعيشَ أبُوهما * وهل أنا الاّ من رَبيعةَ او مُضَرْ

وقربتُ منه فأنشدتُها فكأني إنَّما اخاطبُ رَكُوداً صمّاء * لأستَنزِلَ أبُوداً عصماء * ولم أترُكْ وَزناً مُقيَّداً ولا مُطلَقاً يجوزُ ان يُوسَم بزُفَر * الا وَسَمته به فما نَجع ولا غيّر * فقُلتُ رَحمكَ اللهُ كُنَّا في الدار الذاهبة تَتقرَّبُ الى الرئيس والمَلك بالبيتَينِ أو الثلاثة فنَجِدُ عندهُ ما نُحبّ وقد نَظَمتُ فيك ما لو جُمع لَكان دِيواناً وكأنَّك ما سَمِعتَ لي زَجْمة اي كَلِمة * فقال لا أشعُرُ

بالذي حَمَمْتَ اي قَصَدتَ وأَحسَبُ هذا الذي تجيئني به قرآن إبليسَ المارد ولا يَنفقُ على الملائكة إنَّما هو للجانّ وعلَّموهُ وَلَدَ آدم فما بغيتك فذكرتُ لهُ ما أُريد فقال والله ما أَقدرُ لك على نَفع * ولا أَملكُ لخلقٍ من شفع * فمن أيّ الأُمَم أنت * فقلت من أُمَّة محمّدِ بنِ عبدِ الله بنِ عبدِ المُطَّلِب * فقال صَدَقتَ ذلك نبيُّ العرَبِ ومِن تلك الجِهَة أَتيتني بالقريض لأَنَّ إبليسَ اللعينَ نَفَثَهُ في إِقليم العرَب فتَعلَّمهُ نِساءٌ ورِجال وقد وَجبَ عليَّ نُصحُك فعليك بصاحبِك لعَلَّهُ يَتوصَّل الى ما ابتَغيتَ * فيَئستُ مما عندَه فجعلتُ أَتخلَّلُ العالَم فاذا انا برَجُلٍ عليه نورٌ يَتلألأُ وحَواليه رِجال تأتلِق منهم أنوار * فقلتُ مَن هذا الرَجُل فقيل هذا حَمزةُ بنُ عبد المطَّلِب صريعُ وَحشيّ وهؤلاء الذين حولَهُ مَنِ استُشهِدَ من المُسلمينَ في أُحدٍ * فقلتُ لنفسيَ الكذوبِ الشعرُ عندَ هذا أنفقُ منهُ عند خازن الجِنان لأَنَّهُ شاعر وإِخوتُهُ شُعرآء وكذلك أبوه وجَدُّه ولعلَّه ليسَ بَينَه وبين مَعَدِّ بنِ عَدنانَ إلّا مَن قد نظَم شيئاً من مَوزون فعمِلتُ أبياتاً على منهج أبيات كَعبِ بنِ مالكٍ التي رثَى بها حَمزةَ وأَوّلها

صفيّةُ قومي ولا تَعجزي * وبكّي النسآءَ على حَمزَة

وجئتُ حتى وليتُ منهُ فناديتُ يا سيّدَ الشهدآء يا عمَّ رسول الله صلى اللهُ عليهِ وسلَّم يا ابنَ عبدالمُطَّلِب * فلمَّا أقبَلَ عليَّ بوجهه أنشدتُه الأبياتَ فقال ويحكَ أَفي مثل هذا الموطن تجيئني بالمَديح أما سمعتَ الآية لِكُلِّ امرِئٍ منهُم يومَئذٍ شانٌ يُغنيهِ * فقلت بلى قد سمعتُها وسمعتُ ما بعدَها وُجوهٌ يومئذٍ مُسفِرَةٌ * ضاحكةٌ مستبشرةٌ * ووجوهٌ يومئذٍ عليها غَبرَةٌ * ترهقُها قتَرَةٌ * أُولئِكَ هُمُ الكفرةُ الفجرةُ * فقال إِنّي لا أَقدرُ على ما تَطلُب ولكن أُنفذُ

مَعك تَوْرًا اي رَسُولاً الى ابنِ أَخي عليّ بنِ أَبي طالبٍ ليُخاطِبَ النبيَّ صلى الله عليه وسلّم في أَمرِكَ فبَعَثَ معي رَجلاً فلمَّا قصَّ قصتّي على امير المؤْمنين قال أَينَ بَيِّنَتُكَ يَعني صحيفةَ حسَناتي * وكُنتُ قد رأَيتُ في المَحْشَرِ شيخاً لنا كان يُدَرِّسُ النحْوَ في الدار العاجلة يُعرَفُ بأَبي عليٍّ الفارسيّ وقد امتَرَس به قومٌ يُطالِبُونَهُ ويقُولونَ تأَوَّلتَ علينا وظَلَمتَنا . فلمَّا رآني أَشار اليَّ بيَدِهِ فجِئتُهُ فإِذا عِندَهُ طَبَقة منهم يَزيدُ بْنُ الحَكَم الكِلابيُّ وهُوَ يقول وَيحَك أَنشَدتَ عنّي هذا البيتَ برفع الماء يَعني قولَه

فلَيتَ كَفافاً كانَ شرُّكَ كُلُّهُ　　　وخَيرُكَ عني ما ارتَوَى الماءَ مُرتَوِي

ولم أَقلِ الاَّ الماءَ . وكذلك زَعَمتَ أَنّي فتحتُ الميم في قولي

تَبَدَّلْ خليلاً بي كَشَكْلِكَ شَكلُهُ　　　فإِني خليلاً صالحاً بكَ مُقْتَوِي

وانما قلتُ مُقتوِي بضم الميم . وإِذا هناكَ راجزٌ يقول تأَوَّلت عليَّ أَنّي قلتُ

يا إِبلي ما ذنبُه فتأْبيَه　　　ماءٌ رَوَآءٌ ونصيٌّ حَوْلَيَهْ

فحرَّكتَ الياءَ في تابِيه وواللهِ ما فعلتُ ولا غيري من العرب . واذا رجلٌ آخرُ يقول ادَّعيتَ عليَّ ان الهاءَ راجعةٌ على الدَرْسِ في قولي

هذا سُراقةُ للقرآنِ يَدْرُسُه　　　وَالمرءُ عِند الرُشى إِنْ يَلقَها ذِيبُ

أَفمجنونٌ أَنا حتّى أَعتقدَ ذلك . وإِذا جماعةٌ مِن هذا الجِنس كُلُّهمْ يلُومونَهُ على تأويلِهِ فقلت يا قوم ان هذه أُمورٌ هَيِّنةٌ فلا تُعنِتُوا هذا الشيخَ فانهُ يَمُتُّ بِكتابهِ في القُرآن المَعروفِ بكِتاب الحُجّة وإِنهُ ما سَفَكَ لكم دَماً ولا احتَجنَ عنكم مالاً * فتفرَّقُوا عنه وشُغِلتُ بخطابهم والنظرِ في حَوِيرِهِم فسقَطَ مِنّي الكِتابُ الذي فيه ذِكرُ التَّوْبة فرجَعتُ أَطلُبُه فما وَجدتُه فأَظهرتُ

الوَلَهَ والجزَعَ * فقال أَميرُ المؤمنِين لاَ عَليك أَلكَ شاهدٌ بالتَوْبة فقُلتُ نعم قاضِي حلَبَ وعُدولُها * فقال بمَن يُعرَف ذلك الرَجُل * فأَقولُ بعبد المُنعِمِ ابنِ عبدِ الكريمِ قاضي حلَبَ حرَسَها اللهُ في أَيّامِ شِبْلِ الدَّوْلةِ * فأَقامَ هاتفاً يَهتِفُ في الموقِف يا عبدَ المنعِمِ بنَ عبدِ الكريم قاضِيَ حلبَ في زَمانِ شبل الدَولة هل معَكَ علمٌ من تَوبةِ عليٍّ بنِ منصورِ بنِ طالبٍ الحَلَبيِّ الأَديبِ فلم يُجبهُ أَحَد * فأَخذَني الهَلَع والقِلّ اي الرعدة * ثم هتَفَ الثانيةَ فلم يُجِبهُ مُجيبٌ * فَلِيحَ بي عِنـدَ ذلك اي صُرِعتُ الى الأَرض * ثم نادى الثالثة فاجابهُ قائلٌ يقول نعَمْ قد شهِدتُ تَوبةَ عليّ بنِ منصورٍ وذلك بأَخرَةٍ منَ الوَقت وحضَرَتْ متابَهُ عِندي جماعةٌ منَ العُدُول وأَنا يومَئذٍ قاضي حَلَبَ وأَعمـالها واللهُ المُستعان * فعندَها نهَضتُ وقد أَخذتُ الرمَقَ فذَكَرتُ لأَميرِ المُؤمنينَ عليه السَلامُ ما أَلتَمسُ فأَعرَضَ عنّي وقال إِنَّكَ لَترُومُ جدَدًا مُمتَنِعاً ولك أُسوةٌ بوَلَدِ أَبيك آدَمَ * وهمَمتُ بالحَوْضِ فكدتُ لا أَصِلُ اليهِ ثم نَغَبتُ منه نُغَباتٍ لاظمأَ بعدَها واذا الكَفَرَةُ يَحمِلون أَنفُسَهم على الوِرْدِ فتَذُودُهمُ الزَبانيَةُ بِعِصيٍّ تَضطَرِمُ نارًا فيَرجِعُ أَحدُهم وقدِ احترَقَ وَجهُهُ او يَدُهُ وهو يدعو بوَيْلٍ وثُبُورٍ * فطُفتُ على العِترةِ المُنتخَبينَ فقلتُ إِني كنتُ في الدّار الذاهبـة اذا كَتَبتُ كتاباً وفرَغتُ منه قُلتُ في آخِرِهِ وصلَّى اللهُ على سيّدِنا محمّدٍ خاتَمِ النبيّينَ وعلى عترَتهِ الأَخيار الطيّبينَ وهذه حُرْمةٌ لي ووَسيلةٌ * فقالوا ما نَصنَعُ بكَ * فقُلتُ إِنَّ مولاتَنا فاطمةَ عليها السلامُ قد دَخلَتِ الجَنَّة مُذ دَهرٍ وإِنها تَخرُجُ في كل حينٍ مقدارُهُ اربعٌ وعِشرُونَ ساعةً من ساعاتِ الدُنيا الفانيةِ فتُسَلِّمُ على أَبيها وهو قائمٌ لِشهادةِ القضاءِ ثم

تعودُ الى مُستقرّها من الجنان فاذا هي خرجتْ كالعادة فاسألوها في أمري بأجمعكم فلعلّها تسألُ أباها فيَّ * فلمّا حان خروجها ونادى الهاتفُ أنْ غضّوا أبصاركُمْ يا أهلَ الموْقف حتى تعبُرَ فاطمةُ بنتُ محمّد صلى الله عليه اجتمع من آلِ أبي طالبٍ خلقٌ كثيرٌ منَ ذكورٍ وإناثٍ ممّن لم يَشربْ خمراً ولا عرَف قطُّ منكراً فلقوها في بعض السبيل فلمّا رأتهمْ قالتْ ما بالُ هذه الزرافةِ ألكمْ حالٌ تُذكرُ * فقالوا نحنُ بخيرٍ إنّا نلتذُّ بتحفِ أهل الجنّةِ غيرَ أنّا محبوسون للكلمةِ السابقة ولا نُريدُ أنْ نتسرّعَ الى الجنّةِ منْ قبْل الميقاتِ اذ كُنّا آمنينَ ناعمينَ بدليل قولهِ إنّ الّذينَ سبقتْ لهُمْ منّا الْحسْنَى أولئكَ عنْهَا مبْعَدُونَ * لاَ يسمْعُونَ حَسِيسَهَا وَهمْ فيمَا اشْتهَتْ أنفسهمْ خالِدُونَ * لاَ يحْزنُهُمُ الْفزَعُ الأكبَرُ وَتتَلقّاهمُ الْملائكةُ هذَا يوْمُكمُ الّذي كنْتمْ توعدُونَ * وكان فيهم عليُّ بنُ الحسيْن وابناهُ محمّدٌ وزيدٌ وغيرُهم منَ الأبرارِ الصالحينَ ومع فاطمةَ عليها السلامُ امرأةٌ أخرى تجْري مجْراها في الشّرَفِ والجَلالة فقيلَ مَنْ هذهِ فقيل خديجةُ بنتُ خُويْلدِ بنِ أسدِ بنِ عبد العُزّى ومعهما شَبابٌ على أفراسٍ منْ نورٍ فقيل مَنْ هؤلاء فقيل عبدُ اللهِ والقاسمُ والطيّبُ والطاهرُ وابراهيمُ بنُو محمّدٍ صلّى اللهُ عليهِ * فقالتْ تلك الجماعةُ التي سألتُ هذا وليٌّ من أوليآئنا قد صحّتْ توْبتُهُ ولاَ ريبَ أنّهُ من أهلِ الجنّةِ وقد توَسّلَ بنا اليكِ صلّى اللهُ عليكِ في ان يُراحَ من اهوالِ الموقف ويَصيرَ الى الجنّة فيتعجّلَ الفوزَ * فقالت لأخيها إبراهيمَ صلّى اللهُ عليهِ دُونَكَ الرجلَ * فقال لي تعلّقْ بركابي وجعلَتْ تلكَ الخيلُ تخلّلُ الناسَ وتنكشفُ لها الأممُ والأجيالُ * فلما عظُمَ الزحامُ طارتْ في الهوآء وأنا متعلّقٌ بالركابِ فوقفتْ عند

مُحمَّدٍ صلَّى اللهُ عليه فقال مَنْ هذا الأَتاويُّ * اي الغَريب * فقالَتْ له هذا رجلٌ سأَلَ فيهِ فُلانٌ وفلانٌ * وسمَّت جماعةً منَ الأَئمَّة الطاهرِينَ * فقال حتَّى يُنْظَرَ في عمَله فسأَلَ عن عَملي فوُجِدَ في الديوانِ الأَعظَم وقد خُتِمَ بالتَّوبة فَشفَعَ لي فأُذِنَ لي في الدُّخُول * ولمَّا انصرفَتِ الزَّهراءُ عليها السلامُ تعلَّقتُ بركاب إبراهيمَ صلَّى اللهُ عليهِ فلمَّا خَلَصتُ من تلك الطُّموشِ قيلَ لي هذا الصِّراطُ فاْعبُرْ عليهِ فوَجدتُهُ خاليًا لا عَرِيبَ عندهُ فبلَوْتُ نفسي في العُبور فوَجدتُني لا أَستَمسكُ * فقالتِ الزَهراءُ صلَّى اللهُ عليها لجاريةٍ من جوارِيها يافُلانةُ أَجيزيهِ فجعلَتْ تُمارسُني وانا أَتساقَطُ عن يَمينٍ وشِمالٍ فقلتُ يا هذِه إنْ أَردتِ سلامتي فاْستعمِلي معي قولَ القائل في الدار العاجلة

ستِّ إنْ أَعياكِ أَمري * فاْحمليني زَقفُونَهْ

فقالت وما زَقفُونَه * قلتُ أَنْ يَطرحَ الانسانُ يدَيهِ على كَتفَيِ الآخرِ ويُمسكَ بِيدَيه ويحملَهُ وبطنُهُ الى ظَهرِهِ * اما سَمعتِ قولَ الجَحْجَلُولِ مَن اهلِ كَفرطاب

صلَحتْ حالتي الى الخَلفِ حتَّى * صرتُ أَمْشي الى الوَرى زَقفُونَهْ

فقالت ما سَمعتُ بزَقفُونَه ولا الجَحْجَلُولِ ولا كَفرَطابَ إلاَّ الساعةَ * فتَحملُني وتجُوزُ كالبَرْقِ الخاطف فلما جُزتُ قالتِ الزَهراءُ عليها السلامُ قد وَهبْنا لك هذه الجاريةَ فخُذْها كَيْ تخدُمكَ في الجِنانِ * فلمَّا صِرتُ الى باب الجَنَّة قال لي رِضوانُ هَل معَكَ مِن جوَازٍ فقلت لا فقال لا سبيلَ الى الدخول إلاَّ بهِ فبَعلتُ بالامر * وعلَى باب الجَنَّةِ مِنْ داخلٍ شَجرةُ صفْصافٍ فقلتُ أَعطِني ورَقةً من هذه الصَّفصافةِ حتى أَرجعَ الى المَوقف فآخُذَ عليها جوازًا * فقالَ لا أُخرِجُ شيئًا منَ الجَنَّةِ الا بإذنٍ منَ العَليِّ الأَعلَى تقدَّسَ وتبارَكَ * فلمَّا دَجِرْتُ بالنازلة

قلتُ إِنَّا للهِ وانَّا اليهِ راجعونَ لوْ أَنَّ للأمير ابي المرُجَّى خازناً مِثلَكَ ما وَصلَتُ أَنا ولا غيري الى قُرقُوفٍ منْ خزائنهِ * والقُرقُوفُ الدِرهَمُ * والتفَتَ ابراهيمُ صلَّى اللهُ عليهِ فرآني وقد تخلَّفتُ عنه فرَجَعَ إِليَّ فجذَبني جذْبةً حصَّلَني بها في الجنَّة وكان مُقامي في المَوقف مُدَّةَ ستَّةِ أَشهرٍ من شُهورِ العاجلة فلذلك بَقِيَ عليَّ حِفظي ما نزَفتْهُ الاهوالُ ولاَ نَهكَهُ تدقيقُ الحسابِ فأيُّكم راعِي الإِبلِ * فيقُولُون هذا فيُسلِّمُ عليهِ الشيخُ ويقولُ ارجوان لاأَجدَكَ مثل أَصحابِك صِفْراً من حِفظِكَ وعرَبيَّتِك * فيقولُ أَرجُو ذلكَ فأَسأَلني ولا تُطِيلَنَّ فيقولُ أَحَقٌّ ما رَوَى عنك سِيبَوَيهِ في قصيدتكَ اللاميةِ التي تَمدَحُ بها عبدَ المَلك بنَ مَرْوانَ من أَنَّك تَنْصِبُ الجماعة في قَولك

أَيَّامَ قومِي وَالجماعةَ كالذِي * لزِمَ ٱلرِحالةَ أَنْ تَميلَ مَميلا

فيقول حقٌّ ذلك * وينصرفُ عنهُ رشِيداً الى حُمَيْدِ بنِ ثَورٍ فيقولُ إِيهٍ يا حُمَيدُ لَقدْ أَحسنتَ في قولك

أَرَى بصَري قد رابَني بَعْدَ صِحَّةٍ * وحَسْبُكَ داءً أَنْ تَصِحَّ وتَسلَما

ولن يَلبَثَ ٱلعَصْرانِ يومٌ وليلةٌ * اذا طَلَبَا أَنْ يُدرِكا ما تَيمَّما

فكيفَ بصَرُكَ اليومَ فيقولُ إِنِّي لأَكُونُ في مَغارِبِ الجنَّةِ فأَلمحُ الصَدِيقَ مِنْ أَصدِقائي وهو بمَشارِقِها وبَيْني وبَيْنَهُ مَسِيرةُ الوفِ أَعوامٍ للشمسِ التي عرَفتَ سُرْعةَ مَسِيرِها في العاجلة فتعالى اللهُ القادرُ على كل بديع * فيقول لَقَدْ أَحسَنْتَ في الداليَّةِ التي أَوَّلُها

جِلبَّانَةٌ وَرْهاءُ تَخْصِي حِمارَها * بَفِي مَنْ بَغَى خيْراً لَدَيها الجَلامِدُ

إِزَاءَ مَعَاشٍ لا يزالُ نِطاقُها * شَدِيداً وفيها سَوْرَةٌ وَهْيَ قاعدُ

تَتابَعَ أعوامٌ عليها هزَلْنَها * وأقبلَ عامٌ يُنعِشُ النَّاسَ واحدُ

فيقول حُمَيدٌ لَقَدْ ذَهِلْتُ عَن كلّ ميمٍ ودال* وشُغِلْتُ بِمُلَاعَبَةِ حُورٍ خِدال*

فيقولُ أمثلُ هذه الداليّة تُرفَضُ وفيها

عَضمَرَّةٌ فيها بَقَاءٌ وشِدَّةٌ * وَوَالٍ لها بادِي النصيحةِ جاهدُ

اذا ما دَعا أَجْيادَ جاءَتْ خَناجِرٌ * لَهاميمُ لا يَمْشِي إليهن قائدُ

فجاءَتْ بمعيُوفِ الشَريعة مُكْلَعٍ * أَرَشَّتْ عليهِ بالأَكُفِّ السواعدُ

وفيها الصِفَةُ التي ظَنَنتُ القُطَاميَّ أخذها منك وقد يجوز ان يكونَ سبقَكَ لأنَّكما في عَصرٍ واحد وذلك قولك

تَأَوَّبَها في ليلِ نَحسٍ وَقِرَّةٍ * خَليلي ابو الخَشخاشِ والليلُ باردُ

فقَامَ يُصادِيها فقَالَتْ تُريدُني * على الزَادِ شَكلٌ بَينَنا مُتَباعدُ

اذا قال مَهلاً أسجِحِي لَمَحَتْ لَهُ * بِزَرْقاءَ لم تدخُلْ عليها المَراوِدُ

كانَ حِجَاجَيْ رَأْسِها في مُلَيّمٍ * مِنَ الصَخْرِ جَوْنٍ أخلَقَتْهُ المَوارِدُ

هذهِ الصِفَةَ نحوٌ من قول القُطَاميّ

تَلَفَّعْتُ في طَلٍّ وَرِيحٍ تَلُفُّني * وفي طِرْمِساءَ غَيرِ ذاتِ كَواكِبِ

الى حَيْزَبونٍ تُوقِدُ النارَ بَعدَ ما * تَصَوَّبَتِ الجوزاءُ قصدَ المغاربِ

فما راعها إلاَّ بُغَامُ مَطِيّةٍ * تَرُوحُ بمَحْسُورٍ منَ الصَوْتِ لاغِبِ

وجُنَّتْ جُنُوناً من دِلاثٍ مُناخةٍ * ومنْ رَجُلٍ عاري الأَشاجعِ شاحِبِ

تَقُولُ وقد قَرَّبْتُ كُوري وناقَتِي * اليكَ فلا تَذْعَرْ عليَّ ركائِبي

والأبياتُ معروفةٌ * وقلتَ في هذهِ القصيدة

فَجاءَ بذِي أَوْنَيْنِ أَعبَرَ شَأنُهُ * وعمّرَ حتّى قِيلَ هَلْ هُوَ خالدُ

فعزّاهُ حتى أسنداهُ كأنهُ * على القروِ علفوفٌ منَ التركِ سانِدُ

وفيها ذكر الزُّبدة

فلمَّا تجلَّى الليلُ عنها وأسفرت * وفي غلسِ الصبحِ الشخوصُ الأباعدُ

رمى عينَها منهُ بصفراءَ جعدةٍ * عليها تُعانيهِ وعنها تُراوِدُ

فيقول حُميدٌ لقد شُغِلتُ عن زُبَد * وَطَرْدِ النافرة من الزُّبد * بما وَهَبَ لي ربّي الكريمُ ولا خوفَ عليَّ ولا حزنَ * ولقد كان الرجلُ منا يُعمِلُ فكرَهُ السَّنةَ وَالأشهرَ في الرجلِ قد آتاهُ اللهُ الشرفَ والمالَ فربَّما رجعَ بالخيبة وان أعطى فعطآءٌ زهيدٌ ولكنَّ النظمَ فضيلةُ العرب * ويَعرِضُ لهم لبيدُ ابنُ ربيعةَ فيدعوهمْ الى منزلِهِ بالقيسيَّةِ ويُقسِمُ عليهِمْ ليَذهبنَّ معهُمْ فيمشونَ قليلاً فإذا هم بأبياتٍ ثلاثةٍ ليسَ في الجنَّة نظيرُها بهآءً وحُسناً فيقولُ لبيدٌ أتعرفُ أيُّها الأديبُ الحلبيُّ هذهِ الابياتَ فيقولُ لا والذي حجَّتِ القبائلُ كعبتَه فيقول أمَّا الأوَّلُ فقولي

إنَّ تقوى ربِّنا خيرُ نفَلْ * وبإذنِ اللهِ ريثي وعَجَلْ

وأمَّا الثاني فهو قولي

أحمدُ اللهَ فلا ندَّ لهُ * بيديهِ الخيرُ ما شآءَ فعَلْ

واما الثالثُ فقولي

مَنْ هداهُ سُبُلَ الخيرِ اهتدى * ناعمَ البالِ ومَنْ شآءَ أضلْ

صيَّرَها ربِّي اللطيفُ الخبيرُ أبياتاً في الجنَّةِ أسكنُها أُخرى الأبدِ * وأنعمُ نعيمَ المُخلَّد * فيَعجبُ هو وأُولئك القومُ ويقولون إنَّ اللهَ قديرٌ على ما أرادَ ويبدو له * أيَّدَ اللهُ مجدَه بالتأبيد * أنْ يصنعَ مأدُبةً في الجِنانِ يجمعُ فيها من

أمكنَ من شُعرآء الخَضرَمة والإسلام والذين أصَّلوا كلامَ العرب * وجعلوهُ محفوظاً في الكتُب * وغيرهم ممَّنْ يتأنَّس بقليلِ الأدَب * فيَخطُرُ لهُ أن تكونَ كمآدِب الدار العاجلة إذ كانَ الباريُ جلَّت عظَمَتُهُ لا يُعجِزُهُ أنْ يأتيَهمْ بجميعِ الأغراض مِن غيرِ كُلفةٍ ولا إبطآء فتُنشأُ أرحآء على الكوثَر تُجعجِعُ لِطَحنِ برٍّ مِنْ برِّ الجَنَّةِ وإنهُ لأفضَلُ من برِّ الهُذَليِّ الذي قال فيه

لا دَرَّ دَرِّيَ إنْ أطعمتُ رائدَكُمْ * قِرْفَ الحَتيِّ وعندي البُرُّ مكنوزُ

بمقدار تَفضُلُ به السمواتُ الأرَضينَ * فيقترِحُ أمضَى القادرُ لهُ اقتراحَهُ أنْ تحضُرَ بيْنَ يدَيْه جَوارٍ مِنَ الحُور العين يحمِلْنَ بأرحآء اليَدِ فرَحىً من دُرٍّ ورَحىً من عَسجَدٍ وأرحآء لم يرَ أهلُ العاجلة شيئاً من شكل جواهرِهِنَّ فاذا نظَرَ إليهنَّ حمِدَ اللهَ سُبحانَهُ على ما منَحَ وذكَر قولَ الراجز

أعدَدتُ للضيفِ وللجيرانِ * حوريَّتَينِ تَتعاوَرانِ

لا تَرأمانِ وهُما ظئرانِ

يَصِفُ رَحى اليَد * ويَتبسَّمُ إليهنَّ ويقولُ طَحنَّ شَزْرًا وبتًّا * فيقُلْنَ ما شَزْرٌ وما بَتٌّ فيقولُ الشَزرُ على أيمانكُنَّ والبَتُّ على شمائلكُنَّ أما سَمِعتُنَّ قولَ القائلِ

ونُصبِحُ بالغَداةِ أترَّ شيْءٍ * ونُمسي بالعَشيِّ طَلَنْفَحينا

ونَطحَنُ بالرَحى شَزْراً وبتًّا * ولو نُعطَى المَغازلَ ما عَيِينا

ويقال إنَّ هذا الشعرَ لرَجُل أُسِرَ فكتَبَ الى قومِهِ بذلك * ويَجِسُّ في صدرِهِ عمَرَهُ اللهُ بالسُرور أرحآءَ تدُورُ فيها البهائمُ فيمثُلُ بين يدَيهِ ما شآءَ اللهُ مِنَ البُيوت فيها أحجارٌ مِنْ جواهرِ الجَنَّةِ تُديرُ بعضَها جِمالٌ تسُومُ في عِضاهِ الفِردَوسِ وأينُقٌ لا تَعطِفُ على الحِيرَان وصنُوفٌ مِنَ البِغالِ والبقَرِ وبَنَاتِ

صَعْدَةَ فإِذا اجتمعَ مِنَ الطحْنِ ما يُظَنُّ أنَّهُ كافٍ للمأدُبَةِ تفرَّقَ خَدَمُهُ من الوِلدانِ المُخَلَّدِين فجاءُوا بالعَمارِيسِ * وهي الجِداءُ * وضروبِ الطيرِ التي جرَتِ العادةُ بأكلِها كأنجاجِ العَكارِمِ وجوازلِ الطواويسِ والسَّمِينِ من دَجاجِ الرحمَةِ وفَرارِيجِ الخُلْدِ وسِيقَتِ البقرُ والغنمُ والإبلُ لتُعْتَبَطَ فارتفع رُغاءُ العكَرِ ويُعارُ المعزِ وثُؤاجُ الضأنِ وصِياحُ الدِّيَكَةِ لعِيانِ المُدْيَةِ وذلك كلُّه بحمد الله لا أَلَمَ فيهِ وإنَّما هو جِدٌّ مِثْلُ اللَّعِبِ فلا إلهَ الا اللهُ الذي ابتدَعَ خَلْقَهُ من غيرِ رَوِيَّةٍ وصَوَّرَهُ بِلاَ مِثَالٍ * فاذا حصلَتِ النُحُوضُ فوق الأوفاضِ * والأوفاضُ مِثْلُ الأوضامِ بلغةِ طَيِّءٍ *قال زادَ اللهُ أمرَه من النَفاذِ أحضِروا مَن في الجنَّةِ من الطُهاةِ الساكنِينَ بحَلَبَ على مَرِّ الازمانِ فتَحضُرُ جَماعةٌ كثيرةٌ فيأمُرُهُمْ باتّخاذِ الأطعمةِ وتلك لذَّةٌ يَهَبُها اللهُ عزَّ سُلطانُه بدليلِ قولِه وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ * فإِذا أتتِ الأطعمةُ افترَقَ غِلمانُهُ الذين كأنَّهم اللؤلؤُ المكنونُ لإحضارِ المَدْعُوِّينَ فلا يترُكونَ في الجنَّةِ شاعراً إسلامياً ولا مُخَضْرَماً ولا عالماً بشيءٍ من أصنافِ العلومِ ولا متأدِّباً إلاّ أحضَرُوه فيجتمِعُ بَجْدٌ عظيمٌ * والبَجْدُ الخلقُ الكثيرُ قال الشاعرُ

تطُوفُ البُجُودُ بأبوابهِ * من الضُرِّ في أزَماتِ السِنينا

فتُوضَعُ الخُونُ من الذهَبِ والفَواثيرُ مِنَ اللُجَيْنِ ويجلِسُ عليها الآكلونَ وتُنقَلُ إليهِم الصِحافُ فتُقِيمُ الصَحْفَةُ لَدَيْهِم وهم يُصِيبُون مما ضُمِّنَتْهُ كَعُمْرِ كَوِيٍّ وسُرَيٍّ * وهما النَّسْرانِ مِنَ النجُومِ * فاذا قَضَوُا الأربَ مِنَ الطعام

جاءَتِ السُّقاة باصنافِ الأشرِبَة * والمُسمِعاتُ بالأصوات المُطرِبَة * ويقولُ لافتىً ناطقاً بالصواب عليَّ بمَن في الجنَّة منَ المُغنّين والمُغنّيات ممَّن كان في الدار العاجلة فقُضِيَتْ له التوْبة فتحضُرُ جماعة كثيرة من رِجال ونِساء فيهم الغَريضُ ومعبَدٌ وابنُ مِسجَح وابنُ سُرَيْج الى ان يحضُرَ ابراهيمُ الموْصِليُّ وابنُهُ اسحاقُ * فيقول قائل منَ الجماعةِ وقد رأى أسرابَ قِيانٍ قد حضَرْنَ مثْلَ بَصيصَ ودَنانيرَ وعنانَ منَ العَجَب أنَّ الجرادتَيْنِ في أقاصي الجنَّة * فإذا سَمِع ذلك لا يبرَحُ سَمْعُهُ مطروقاً بما يُبْهِجُهُ قال لابُدَّ مِنْ حضُورهِما * فيركَبُ بعضُ الخدَم ناقةً من نُوقِ الجنة ويذهَبُ اليهما على بُعدِ مكانهما فتُقْبِلان على نَجيبَيْنِ أسْرَعَ منَ البَرْق اللامِع * فاذا حصَلَتا في المَجلس حيَّاهُما وبَشَّ بِهما وقال كيفَ خلَصتُما إلى دار الرَّحمة بعدما خبطتُما في الضَلال فتقولان قُدِرَتْ لنا التَوبةُ ومتْنا على دِين الأنبياء والمُرسَلين * فيقول أحسَنَ اللهُ إليكما أسْمِعانا شيئاً من القصيدة الحائية التي تُرْوَى لِعَبيدٍ مرَّةً ولأوسٍ أُخرَى * وما سَمِعتا قطُّ بعَبيدٍ ولا أَوْسٍ * فتُلْهَمانِ أن تُغنّيا بالمطلوبِ فتُلحّنان

وَدِّعْ لَميسَ وَداعَ الوامِقِ اللاحِي * قد فنكَتْ في فَسادٍ بعد إِصلاحِ
إذ تَستَبيكَ بِمَصقُولٍ عوارِضُهُ * حُمْشُ اللثاتِ عِذابٌ غيرِ مِملاحِ
كأنَّ رِيقَتَها بَعْدَ الكَرَى اغتُبِقَتْ * مِنْ ماءِ أَدكَنَ في الحانوتِ نَضَّاحِ
ومِنْ مُشَعْشَعَةٍ وَرْهاءَ نَشْوَتُها * وَمِن انابيبِ رُمّانٍ وتُفّاحِ
هَبَّتْ تلوم وليستْ ساعةَ اللاحِي * هلّا انتظرتِ بهذا اللومِ إِصبَاحِي
قاتلَها اللهُ تَلْحاني وقد عَلِمَت * أَنِّي لِنَفسِيَ إِفسادِي وإِصلاحِي
إنْ أَشرَبِ الخمرَ أَوْ أُرْزَأْ لها ثَمَناً * فلا مَحالةَ يوماً أَنَّنِي صاحِ

وَلا مَحالةَ مِنْ قَبرٍ بِمَحْنيَةٍ * او في مَليعٍ كظهر التُّرْس وَضّاحِ

فتُطْرِبانِ مَن سَمِع وتَستفزّانِ الأفئدة بالسرور ويكثُر حمدُ اللهِ سبحانَهُ كما أنعم على المؤمنينَ والتائبين وخلّصهم من دار الشقوة الى محلّ النعيم* ويعرِضُ لهُ أدامَ اللهُ الجمالَ ببقائهِ الشوقُ الى نظرِ سَحابٍ كالسحابِ الذي وَصفَهُ قائلُ هذهِ القصيدةِ في قوله

إنّي أَرِقتُ ولَمْ تأرقْ معي صاحِ * لِمُستكفٍّ بُعَيْدَ النوم لَمّاحِ

قد نمتَ عني وباتَ البرقُ يُسهرُني * كما استضاءَ يهوديٌّ بمصباحِ

تَهدِي الجَنوبُ بأُولاهُ ونآءَ به * أَعجازُ مزْنٍ يَسوقُ المآءَ دَلّاحِ

كأنَّ رَيِّقَهُ لَمّا علا شُطُبًا * إقرابُ أَبلَقَ ينفي الخيلَ رَمّاحِ

كأنَّ فيه عِشاراً جِلّةً شُرُفًا * عُوذًا مَطافيلَ قد همّتْ بإرْشاحِ

دانٍ مُسِفٌّ فُوَيقَ الأرض هَيْدَبُهُ * يكادُ يدفعُهُ مَنْ قام بالراحِ

فمَنْ بِنَجْوَتِهِ كَمَنْ بِعَقْوَتِهِ * وَالمُستكِنُّ كمَن يَمشي بقِرْواحِ

وأَصبحَ الرَّوْضُ والقيعانُ مُمْرِعةً * ما بَيْنَ مُنْفَتِقٍ منهُ وَمُنْصاحِ

فيُنشئُ اللهُ تعالتْ آلاؤهُ سَحابةً كأحسَنِ ما يكونُ من السُّحُبِ مَنْ نظرَ اليها شهِدَ أنّهُ لم يرَ قطُّ شيئًا أحسنَ منها مُحَلّاةً بالبَرْق في وَسَطِها وأطرافها تَمْطُرُ بمآءِ وَرْدِ الجنّةِ مِنْ طَلٍّ وطَشٍّ وتَنْثُرُ حَصَى الكافور كأنّهُ صِغارُ البَرَد* فعَزَّ إلهُنا القديمُ الذي لا يُعجِزُهُ تصويرُ الأمانيّ وتكوينُ الهواجس مِنَ الظنون* ويلتفتُ فاذا هو بجِرانِ العَودِ النُّمَيريّ فيُحَيِّيهِ ويُرَحِّبُ بهِ ويقولُ لبعضِ القِيانِ أَسْمِعينا قولَ هذا المُحْسِن

حَمَلْنَ جِرانَ العَوْدِ حتى وَضَعْنَهُ * بِعَلْيآءَ في أَرْجآئها الجِنُّ تَعزِفُ

وأَحرَزنَ منّا كلَّ حُجزةِ مئزرٍ * لهنَّ وطاحَ النَوفليُّ المُزخرفُ
وَقُلنَ تمتَّعْ ليلةَ النأيِ هذهِ * فإنَّكَ مرجومٌ غدًا او مُسيَّفُ

وهذا البيتُ يُروَى لِسُحَيمٍ * فتُصيبُ تلك القينةُ وتُجيدُ فإِذا عجبتِ الجماعةُ منْ إِحسانها وإِصابتها قالت أَتدرُونَ مَنْ أَنا فيقولون لا واللهِ المحمودِ فتقول أَنا أُمُّ عمرٍو التي يقول فيها القائل

تَصُدُّ الكأسَ عنَّا أُمُّ عَمْرٍو * وكانَ الكأسُ مجراها اليَمينا
وما شرُّ الثلاثةِ أُمَّ عمرٍو * بصاحبِكِ الذي لا تَصْبَحينا

فيَزدادُونَ بها عجبًا ولها إِكرامًا ويقولونَ لِمَن هذا الشعرُ أَلعَمْرِو بنِ عديٍّ اللخميِّ أَمْ لِعمرِو بنِ كلثومٍ التغلبيِّ فتقولُ أَنا شهِدتُ نَدمانَيْ جذيمةَ مالكًا وعقيلًا وصبحتُهما الخمرَ المُشعشَعةَ لمَّا وجدا عمرَو بنَ عديٍّ فكنتُ أَصرفُ الكأسَ عنهُ فقال هذينِ البيتَينِ فلعلَّ عمرَو بنَ كلثوم حسَّنَ بهما كلامَهُ واستزادهُما في أَبياته * ويذكُرُ أَذكرَهُ اللهُ بالصالحاتِ الأَبياتَ التي تُنسَبُ الى الخليل بنِ أَحمدَ والخليلُ يومئذٍ في الجماعة وأَنَّها تصلُحُ لأَنْ يُرقَصَ عليها فيُنشئُ اللهُ القادرُ بلُطفِ حِكمتِه شجرةً من عفزٍ * والعفزُ الجوزُ * فتُونِعُ لِوَقتِها ثم تَنفُضُ عددًا لا يُحصيهِ إِلَّا اللهُ سُبحانَهُ وتنشقُّ كلُّ واحدة منه عن أَربعِ جوارٍ يَرُقنَ الرائينَ * ممَّنْ قَرُبَ والنائينَ * يَرقُصنَ على الأَبيات المنسوبة الى الخليل وأَوَّلُها

إِنَّ الخليطَ تَصدَّعْ * فطِرْ بدائكَ او قَعْ
لولا جوارٍ حِسانٌ * مثلُ الجآذرِ أَربَعْ
أُمُّ الرَّبابِ وأَسما * ءُ والبغومُ وَبوزَعْ

لَقُلْتُ للظاعن اُظعَنْ * اذا بَدَا لكَ أَوْ دَعْ

فتهتزُّ أرجآءُ الجنَّـةِ * ويقولُ لازال مُنْطَقًا بالسَّدَدِ لِمَنْ هَذهِ الايياتُ يا أَبا عبدِ الرحمن * فيقول الخليلُ لاأَعلَم * فيقولُ إِنَّا كُنَّا في الدار العاجلةِ نَرْوي هذهِ الأبياتَ لكَ * فيقولُ الخليلُ لا أَذكُرُ شيئًا من ذالك ويجوزُ أَنْ يكونَ ما قيلَ حقًّا * فيقولُ أَفَنَسِيتَ يا أَبا عبدِ الرحمن وانتَ أَذْكَى العَرَبِ في عَصرِكَ * فيقولُ الخليلُ إِنَّ عبُورَ الصِّراطِ يَنفُضُ الخلَدَ ممَّا استُودِعَ * ويخطُرُ لَهُ ذِكْرُ الفُقَّاعِ الذي كانَ يُعْمَلُ في الدار الخادِعَة فيُجري اللهُ بقُدرتهِ أَنهارًا من فُقَّاعٍ اُلجرْعةُ منها لو عُدِلَتْ بلذَّاتِ الفانية مُنْذُ خلَقَ اللهُ السمواتِ والأَرضَ إِلى يوم تَطْوِي الأُمَمَ الآخرةُ لكانَتْ أَفضَلَ وأَشفَّ * فيقولُ في نَفسِهِ قد علِمتُ أَنَّ اللهَ قديرٌ والذي أُريدُ نحوُ ما كنتُ أَراهُ مع الطَّوَّافينَ في الدار الذاهبة * فلا تكمُلُ هذه المَقالةُ حتى يجمَعَ اللهُ كلَّ فُقَّاعيٍّ في الجنَّـةِ منْ أَهْلِ العراقِ والشأمِ وغيرِهما من البِلادِ بَيْنَ أَيديهم الوِلدانُ المُخلَّدُونَ يحمِلُونَ السلالَ الى أَهلِ ذلكَ المَجلِسِ * فيقولُ حَفِظَ اللهُ على أَهل الأَدَب حَوْبآءَهُ لِمَنْ حَضَرَهُ من أَهلِ العلم ما تُسمَّى هذه السلالُ بالعَرَبيَّـةِ فيَرمُونَ * أَيْ يَسكُتُونَ * ويقول بعضُهم هذهِ تُسمَّى البَواسِنَ وَاحِدَتُها باسِنَة * فيقولُ قائلٌ مِن الحاضرِينَ مَنْ ذَكَرَ هذا منْ أَهلِ اللغة * فيقولُ لاَ انفكَّتِ الفوائدُ واصلةً منه الى الجُلَسآءِ قد ذَكَرَهَا ابنُ دَرَسْتَوَيْهِ وهو يَومئذٍ في الحَضرة * فيقولُ لهُ الخليلُ منْ أَينَ جئْتَ بهذا الحَرْفِ * فيقولُ ابن دَرَسْتَوَيْهِ وَجَدْتُهُ في كُتُبِ النَّضْرِ بنِ شُمَيلٍ * فيقولُ الخليلُ أَتحقُّ هذا يا نَضْرُ فأَنتَ عِندَنا الثقَـةُ * فيقولُ النضْرُ قَدِ التَبَسَ عليَّ الأَمرُ ولم يحكِ الرجلُ إِنْ شآءَ اللهُ إِلاَّ حقًّا *

ويعبر بين تلك الاكراس * أي الجماعات * طاوس من طواويس الجنة يروق من رآه حسنا فيشتهيه أبو عبيدة مصوصا فيتكون كذلك في صحفة من الذهب * فإذا قضى منه الوطر انضمت عظامه بعضها الى بعض ثم تصير طاوسا كما بدا * فتقول الجماعة سبحان من يحيي العظام وهي رميم هذا كما جاء في الكتاب الكريم وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم أن الله عزيز حكيم * ويقول هو آنس الله بحياته لمن حضر ما موضع يطمئن فيقولون نصب بلام كي * فيقول هل يجوز غير ذلك فيقولون لا يحضرنا شيء * فيقول يجوز أن يكون فى موضع جزم بلام الأمر ويكون مخرج الكلام كما يقال يا رب اغفر لي ولتغفر لي وأما قوله الحكاية عن عزير قال أعلم أن الله على كل شيء قدير فقد قرئ برفع الميم وسكونها فالرفع على الخبر والسكون على أنه امر من الله جل سلطانه وأجاز أبو علي الفارسي أن يكون اعلم مخاطبة من عزير لنفسه لأن مثل هذا معروف يقول القائل وهو يعني نفسه * ويحك ما فعلت وما صنعت * ومنه قول الحادرة الذبياني

بكرت سمية غدوة فتمتع * وغدت غدو مفارق لم يربع

وتمر إوزة مثل البختية فيتمناها بعض القوم شواء فتتمثل على خوان من الزمرد فإذا قضيت منها الحاجة عادت بإذن الله الى هيئة ذوات الجناح ويختارها بعض الحاضرين كردناجا وبعضهم معمولة بسماق وبعضهم معمولة

بلبنٍ وخلٍّ وغيرَ ذلكَ وهي تكونُ على ما يُريدُونَ * فاذا تكرَّرَتْ بينهُمْ قال أَبُو عثمانَ المازنيُّ لعبدِ الملكِ بنِ قُرَيبِ الأصمعيِّ يا أَبا سعيدٍ ما وَزْنُ إِوَزَّة * فيقولُ الأَصمعيُّ أَلِي تعرضُ بهَذَا يا فُصعُلُ وطالَ ما جئتَ مجلسي بالبَصْرَةِ وأنتَ لا يُرفَعُ بكَ رأسٌ * وَزْنُ إِوَزَّةٍ في الموجود إِفَعْلَة ووَزْنُها في الأصل إِفْعَلَة * فيقولُ المازنيُّ ما الدليلُ على أَنَّ الهمزةَ فيها زَائدةٌ وأَنَّها لَيْسَتْ بأَصليَّةٍ ووَزنُها فِعَلَّة * فيقولُ الأَصمعيُّ أَمَّا زِيادَةُ الهمزةِ في أَوَّلِها فيَدُلُّ عليهِ قَولُهُمْ وَزٌّ * فيقولُ أَبُو عثمانَ لَيسَ ذلكَ بدليلٍ على أَنَّ الهمزةَ زائدةٌ لأَنَّهُمْ قد قالوا نَاسٌ وأَصلُهُ أُنَاسٌ ومَيْهَةٌ لِجُدَرِيِّ الغَنَمِ وإِنَّما هوَ أَمِيهَةٌ * فيقولُ الأَصمعيُّ أليسَ أصحابُكَ مِنْ أَهلِ القِياسِ يَزْعُمُونَ أَنَّها إِفْعَلَة واذا بَنَوْا من أَوَى اُسْماً على وَزنِ إِوَزَّةٍ قالوا إِيَّاة ولو أَنَّها فِعَلَّةٌ قالوا إِوِيَّةٌ ولو جآءُوا بها على إِفْعَلَة بسكونِ العَيْنِ قالوا إِيَيَّة والياءُ التي بعْدَها الهَمزةُ وهي همزةُ أَوَى جُعِلَت ياءً لاجتماعِ الهمزَتَيْنِ ولأَنَّ قبلَها مكسورًا وهي مفتُوحةٌ وإذا خُفِّفَت همزةُ مِئْزَرٍ جعلْتَها ياءً خالِصةً * فيقولُ المَازِنِيُّ تأَوُّلٌ مِنْ أَصحابنا وادِّعاءٌ لأَنَّ إِوَزَّة لم يَثْبُتْ أَنَّ الهمزةَ فيها زائدةٌ فيقولُ الأَصمعيُّ

رَيَّشْتَ جِرْهُمُ نَبْلاً فرَمَى * جِرْهُماً منهنَّ فُوقٌ وَغِرَارُ

تَبِعتَهم مُستَفِيدًا * ثمَّ طَعَنتَ فيما قالُوه مُعِيدا * ما مَثَلُكَ ومَثَلُهُمْ إِلاَّ كما قال الأوَّلُ

أُعلِمُهُ الرِّمايةَ كُلَّ يَومٍ * فلَمَّا اُستَدَّ ساعِدُهُ رَمَاني

وَيَنهَضُ كالمُغْضَبِ وَيَفتَرِقُ أَهلُ ذلِكَ المَجلِسِ وهم ناعِمونَ * وَيَخلُو لاَ أَخلاهُ اللهُ مِنَ الإِحسانِ بحُورِيَّتَيْنِ لَهُ مِنَ الحُورِ العينِ فاذا بَهَرَهُ ما يَرَاهُ مِنَ الجَمالِ

قال أَعزِزْ عليَّ بهلاكِ الكِنْدِيِّ إِنّي لَأَذكرُ بِكُما قولَهُ

كدأبِكَ منْ أُمِّ الحُوَيرِثِ قبلَها * وجارَتِها أُمِّ الرَّبابِ بمأسَلِ
إِذا قامتا تضوَّعَ المِسكُ منهُما * نسيمَ الصَّبا جاءَتْ بِرَيَّا القَرَنْفُلِ

وقولَهُ

كَعاطِفَتَيْنِ مِنْ نِعاجٍ تَبالَةٍ * على جُؤْذُرَينِ أَوْ كَبَعْضِ دُمَى هَكِرْ
إِذا قامتَا تَضَوَّعَ المسكُ منهُما * وأَصْوِرَةٌ منَ اللَّطيمَةِ والقُطُرْ

وأَيْنَ صاحبَتاهُ مِنكُما لا كَرامةَ لَهُما ولا نَعمةَ عينٍ * لَجلسةٌ مَعكُما بمقدارِ دَقيقةٍ من دَقائقِ ساعاتِ الدُّنيا خيرٌ منْ مُلكِ بَني آكِلِ المُرارِ وبَني نَصْرٍ بالحِيرَةِ وآلِ جَفْنَةَ مُلوكِ الشَّأْمِ * ويُقبِلُ على كُلِّ واحدةٍ منهُما يَتَرَشَّفُ رُضابَها ويقولُ إِنَّ امرَأَ القَيسِ لَمِسكينٌ مِسكينٌ تَحترِقُ عِظامُهُ في السَّعيرِ وأَنا أَتَمَثَّلُ بقولِه

كأَنَّ المُدامَ وصَوْبَ الغَمامِ * وريحَ الخُزامَى وَنَشْرَ القُطُرْ
يُعَلُّ بهِ بَرْدُ أَنيابِها * إِذا غَرَّدَ الطَّائِرُ المُسْتَحِرْ

وقوله

أَيَّامَ فُوها كُلَّما نَبَّهتُها * كالمِسكِ باتَ وظَلَّ في الفَدَّامِ
أُنُفٌ كَلَوْنِ دَمِ الغَزالِ مُعَتَّقٌ * مِنْ خَمرِ عانَةَ أَوْ كُرُومِ شِبامِ

فتَستغرِبُ إِحداهُما ضَحِكًا فيقولُ مِمَّ تَضحَكِينَ فتقولُ فَرَحًا بتَفَضُّلِ اللهِ الذي وَهَبَ نَعيمًا * وكانَ بالمَغفِرَةِ زَعيمًا * أَتَدري مَنْ أَنا يا عليَّ بنَ منصورٍ فيقولُ أَنتِ مِنْ حُورِ الجِنانِ اللَّواتي خلقَكُنَّ اللهُ جَزاءً لِلمُتَّقينَ وقالَ فيكُنَّ كأَنَّهُنَّ الياقوتُ والمَرْجانُ * فتقولُ أَنا كذلكَ بإِنعامِ اللهِ العظيمِ على أَنّي

كُنتُ في الدارِ العاجلةِ أُعرَفُ بحَمْدُونَةَ وأَسكُنُ في بابِ العِراقِ بحَلَبَ وأَبي صاحِبُ رَحًى وتزوَّجني رَجلٌ يبيعُ السَّقَطَ فطلَّقَني لرائحةٍ كرِهها مِن فِيَّ وكُنتُ مِنْ أَقبحِ نِساءِ حَلَبَ * فلمّا عرَفتُ ذلكَ زَهِدتُ في الدُّنيا الغرَّارةِ وتوفَّرتُ على العبادةِ وأَكَلتُ مِنْ مِغزَلي ومِرْدَني فصيَّرَني ذلك الى ما ترى * وتقولُ الأُخرى أَتدري مَنْ أَنا يا عليُّ بنَ منصورٍ أَنا توفيقُ السَّوداءُ التي كانت تخدُمُ في دارِ العلمِ ببغدادَ على زمانِ أَبي منصورٍ محمَّدِ بنِ عليٍّ الخازنِ وكنتُ أُخرِجُ الكُتُبَ إلى النُّسَّاخِ * فيقولُ لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ لقد كنتِ سوداءَ فصرتِ أَنصعَ مِنَ الكافورِ * فتقولُ أَتعجَبُ مِنْ هذا والشاعرُ يقولُ لبَعضِ المَخلوقينَ

لوْ أَنَّ مِنْ نُورهِ مِثقالَ خَرْدَلَةٍ * في السُّودِ كُلِّهِمِ لأَبيضَّتِ السُّودُ

ويمرُّ مَلَكٌ منَ الملائكةِ فيقولُ يا عبدَ اللهِ أَخبِرْني عَنِ الحُورِ العينِ أَليسَ في الكتابِ الكريمِ إِنَّا أَنشأْناهُنَّ إِنشاءً فجعلْناهُنَّ أَبكاراً عُرُباً أَتراباً لأَصحابِ اليمينِ * فيقولُ الملَكُ هُنَّ على ضَرْبَيْنِ ضَرْبٌ خلَقَهُ اللهُ في الجنَّةِ لَمْ يَعرِفْ غيرَها وضربٌ نقلَهُ اللهُ مِنَ الدارِ العاجلة لمَّا عَمِلَ الاعمالَ الصالحةَ * فيقولُ وقد هكَرَ مِمَّا سَمِعَ أَيْ عجَبٌ فأَينَ اللواتي لم يكُنَّ في الدارِ الفانية وكيفَ يتميَّزْنَ مِنْ غيرِهِنَّ * فيقولُ المَلَكُ أُقفُ أَثَري لترى البَديءَ مِنْ قُدْرةِ اللهِ فيَتْبَعُهُ فيَجيءُ به إِلَى حدائقَ لا يَعرِفُ كُنْهَها إِلاَّ اللهُ فيقولُ المَلَكُ خُذْ ثَمرةً مِنْ هذا الثَّمَرِ فاكْسِرْها فإِنَّ هذا الشَّجرَ يُعرَفُ بشجَرِ الحُورِ * فيأْخذُ سَفَرْجلةً او رُمَّانةً او تُفَّاحةً أَوْ ما شاءَ اللهُ مِنَ الثِّمارِ فيَكسِرُها فتَخرُجُ منها جاريةٌ حَوْراءُ عَيناءُ تَبرُقُ لحُسْنِها حُورِيَّاتُ الجِنانِ * فتقولُ مَنْ

أنتَ يا عبدَ اللهِ فيقولُ أنا فلانُ بنُ فلانٍ * فتقولُ إني أُمنَى بلقائكَ قبلَ أن يخلقَ اللهُ الدنيا بأربعةِ آلافِ سنةٍ * فعندَ ذلك يسجدُ إعظاماً للهِ القديرِ ويقولُ هذا كما جاءَ في الحديثِ أعددتُ لعبادي المؤمنينَ ما لا عينٌ رأتْ ولا أذنٌ سمعتْ بلهَ ما أطلعتُهم عليهِ * وبلهَ في معنى دعْ وكيفَ * ويخطرُ في نفسهِ وهوَ ساجدٌ أنَّ تلكَ الجاريةَ على حسنِها ضاويةٌ فيرفعُ رأسهُ منَ السجودِ وقد صار منْ ورائِها ردفٌ يضاهي كثبانَ عالجٍ وأنقاءَ الدهناءِ ورملةَ يبرينَ وبني سعدٍ فيهالُ منْ قدرةِ اللهِ اللطيفِ الخبيرِ ويقولُ يا رازقَ المشرقةِ سناها * ومبلغَ السائلةِ مناها * والذي فعلَ ما أعجزَ وهالَ * ودعا إلى الحلمِ الجهالَ * أسألكَ أنْ تقصرَ بوصَ هذهِ الحوريةِ على ميلٍ في ميلٍ * فقد جازَ بها قدرُكَ حدَّ التأميلِ * فيقالُ له أنتَ مخيرٌ في تكوينِ هذهِ الجاريةِ كما تشاءُ * فيقتصرُ منْ ذلكَ على الإرادةِ * ويبدو لهُ أنْ يطلعَ الى أهلِ النارِ فينظرُ الى ما همْ فيهِ ليعظمَ شكرُه على النعمِ بدليلِ قولهِ تعالى قالَ قائلٌ منهمْ إنّي كانَ لي قرينٌ يقولُ أئنكَ لمنَ المصدقينَ أئذا متنا وكنّا تراباً وعظاماً أئنا لمدينونَ قالَ هلْ أنتمْ مطلعونَ فاطّلعَ فرآهُ في سواءِ الجحيمِ قالَ تاللهِ إنْ كدتَ لتردينِ ولولا نعمةُ ربي لكنتُ منَ المحضرينَ * فيركبُ بعضَ دوابِّ الجنةِ ويسيرُ فإذا هوَ بمدائنَ ليستْ كمدائنِ الجنةِ ولا عليها النورُ الشعشعانيُّ وهيَ ذاتُ أدحالٍ وغماليلَ * فيقولُ لبعضِ الملائكةِ ما هذهِ يا عبدَ اللهِ فيقولُ هذهِ جنةُ العفاريتِ الذينَ آمنوا بمحمدٍ صلّى اللهُ عليهِ وذكروا في الأحقافِ وفي سورةِ الجنِّ وهمْ عددٌ كثيرٌ * فيقولُ لأعدلنَّ إلى هؤلاءِ فلنْ أخلوَ لديهمْ منْ أعجوبةٍ فيعوجُ عليهمْ فإذا هوَ بشيخٍ

جَالِسٍ على بابِ مَغارةٍ فيُسلِّمُ عليْهِ فيُحْسِنُ الرَّدَّ ويقولُ ما جآءَ بكَ يا إِنْسِيّ * إِنَّكَ بخيرٍ لَعَسِيّ * مالَكَ مِنَ القومِ سِيّ * فيقولُ سَمِعْتُ أَنَّكُم جِنٌّ مُؤْمِنُونَ فَجِئْتُ أَلْتَمِسُ عِنْدَكُمْ أَخبارَ الجِنَّانِ وما لَعَلَّهُ يُوجَدُ لَدَيْكُم مِنْ أَشعارِ المَرَدَةِ * فيقول ذلكَ الشيخُ لَقَد أَصَبْتَ العالِمَ بِجِدَّةِ الأَمرِ ومَنْ هُوَ مِنْهُ كالقَمَرِ مِنَ الهالَةِ * لا كالحاقِنِ مِنَ الإِهالَةِ * فَسَلْ عمّا بَدا لَكَ * فيقول ما اسْمُكَ أَيُّها الشيخُ فيقولُ أَنا الخَيْتَعُورُ أَحَدُ بَني الشَّيْصَبانِ ولَسْنا مِنْ وَلَدِ إِبْلِيس ولكِنَّا مِنَ الجِنِّ الذين كانوا يَسْكُنُونَ الارضَ قَبْلَ وَلَدِ آدَمَ صَلَّى اللهُ عليهِ * فيقولُ أَخْبِرْني عَنْ أَشعارِ الجِنِّ فقدْ جَمَعَ منها المعروفُ بالمَرْزُبانيِّ قِطْعَةً صالحةً * فيقولُ ذلكَ الشيخُ إِنَّما ذلك هَذَيانٌ لا مُعْتَمَدَ عليهِ وهل يَعرِفُ البَشَرُ مِنَ النظيمِ الا كما تَعْرِفُ البَقَرُ مِنْ عِلمِ الهَيْئةِ ومساحةِ الارضِ وإِنَّما لَهُم خَمسةَ عشَرَ جِنساً مِنَ المَوْزُونِ قلَّ ما يَعْدُوها القائلونَ * وإِنَّ لنا لَآلافَ أَوْزانٍ ما سمعَ بها الإِنسُ وانما كانت تَخْطُرُ بِهِم أُطَيْفالٌ مِنَّا عارِفونَ * فتَنْفِثُ إِليْهِم مِقْدارَ الضُّوازَةِ من أَراكِ نُعْمانَ * ولَقَدْ نَظَمْتُ الرَّجَزَ والقَصيدَ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ اللهُ آدمَ بِكَوْرٍ أَوْ كَوْرَيْنِ وقد بَلَغَني أَنَّكُمْ مَعْشَرَ الإِنْسِ تَلْهَجُونَ بقصيدةِ امْرِئِ القَيْسِ * قِفا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ * وتُحَفِّظُونَها الحَزاوِرَةَ في المَكاتِبِ وإِنْ شِئْتَ أَمْلَيْتُكَ أَلْفَ كَلِمَةٍ على هذا الوَزْنِ على مِثْلِ مَنْزِلِ وحَوْمَلِ وأَلْفًا على ذلك الرَّوِيِّ يَجيءُ على مَنْزِلُ وحَوْمَلُ وأَلْفًا على مَنْزِلا وحَوْمَلا وأَلْفًا على مَنْزِلَهْ وحَوْمَلَهْ وأَلْفًا على مَنْزِلُهْ وحَوْمَلُهْ وأَلْفًا على مَنْزِلِهْ وحَوْمَلِهْ وكُلُّ ذلكَ لِشاعِرٍ مِنَّا هَلَكَ وهو كافِرٌ وهو

الآنَ يَشتغلُ في أَطباقِ الجحيم * فيقولُ وَصلَ اللهُ أوقاتَهُ بالسعادةِ أيُّها الشيخُ لقد بَقِيَ عليكَ حِفظُكَ * فيقولُ لَسنا مثلَكُمْ يا بَني آدمَ يَغلِبُ علينا النِسيانُ والرُطوبةُ لأَنَّكُم خُلِقتُم مِنْ حمأٍ مَسنُونٍ وخُلِقنا مِنْ مارِجٍ مِن نارٍ * فتحمِلُهُ الرَغبةُ في الأَدبِ أَنْ يقولَ لذاكَ الشيخِ أَفتُمِلُّ عليَّ شيئاً مِن تِلكَ الأَشعارِ * فيقولُ الشيخُ فإِذا شئتَ أَملَلْتُكَ ما لا تَسَعُهُ الرِكابُ ولا تَسَعُهُ صُحُفُ دُنياكَ * فيهمُّ الشيخُ لا زالت هِمَّتُهُ عاليةً بأَنْ يكتتِبَ مِنهُ ثُمَّ يقولُ لقد شَقيتُ في الدارِ العاجلةِ بجمعِ الأَدبِ ولم أَحظَ منه بطائلٍ وإنَّما كُنتُ أَتقرَّبُ به الى الرُؤَساءِ فأَحتلِبُ منهم دَرَّ بَكيٍّ وأَجهدُ أَخلافَ مَصُورٍ ولستُ بمُوَفَّقٍ إِنْ تركتُ لَذَّاتِ الجنّةِ وأَقبلتُ أَنتسِخُ آدابَ الجِنِّ ومَعي من الأَدبِ ما هو كافٍ لا سيَّما وقد شاعَ النِسيانُ في أَهلِ أَدبِ الجنَّةِ فصرتُ مِنْ أَكثرِهم روايةً وأَوسعِهم حفظاً وللهِ الحمدُ * ويقولُ لذلكَ الشيخِ ما كُنيتُكَ لأُكرِمَكَ بالتَكنيةِ * فيقولُ أَبو هَدْرَشَ أَولَدتُ من الأَولاد ما شاءَ اللهُ فَهُمْ قبائلُ بَعضُهُم في النارِ المُوقَدةِ وبعضُهم في الجِنانِ * فيقولُ يا أَبا هَدْرَش ما لي أَراكَ أَشيَبَ واهلُ الجنَّةِ شَبَابٌ * فيقولُ إِنَّ الإِنسَ أُكرِموا بذلِكَ وحُرِمناهُ لانا أُعطِينا الحَوْلَةَ في الدارِ الماضيةِ فكانَ أَحَدُنا إِنْ شاءَ صارَ حَيَّةً رَقشاءَ وإِنْ شاءَ صارَ عُصفوراً وإن شاءَ صارَ حَمامةً فمُنِعنا التَصوُّرَ في الدارِ الآخرةِ وتُرِكنا على خِلقتِنا لا تَتغيَّرُ وعُوِّضَ بَنُو آدمَ كَونَهُم فيما حَسُنَ من الصُوَرِ * وكانَ قائلُ الإِنسِ يقولُ في الدارِ الذاهبةِ أُعطِينا الحيلةَ وأُعطِيَ الجِنُّ الحَوْلةَ * ولقد لَقيتُ مِن بني آدمَ شرًّا ولقُوا مِنّي كذلكَ * دَخلتُ مرَّةً دارَ أُناسٍ اريدُ أَنْ أَصرَعَ فتاةً لهم فتصوَّرتُ في صُورةِ عَضَلٍ * اي جُرَذٍ * فدعَوا لِي

الضَّيَاوِنَ فلمَّا أرهقتني تحوَّلتُ صِلاًّ أَرْقَمَ ودخلتُ في قطيلٍ هناك فلمَّا علموا ذلك كشفوه عنّي فلمَّا خفتُ القتلَ صرتُ ريحاً هفَّافةً فلحقتُ بالرَّوافد ونقضوا تلك الخُشُبَ والأجذالَ فلم يروا شيئاً * فجعلوا يتفكَّنون ويقولون ليس هاهنا مكانٌ يمكنُ أن يستترَ فيه * فبيناهم يتذاكرون ذلك عمدتُ لكَعابهم في الكِلَّةِ فلمَّا رأتني أصابها الصَّرعُ واجتمعَ أهلها من كلِّ أوبٍ وجمعوا لها الرُّقاةَ وجاءوا بالأطبَّةِ وبذلوا المنفساتِ * فما تركَ راقٍ رُقيةً إلَّا عرضها عليَّ وأنا لا أجيبُ وغبرتِ الأُساةُ تسقيها الأشفيةَ وأنا سدِكٌ بها لا أزولُ * فلمَّا أصابها الحِمامُ طلبتُ لي سواها صاحبةً ثمَّ كذلك حتَّى رزقَ اللهُ الإنابةَ وأثابَ الجزيلَ فلا أفتأُ لهُ من الحامدينَ

حَمِدتُ مَنْ حطَّ أوزاري ومزَّقها * عنّي فأصبحَ ذنبي اليومَ مغفورا

وكنتُ آلفُ من أترابِ قرطبةٍ * خَوْداً وبالصينِ أُخرى بنتَ يغبورا

أزورُ تلكَ وهذي غيرَ مكترثٍ * في ليلةٍ قبلَ أن أستوضحَ النُّورا

ولا أمرُّ بوحشيٍّ ولا بشرٍ * إلَّا وغادرتُهُ ولهانَ مذعورا

أُروِّعُ الزنجَ إلماماً بنسوتها * والرُّومَ والتُّركَ والسقلانَ والفورا

وأركبُ الهيقَ في الظلماءِ معتسفاً * أو لا فذبَّ ريادٍ باتَ مغرورا

وأحضرُ الشَّربَ أعروهم بآبدةٍ * يزجونَ عوداً ومزماراً وطنبورا

فلا أفارقهم حتَّى يكونَ لهم * فعلٌ يظلُّ بهِ إبليسُ مسرورا

وأصرفُ العدلَ ختلاً عن أمانتهِ * حتَّى يخونَ وحتَّى يشهدَ الزُّورا

وكم صرعتُ عواناً في لظى لهبٍ * قامتْ تمارسُ للأطفالِ مسجورا

وذادني المرءُ نوحٌ عن سفينتهِ * ضرباً إلى أن غدا الظُّنبوبُ مكسورا

وَطِرْتُ في زَمَنِ الطُوفانِ معتَلِيًا * في الجوّ حتّى رأيتُ المآء محسُورا
وَقَدْ عرَضتُ لِموسَى في تَفرُّدِهِ * بالشاءِ يَنتجُ عمْرُوساً وفُرْفُورا
لَم أُخلِهِ منْ حديثٍ مَّا ووَسوَسةٍ * إذْ دَكَّ ربُّكَ في تكْليمهِ الطُّورا
أَضللتُ رأْيَ أَبي ساسانَ عَنْ رَشَدٍ * وَسِرْتُ مُسْتَخفِياً في جَيْشِ سابُورا
وَسادَ بهْرامَ جورٌ وَهوَ لي تَبَعٌ * أَيَّامَ يَبْني على عِلاَّتِهِ جُورا
فتارةً أَنا صِلٌّ في نكارتِهِ * وَرُبَّمَا أَبصرَتْني العَينُ عُصْفُورا
تَلُوحُ لي الإِنسُ عُورًا أَوْذَوي حوَلٍ * وَلَمْ تكُنْ قطُّ لاَ حُولاً ولاَ عُورا
ثُمَّ اتَّعظتُ وَصارتْ تَوْبَتي مَثَلاً * منْ بَعْدِما عشْتُ بالعِصْيانِ مَشْهُورا
حتَّى إِذَا انقضَتِ الدُنْيا ونُودِيَ إسْـــرافيلُ وَيحَكَ هَلاَّ تَنفُخُ الصُورا
أَماتَني اللهُ شيْئاً ثُمَّ أَيقظَني * لِمَبْعَثي فَرُزِقتُ الخُلْدَ مَسْرُورا

فيقولُ للهِ دَرُّكَ يا أَبا هَدْرَشَ لقد كُنتَ تُمارِسُ أَوابِدَ ومُندِياتٍ فكيفَ أَلسِنَتُكُمْ أَيكُونُ فيكُمْ عربٌ لاَ يفْهمُونَ عَنِ الرُّومِ ورُومٌ لا يفهمُونَ عَنِ العَرَبِ كَما نَجِدُ في أَجيالِ الإِنسِ *فيقولُ هيهاتَ أَيُّها المَرْحومُ إِنَّا أَهلُ ذكَآءٍ وَفِطَنٍ وَلا بُدَّ لأَحَدِنا أَنْ يكونَ عارِفاً بجَميعِ الأَلسُنِ الإِنسِيَّةِ ولَنا بعدَ ذلكَ لِسانٌ لاَ يَعرِفُهُ الانيسُ *وأَنا الذي أَنذَرْتُ الجِنَّ بالكتابِ المُنزَلِ *أَدْلَجْتُ في رُفقةٍ منَ الخابِلِ نُرِيدُ اليَمنَ فمرَرْنا بيَثْرِبَ في زمانِ المَعْوِ *أَي الرُّطَبِ *فَسمعْنا قُرْآناً عَجَباً يَهْدِي إِلى الرُّشْدِ فآمنَّا بهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنا أَحَدًا * وعُدْتُ إِلى قَوْمي فذَكَرْتُ لَهُمْ ذلكَ فتَسرَّعَتْ منهُمْ طَوائفُ إِلى الإِيمانِ وَحثَّهُمْ على ما فعلوهُ أَنَّهُمْ رُجِمُوا عنِ استِراقِ السَّمْعِ بِكَواكِبَ مُحْرِقاتٍ * فيقُولُ يا أَبا هَدْرَشَ أَخبِرْني وأَنتَ الخَبيرُ هَلْ كانَ رَجْمُ النُّجومِ في الجاهِلِيَّةِ فإِنَّ بَعضَ النَّاسِ

يَقُولُ إِنَّهُ حدَثَ في الإِسلام * فيقولُ هيْهاتَ أَما سَمعتَ قوْلَ الأَوْدِيّ

كَشهابِ القَذْفِ يرْميكُمْ بِهِ * فارسٌ في كَفِّهِ لِلْحَرْبِ نارْ

وقوْلَ ابْنِ حجَرٍ

فَانْصاعَ كالدُرّيِّ يتْبعهُ * نقعٌ يثُورُ تخالُهُ طُنُبا

ولكنَّ الرَّجمَ زادَ في أَوانِ المبْعَثِ * وَإِنَّ التَّخرُّصَ لكثيرٌ في الإِنْسِ وَالجِنِّ وَإِنَّ الصدْقَ لَمعُوزٌ قليلٌ وهنيئًا في العاقبةِ لِلصادِقينَ *وَفي قِصَّةِ الرَّجْمِ أَقُولُ

مكَّةُ أَقْوتْ منْ بَنِي الدرْدَبِيسْ * فَمَا لِجِنّيٍّ بها مِنْ حَسِيسْ

وَكُسِّرَتْ أَصنامُها عنْوَةً * فَكُلُّ جِبتٍ بِنَصِيلٍ رَدِيسْ

وَقامَ في الصفْوَةِ من هاشمٍ * أَزهرُ لاَ يُغفِلُ حقَّ الجَلِيسْ

يَسمعُ ما أُنزِلَ منْ ربِّهِ الْـ * قُدُّوسِ وَحيًا مِثلَ قرعِ الطَسِيسْ

يجلِدُ في الخمْرِ ويَشتَدُّ في الْـ * أَمرِ ولاَ يُطلِقُ شُرْبَ الكَسِيسْ

وَيرْجمُ الزانِيَ ذا العِرْسِ لاَ * يَقْبَلُ فِيهِ سُؤْلَةً مِنْ رئِيسْ

وكَمْ عَرُوسٍ باتَ حرَّاسُها * كَجِرْمِهِمْ في عِزِّها أَوْ جَدِيسْ

زُفَّتْ الَى زَوْجٍ لها سَيِّدٍ * ما هوَ بالنِكْسِ وَلاَ بالضَّبِيسْ

غرْتُ عليْها فتخالَجتُها * بِواشِكِ الصَّرْعَةِ قبلَ المَسِيسْ

وأَسلُكُ الغادَةَ محْجُوبَةً * في الخِدْرِ أَوْ بَيْنَ جوارٍ تَمِيسْ

لا أَنتَهي عَنْ غرَضي بالرُّقَى * إِذا انْتهى الضيْغَمُ دُونَ الفَرِيسْ

وأُدْلِجُ الظَّلْماءَ في فِتْيَةٍ * ملْجِنٍ فوْقَ الماحِلِ العَرْبَسِيسْ

في طَاسِمٍ تعزِفُ جِنَّانُهُ * أَقْفَرَ إِلاَّ مِنْ عفَارِيتَ لِيسْ

بِيضٍ بهالِيلَ ثِقالٍ يَعًا * لِيلَ كِرامٍ يَنطِقونَ الهَسِيسْ

تحملنا في الجنح خيلٌ لها * أجنحةٌ ليستْ كخيلِ الأنيسْ
وأينقٌ تسبقُ أبصاركم * مخلوقةٌ بين نعامٍ وعيسْ
تقطعُ من علوةَ في ليلها * إلى قرى شاس بسيرٍ هميسْ
لا نسكَ في أيامنا عندنا * بل نكسَ الدينُ فما إنْ نكيسْ
فالأحدُ الأعظمُ والسبتُ كالـ * إثنين والجمعةُ مثلُ الخميسْ
لا مجسٌ نحنُ ولا هوَّدٌ * ولا نصارى يبتغون الكنيسْ
نمزّقُ التوراةَ من هونها * ونحطمُ الصلبانَ حطمَ اليبيسْ
نحاربُ اللهَ جنوداً لإبـ * ليسَ أخي الرأي الغبينِ النجيسْ
نسلّمُ الحكمَ إليهِ إذا * قاسَ فنرضى بالضلالِ المقيسْ
نزينُ للشارخِ والشيخِ أنْ * يفرغَ كيساً في الخنا بعدَ كيسْ
ونفتري جنَّ سليمانَ كيْ * نطاقَ منها كلَّ غاوٍ خبيسْ
صيّرَ في قارورةٍ رصّصتْ * فلمْ تغادرْ منهُ غيرَ النسيسْ
ونخرجُ الحسناءَ مطرودةً * من بيتها عنْ سوءِ ظنٍّ حديسْ
نقولُ لا تقنعْ بتطليقةٍ * واقبلْ نصيحاً لم يكنْ بالدسيسْ
حتَّى إذا صارتْ إلى غيرِهِ * عادَ من الوجدِ بجدٍّ تعيسْ
نذكرُهُ منها وقدْ زوّجتْ * ثغراً كدرٍّ في مدامٍ غريسْ
ونخدعُ القسّيسَ في فصحهِ * من بعدِ ما ملَّ بالأنقليسْ
أصبحَ مشتاقاً إلى لذةٍ * معلّلاً بالصرفِ أو بالخفيسْ
أقسمَ لا يشربُ إلاَّ دويـ * نَ السكرِ والبازلُ تالي السديسْ
قلنا لهُ ازددْ قدحاً واحداً * ما أنتَ أنْ تزدادهُ بالوكيسْ

يحميكَ في هذا الشفيفِ الّذي * يطفئُ بالقرّ التهابَ الحميسْ
فعبَّ فيها فوهي لبّهُ * وعدَّ من آلِ اللّعينِ الرّجيسْ
حتّى يفيضَ الفمُ منهُ على * نمرُقتيهِ بالشَّرابِ القَليسْ
ونُسخطُ الملكَ على المُشفقِ الـ * مفرطِ في النُّصحِ إذِ الملكُ سِيسْ
وأُعجلُ السّعلاةَ عن قوتها * في يدِها كشحُ مهاةٍ نهيسْ
لا أتّقي البرَّ لأهوالهِ * وأركبُ البحرَ أوانَ القريسْ
نادمتُ قابيلَ وشيثاً وها * بيلَ على العاتقةِ الخندريسْ
وصاحبي لمكَ لدى المزهرِ الـ * معمَّلِ لم يعيَ بزيرٍ جسيسْ
ورهطَ لقمانَ وأيسارَهُ * عاشرتُ من بعدِ الشبابِ اللبيسْ
ثمّتَ آمنتُ ومن يرزقِ الـ * إيمانَ يظفرْ بالخطيرِ النّفيسْ
جاهدتُ في بدرٍ وحاميتُ في * أحدٍ وفي الخندقِ رعتُ الرئيسْ
وراءَ جبريلَ وميكالَ نخـ * لي الهامَ في الكبَّةِ خليَ السّيسْ
حينَ جيوشُ النّصرِ في الجوّ والـ * طاغوتُ كالزرعِ تناهى فديسْ
عليهمُ في هبواتِ الوغى * عمائمٌ صفرٌ كلونِ الورِيسْ
صهيلُ حيزومَ إلى الآنَ في * سمعي أكرمْ بالحصانِ الرعيسْ
لا يتبعُ الصيدَ ولا يألفُ الـ * قيدَ ولا يشكو الوجى والدخيسْ
فلم تهبني حرّةٌ عانسٌ * ولا كعابٌ ذاتُ حسنٍ رسيسْ
وأيقنتْ زينبُ منّي التقى * ولم تخفْ من سطواتي لميسْ
وقلتُ للجنِّ ألا يا اسجدوا * للهِ وانقادوا انقيادَ الخسيسْ
فإنَّ دنياكم لها مدّةٌ * غادرةٌ بالسمحِ أو بالشكيسْ

بِلقيسُ أَوْدَتْ ومضى مُلْكُها * عنها فما في الأُذْنِ مِنْ هَلْبَسِيسْ
وأُسْرَةُ المُنْذِرِ حارُوا عَنِ الْـ * حِيرَةِ كُلٌّ في تُرابِ الرَّمِيسْ
إِنَّا لَمَسْنَا بَعْدَكُمْ فَاْعلموا * بِرْقِعَ فاهْتاجَتْ بِشَرٍّ بَئِيسْ
تَرْمي الشياطينَ بِنيرانِها * حَتَّى تُرَى مِثْلَ الرَّمادِ الدَّرِيسْ
فَطاوَعَتْني أُمَّةٌ مِنْهُمُ * فازَتْ وأُخْرَى لَحِقَتْ بالرَّكِيسْ
وَطارَ في اليَرْمُوكِ بي سابِحٌ * والقَوْمُ في ضَرْبٍ وطَعْنٍ خَلِيسْ
حَتَّى تَجَلَّتْ عَنِّيَ الحَرْبُ كالْـ * جَمْرَةِ في وَقْدَةِ ذاكَ الوَطِيسْ
والجَمَلُ الأَنْكَدُ شاهَدْتُهُ * بِئْسَ نَتِيجُ النَاقَةِ العَنْتَرِيسْ
بَيْنَ بَنِي ضَبَّةَ مُسْتَقْدِماً * والجَهْدُ في العالَمِ داءٌ نَجِيسْ
وَزُرْتُ صِفِّينَ على شَطْبَةٍ * جَرْداءَ ما سائِسُها بالأَرِيسْ
مُجَدِّلاً بالسَّيْفِ أَبْطالَها * وَقاذِفاً بالصَّخْرَةِ المَرْمَرِيسْ
وَسِرْتُ قُدَّامَ عَلِيٍّ غَداً * ةَ النَهْرِ حَتَّى فُلَّ غَرْبُ الخَمِيسْ
صادَفَ مِنِّي واعِظٌ تَوْبَةً * فَكانَتِ اللَّقْوَةُ عِنْدَ القَبِيسْ

فَيَعْجَبُ لا زالَ في الغِبْطَةِ والسُّرُورِ لِمَا سَمِعَهُ مِنْ ذلِكَ الجِنِّيِّ وَيَكْرَهُ الإِطالَةَ عِنْدَهُ فَيُوَدِّعُهُ وَيَهُمُّ فَإِذا هُوَ بِأَسَدٍ يَفْتَرِسُ مِنْ صِيرانِ الجَنَّةِ وَحَسِيلِها فَلا تَكْفِيهِ هُنَيْدَةٌ ولا هِنْدٌ * أَي مائَةٌ ولا مائَتانِ * فَيَقُولُ في نَفْسِهِ لَقَدْ كانَ الأَسَدُ يَفْتَرِسُ الشاةَ العَجْفاءَ فَيُقِيمُ عَلَيْها الأَيّامَ لا يَطْعَمُ سِواها شَيْئاً * فَيُلْهِمُ اللهُ الأَسَدَ أَنْ يَتَكَلَّمَ وَقَدْ عَرَفَ ما في نَفْسِهِ فيقولُ يا عبدَ اللهِ أَلَيْسَ أَحَدُكُمْ في الجَنَّةِ تُقَدَّمُ لهُ الصَحْفَةُ وفيها البَهَطُّ والطِرْيَمُ مَعَ النَّهِيدَةِ فَيَأْكُلُ منها مِثْلَ عُمْرِ السَّمٰواتِ والأَرْضِ يَلْتَذُّ بما أَصابَ فَلا هُوَ مُكْتَفٍ ولا هِيَ

الفانيةُ وكذلك أنا أفترسُ ما شاءَ اللهُ فلا تتأذى الفريسةُ بظفرٍ ولا نابٍ ولكن تجدُ من اللذةِ كما أجدُ بلطفِ ربها العزيزِ أتدري من أنا أيها البزيع * أنا أسدُ القاصرة التي كانت في طريقِ مصرَ فلما سافرَ عتبةُ بنُ أبي لهب يريدُ تلكَ الجهةَ وقال النبيُّ صلى اللهُ عليهِ اللهمَّ سلطْ عليهِ كلباً من كلابك ألهمتُ أن أتجوَّعَ لهُ أياماً وجئتُ وهو نائمٌ بينَ الرفقةِ فتخللتُ الجماعةَ إليهِ وأُدخلتُ الجنةَ بما فعلتُ * ويمرُّ بذئبٍ يقتنص ظباءً فيفني السربةَ بعدَ السربةِ وكلما فرغ من ظبيٍ أو ظبيةٍ عادتْ بالقدرةِ الى الحالِ المعهودةِ فيعلمُ أنَّ خطبهُ كخطبِ الأسدِ فيقولُ ما خبرُكَ يا عبدَ اللهِ فيقولُ أنا الذئبُ الذي كلَّمَ الأسلميَّ على عهدِ النبيِّ صلى اللهُ عليهِ كنتُ اقيمُ عشرَ ليالٍ او اكثرَ لا أقدرُ على العكرشةِ ولا القواعِ وكنتُ إذا هممتُ بعجيِّ المعيز آسدَ الراعي عليَّ الكلابَ * فرجعتُ إلى الصاحبةِ مخرَّقَ الإهابِ * فتقولُ لقد خطئتَ في أفكارِكَ * ما خيرَ لك في ابتكارِكَ * وربما رُميتُ بالسروةِ فنشبتْ في الأقرابِ فأبيتُ ليلتي لما بي حتى تنتزعها السلقةُ وأنا بآخرِ النسيسِ * فلحقتني بركةُ محمدٍ صلى اللهُ عليه * فيذهبُ عرفهُ اللهُ الغبطةَ في كلِّ سبيلٍ فإذا هوَ ببيتٍ في أقصى الجنةِ كأنهُ حفشُ أمةٍ راعيةٍ وفيه رجلٌ ليس عليهِ نورُ سكانِ الجنةِ وعندهُ شجرةٌ قميئةٌ ثمرُها ليس بزاكٍ فيقول يا عبدَ اللهِ لقد رضيتَ بحقيرٍ شقنٍ * فيقولُ واللهِ ما وصلتُ إليه إلا بعدَ هياطٍ ومياطٍ وعرقٍ من شقاءٍ وشفاعةٍ من قريش وددتُ أنها لم تكنْ * فيقولُ من أنتَ * فيقولُ أنا الحطيئةُ العبسيُّ * فيقولُ بمَ وصلتَ الى الشفاعةِ * فيقولُ بالصدقِ * فيقول في أيِّ شيءٍ * فيقول في قولي

أَبَتْ شفتايَ اليومَ إلاَّ تكلُّما * بهُجْرٍ فلا أدري لِمَنْ أنا قائِلُهْ
أرى لِيَ وجهاً شوَّهَ اللهُ خلقَهُ * فقُبِّحَ مِنْ وَجْهٍ وقُبِّحَ حامِلُهْ

فيقولُ ما بالُ قولك

مَنْ يَفعلِ الخيرَ لا يعدمْ جوازِيَهُ * لا يَذْهَبُ العُرفُ بَيْنَ اللهِ والناس

لَمْ يُغفَرْ لك بِهِ * فيقولُ سبقَني إلى معناهُ الصَّالِحونَ ونظمْتُهُ ولم أعمَلْ بِهِ فحُرِمْتُ الأَجرَ عليْهِ * فيقولُ ما شأْنُ الزِّبرقانِ بنِ بَدْرٍ * فيقولُ الحُطَيئَةُ هُوَ رئيسٌ في الدُّنيا والآخِرَةِ انتفعَ بِهِجائي ولَمْ يَنتفِعْ غيرُهُ بِمَديحي * فيُخلِّفُهُ ويَمضي فاذا هوَ بامرأَةٍ في أقصى الجنَّةِ قريبةٍ من المُطَّلعِ الى النار * فيقولُ مَنْ أنتِ * فتقولُ انا الخنساءُ السُّلَميَّةُ أحببْتُ أنْ أنظُرَ الى صَخْرٍ فاطَّلعْتُ فرأيتُهُ كالجبَلِ الشامخِ والنارُ تَضْطَرِمُ في رَأْسِهِ فقال لي لقد صحَّ مزعَمُكِ فيَّ يعني قولي

وإنَّ صخرًا لتأْتمُّ الهُداةُ بِهِ * كأنَّهُ علَمٌ في رَأْسِهِ نارُ

فيَطَّلِعُ فيرَى إبليسَ لعنَهُ اللهُ وهوَ يَضْطَرِبُ في الأَغلالِ والسَّلاسِلِ ومقامِعُ الحديدِ تأْخُذُهُ مِنْ أَيدي الزَّبانيَةِ * فيقولُ الحمدُ للهِ الذي أمكَنَ منكَ يا عَدُوَّ اللهِ وعدوَّ أوليآئه لقَدْ أهلكْتَ مِنْ بَني آدَمَ طوائفَ لا يَعلَمُ عددَها إلاَّ اللهُ * فيقولُ مَنِ الرَّجلُ فيقولُ أنا فلانُ بنُ فلانٍ مِنْ أهلِ حلَبَ كانتْ صناعتي الأَدَبَ أتقرَّبُ بِهِ الى المُلوكِ * فيقولُ بئسَ الصناعةُ إنَّها تهَبُ غُفَّةً مِنَ العيشِ لا يتَّسِعُ بِها العيالُ وإنَّها لَمزَلَّةُ القَدَمِ وكَمْ أهلَكتْ مثلَكَ فهنيئاً لكَ إذْ نجوْتَ فأولى لكَ ثُمَّ أَولى * وإنَّ لي إليكَ لَحاجةً فإنْ قضيتَها شكرَتْكَ يدَ المَنُونِ * فيقولُ إنّي لا اقدِرُ لكَ على نفعٍ فإنَّ الآيةَ سبقَتْ في

اهلِ النارِ أعني قولَهُ تعالى وَنَادَى أَصْحابُ ٱلنَّارِ أَصْحابَ ٱلْجَنَّةِ ان أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللهُ قَالُوا إِنَّ ٱللهَ حَرَّمَهُمَا على الكافرينَ * فيقولُ انّي لا أَسأَلُكَ في شَيْءٍ مِنْ ذلكَ ولكِنْ أسأَلُكَ عَنْ خَبَرٍ تخبِرُنيهِ * إِنَّ الخمرَ حُرِّمَتْ عليكُمْ في الدُّنيا وأُحِلَّتْ لَكُمْ في الآخرةِ فهَلْ يَفْعَلُ أَهْلُ الجنَّةِ بالوِلدَانِ المُخَلَّدِينَ فعلَ أهلِ القرياتِ فيقولُ عليكَ البَهْلَةُ أَما شغَلَكَ ما أنتَ فيه أَما سَمِعتَ قولَهُ تعالى وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * فيَقُولُ وإِنَّ في الجنّةِ لأَشْرِبَةً كَثيرةً غيرَ الخمرِ فما فَعلَ بَشَّارُ ابْنُ بُرْدٍ فإِنَّ لهُ عِنْدِي يدًا ليست لِغَيْرِهِ مِنْ وَلَدِ آدمَ كانَ يُفَضِّلُنِي دون الشعرآءِ وهوَ القائلُ

إِبْليسُ أَفضلُ مِنْ أَبيكُمْ آدَمٍ * فتَبَيَّنُوا يا مَعشَرَ الأَشرارِ
النارُ عُنْصُرُهُ وآدمُ طِينَةٌ * والطينُ لا يَسْمو سُمُوَّ النارِ

لَقَد قال الحقَّ ولم يزَلْ قائلُه من المَمْقُوتِينَ * فلا يَسكُتُ مِنْ كَلامِهِ إِلا وَرَجُلٌ في أَصنافِ العَذابِ يُغَمِّضُ عَيْنَيْهِ حتَّى لا يَنظُرَ الى ما نَزَلَ به من النِّقَمِ فيَفتَحُهما الزبانيَةُ بِكَلاليبَ مِن نارٍ وإِذا هو بَشَّارُ بنُ بُرْدٍ قد أُعْطِيَ عَيْنَيْنِ بعد الكَمَهِ لِيَنْظُرَ إِلى ما نزَلَ بِهِ مِنَ النَّكالِ * فيقولُ لهُ أَعْلَى اللهُ دَرَجَتَهُ يا أَبا مُعاذٍ لَقَدْ أَحْسَنْتَ في مَقالِكَ * وأَسأْتَ في مُعْتَقَدِكَ * ولقَدْ كُنتُ في الدَّارِ العاجلةِ أَذكُرُ بَعْضَ قَوالِكَ فأَترَحَّمُ عَلَيكَ ظَنًّا أَنَّ التَّوبَةَ ستلحَقُكَ مِثلَ قولِكَ

إِرْجِعْ إِلى سَكَنٍ تَعيشُ بِهِ * ذَهَبَ الزمانُ وأَنْتَ مُنْفَرِدُ
تَرْجُو غَدًا وَغدًا كَحامِلَةٍ * في الحيِّ لا يَدْرُونَ ما تَلِدُ

وقولك

وَاهاً لِأَسماءَ ابنَةِ الأَشدِّ * قامتْ تَراءَى إذْ رَأتْني وَحدي
كالشمسِ بينَ الزِّبرِجِ المُنقَدِّ * ضَنَّتْ بِخَدٍّ وَجَلَتْ عَنْ خَدِّ
ثُمَّ انثنتْ كالنَفَسِ المُرتَدِّ * وَصاحِبٍ كالدُّمَّلِ المُمِدِّ
أَرقُبُ مِنهُ مِثلَ حُمَّى الوِرْدِ * حَمَلْتُهُ في رُقعةٍ مِنْ جِلدي
الحرُّ يُلحَى والعَصا لِلعَبدِ * ولَيسَ لِلمُلحِفِ مِثلُ الرَّدِّ

الآنَ وَقعَ منكَ اليأسُ وقُلتَ في هذهِ القَصيدةِ السُّبْدِ في بَعض قَوافيها فإِنْ كُنتَ أَرَدتَ جمعَ سبَدٍ وهوَ طائرٌ فإنَّ فُعَلاً لا يُجمَعُ على ذلكَ وإِنْ كُنتَ سكّنتَ الباءَ فقد أَسأتَ لأَنَّ تَسكينَ الفَتحة غيرُ معرُوفٍ ولا حُجَّةَ لكَ في قَوْلِ الأَخطَلِ

وما كُلُّ مَغْبُونٍ إِذا سلْفَ صفْقةً * يُراجِعُ ما قَدْ فاتَهُ بِرَدادِ

ولا في قول الآخر

وقالوا تُرابيٌّ فقلتُ صَدَقتمُ * أَبي مِنْ تُرابٍ خَلَقَهُ اللهُ آدَما

لأَنَّ هذهِ شَواذٌّ * فأَمَّا قَولُ جَميلٍ

وَصاحَ ببَيْنٍ من بُثَينَةَ والنَوَى * جَميعٌ بذاتِ الرَّضمِ صَرْدٌ مُحَجَّلُ

فإِنَّ مَنْ أَنشَدَهُ بِضَمّ الصادِ مُخطِئٌ لأَنَّهُ يَذْهَبُ إلى أَنَّهُ اراد الصُّرَدَ فسكَّنَ الراءَ وإِنَّما هوَ صَرْدٌ أَيْ خالصٌ مِنْ قَولِهم أُحِبُّكَ حبًّا صرْدًا أَيْ خالصاً يَعْني غُراباً أَسْوَدَ لَيسَ فيهِ بَياضٌ * وقولُهُ مُحَجَّلٌ أَيْ مُقَيَّدٌ لأَنَّ حلقَةَ القَيْدِ تُسَمَّى حِجلاً قال عَدِيُّ بْنُ زَيدٍ

عاذِلَ قدْ لاقيتُ ما يَزَعُ الفَتى * وَطابَقْتُ في الحِجلَيْنِ مَشْيَ المُقَيَّدِ

والغُرابُ يوصَفُ بالتَّقييدِ لِقِصَرِ نَساهُ قالَ الشاعرُ

وَمُقَيَّدٍ بَيْنَ الدِيارِ كأَنَّهُ * حَبَشِيٌّ داجِنَةٍ يَجُرُّ وَيَعْتَلي

فيقولُ بَشّارٌ يا هذا دَعْني مِنْ أَباطيلِكَ فإِنّي لَمَشْغولٌ عَنْكَ * وَيَسأَلُ عَنِ أمرئِ القيسِ بْنِ حُجْرٍ فيقالُ ها هُوَ ذا بحيثُ يَسْمَعُكَ فيقولُ يا أَبا هِنْدٍ إِنَّ رُواةَ البغدادِيينَ يُنْشِدونَ (في قفا نَبْكِ) هذهِ الأَبْياتَ بِزِيادَةِ الواوِ في أَوَّلِها أَعْني قَوْلَكَ وَكَأَنَّ ذُرَى رَأْسِ المُجَيْمِرِ غُدْوَةً وكذلك وَكَأَنَّ مَكاكِيَّ الجِوَاءِ وكأَنَّ السِباعَ فيهِ غَرْقَى * فيقولُ أَبْعَدَ اللهُ أُولئكَ لقدْ أَساءوا الرِوايةَ وإِذا فعلُوا ذلكَ فأَيُّ فَرْقٍ يَقَعُ بَيْنَ النَّظْمِ والنَّثْرِ * وإِنَّما ذلكَ شَيْءٌ فَعَلَهُ مَنْ لا غَريزَةَ لهُ في مَعرفةِ وَزْنِ القَريضِ فظَنَّهُ المُتأَخِرونَ أَصْلاً في المَنْظُومِ وهَيْهاتَ هَيْهاتَ * فيقولُ أَخْبِرْني عَنْ قَولِكَ كَبِكْرِ المُقاناةِ البَياضِ بِصُفْرَةٍ ما ذا أَرَدْتَ بالبِكْرِ * فقَدِ اختَلَفَ المتأَوِّلونَ في ذلكَ فقالوا البَيضَةُ وقالوا الدُرَّةُ وقالوا الرَّوْضَةُ وقالوا الزَّهرَةُ وقالوا البَرْدِيَّةُ وكَيْفَ تُنْشِدُ البَياضِ أَمِ البَياضَ أَمِ البَياضُ * فيقولُ كُلُّ ذلك حَسَنٌ وأَختارُ البَياضِ بالكَسْرِ * فيقولُ فَرَّغَ اللهُ ذِهْنَهُ لِلآدابِ لو شَرَحتُ لَكَ ما قالَ النَّحْوِيّونَ في ذلكَ لَعَجِبْتَ وبَعْضُ المُعلّمينَ يُنْشِدُ قَوْلَكَ * مِنَ السَّيْلِ والغُثّاءِ فَلْكَةُ مِغْزَلِ فَيُشدِّدُ الثّاءَ * فيقولُ إِنَّ هذا لَجهولٌ وهُوَ نَقيضُ الذينَ زادوا الواوَ في أَوائلِ الأَبياتِ أُولئكَ أَرادوا النَّسَقَ فأَفسَدوا الوزنَ وهذا البائسُ أَرادَ أَنْ يُصَحِّحَ الزِّنَةَ فأَفسَدَ اللفظَ وكذلك قَولي * فجِئْتُ وقد نَضَّتْ لِنَوْمٍ ثِيابَها مِنْهُم مَنْ يُشَدِّدُ الضادَ ومنهم مَن يُنْشِدُ بالتَخفيفِ والوَجهانِ مِن قَولكَ نَضَوْتُ الثَّوبَ إِلاّ أَنَّكَ اذا شدَّدتَ الضادَ أَشبهَ الفِعلَ مِنَ النَّضيضِ * يُقالُ هذهِ

نَضيضَةٌ مِنَ المطَرِ أَيْ قليلٌ * والتَخفيفُ أَحبُّ إِليَّ وإِنما حمَلَهُمْ على التشديدِ كراهةُ الزِّحافِ وَلَيْسَ عندَنا بمَكروهٍ * فيقولُ لاَ برِحَ منطيقاً بالحِكَمِ فأَخبِرْني عنْ كَلمتِك الصاديَّةِ والضاديَّةِ والنونيَّةِ التي أَوَّلُها

لِمنْ طَلَلٌ أَبصَرْتُهُ فشجاني * كَخَطِّ زَبُورٍ في عَسيبِ يمَانِ

لقدجئتَ فيها بأَشياءَ يُنكِرُها السمعُ كقولك

فانْ أَمسِ مكروباً فيارُبَّ غارةٍ * شهِدْتُ علَى أَقبَّ رِخوِ اللَّبانِ

وكذلكَ قولُكَ في الكَلمَةِ الصَّاديَّةِ

علَى نِقنِقٍ هيْقٍ لَهُ ولِعِرسِهِ * بِمُنْقَطَعِ الوَعْساَءِ بَيْضٌ رَصِيصْ

وقَولُكَ

فأُسقي بهِ أُختي ضَعيفَةَ إِذْ نأَتْ * وَإِذْ بعُدَ المَزْدارُ غيرَ القَريضْ

في أَشباهٍ لذَلكَ هلْ كانتْ غرائزُكمْ لا تُحِسُّ بهذهِ الزِّيادةِ أَمْ كُنتُمْ مطبُوعينَ على إِتيانِ مغامضِ الكلامِ وأَنتُمْ عالمونَ بما يقَعُ فيهِ كما أَنَّهُ لا رَيبَ أَنَّ زُهيراً كانَ يعرِفُ مكانَ الزِّحافِ في قوْلِهِ

يَطْلُبُ شأْوَ أُمرأَيْنِ قدَّما حسَباً * نالاَ المُلوكَ وبذّا هذهِ السُّوَقا

فإِنَّ الغرائزَ تُحِسُّ بهذهِ المواضعِ فتباركَ اللهُ أَحسَنُ الخالقِينَ * فيقولُ امرُؤُ القَيسِ أَدرَكْنا الأَوَّلينَ منَ العرَبِ لا يحفِلونَ بمجيءِ ذلكَ ولا أَدْري ما شجَنَ عنْهُ فأَمّا أَنا وطبقَتي فكُنّا نمُرُّ في البيْتِ حتّى نأْتيَ الى آخرهِ فإِذا فنيَ وقارَبَ تبيَّنَ أَمرُهُ للسّامِعِ * فيقولُ ثبَّتَ اللهُ تعالى الإِحسانَ عليهِ أَخبِرْني عنْ قوْلِكَ

أَلا رُبَّ يَومٍ لَكَ مِنهُنَّ صالحٍ * وَلا سيَّما يَوْمٌ بدارةِ جُلْجُلِ

أَتُنْشِدُهُ لَكَ مِنهُنَّ صالحٍ فتزاحِفُ بالكَفِّ أَمْ تُنشِدُه على الروايةِ الأُخرى *

فأَمَّا يومٌ فيجوزُ فيهِ النَّصبُ والخفضُ والرَّفعُ * فأمَّا النصبُ فعلى ما يجبُ للمفعول منَ الظُّروفِ والعاملُ في الظَّرْفِ هاهُنا فعلٌ مُضمَرٌ * وأَمَّا الرفعُ فعلى أَنْ تُجْعَلَ ما كافَّةً وَما الكافَّةُ عِندَ بعضِ البصريِّينَ نَكِرَةٌ وَاذا كانَ الأَمرُ كذلكَ فهوَ بَعدَها مُضْمَرَةٌ * وإِذا خُفِضَ يَوْمٌ فما مِنَ الزيادات * ويُشَدَّدُ سِيَّ ويُخَفَّفُ فأَمَّا التشديدُ فهُو اللُّغَةُ العالِيَةُ وبَعضُ النَّاسِ يُخَفِّفُ * ويقالُ إِنَّ الفرَزْدَقَ مَرَّ وهو سكرانُ على كِلابٍ مُجتَمِعَةٍ فسلَّمَ عليْها فلمَّا لم يَسمعِ الجَوابَ أَنشأَ يقول

فَما رَدَّ السلامَ شُيوخُ قَوْمٍ * مَرَرتُ بِهِمْ عَلَى سِكَكِ البَرِيدِ

ولا سِيَما الَّذي كانَت عليهِ * قَطيفَةُ أُرْجُوانٍ في القُعودِ

فيقولُ امرُؤُ القَيْسِ أَمَّا أَنا فما قُلتُ في الجاهليَّةِ إِلاَّ بزِحافٍ (لَكَ مِنهُنَّ صالحٍ) وأَمَّا المُعلِّمونَ في الإِسلامِ فغيَّرُوهُ على حَسَبِ ما يُريدُونَ وَلا بأْسَ بالوَجهِ الَّذي اختارُوهُ * والوُجوهُ في يَومٍ مُتقارِبةٌ وَسِيَّ تَشديدُها أَحسَنُ وَأَعْرَفُ * فيقولُ أَجَلْ إِذا خُفِّفَتْ صارَتْ عَلى حَرْفَينِ أَحَدُهُما حرفُ عِلَّةٍ * وَيقولُ أَخبِرْني عَنِ التَّسْميطِ المَنسُوبِ إِليكَ أَصَحيحٌ هُوَ عَنكَ ويُنشِدُهُ الَّذي يَرْويهِ بَعضُ النَّاسِ

يا صَحْبَنا عَرِّجُوا * تَقِفْ بِكُمْ أُسُجُ

مَهْرِيَّةٌ دُلُجُ * في سَيْرِها مَعَجُ

طالَتْ بِها الرِحَلُ

فعرِّجُوا كلُّهُمْ * وَالهَمُّ يَشغَلُهُمْ

والعِيسُ تَحْمِلُهُمْ * لَيْسَتْ تُعَلِّلُهُمْ

وعاجَتِ الزُّمَلُ

يا قَوْمُ إِنَّ الهَوَى * إذا أَصابَ الفَتَى

في القَلْبِ ثُمَّ ارْتَقَى * فَهَدَّ بَعْضَ القُوَى

فَقَدْ هَوَى الرَّجُلُ

فيقولُ لا واللهِ ما سَمِعتُ هذا قَطُّ وَإِنَّهُ لَقَرِيٌّ لم أَسْلُكْهُ وإِنَّ الكَذِبَ لَكَثِيرٌ وَأَحْسَبُ هذا لِبَعضِ شُعَرَآءِ الإِسلام ولقد ظَلَمَني وأَسآءَ إِلَيَّ * أَبعْدَ كَلِمَتِي التي أَوَّلُها

أَلَا عِمْ صَباحًا أَيُّها الطَّلَلُ البالي * وهلْ يَعِمَنْ مَنْ كانَ في العُصُرِ الخالي

وقَوْلي

خَليلَيَّ مُرَّا بي على أُمِّ جُنْدَبِ * لِأَقْضِيَ حاجاتِ الفُؤَادِ المُعَذَّبِ

يُقالُ لي مِثلُ ذلك * والرَّجَزُ مِنْ أَضعَفِ الشِعْرِ وهذا الوزنُ مِنْ أَضعَفِ الرَّجَزِ * فيَعْجَبُ ملأَ اللهُ فُؤَادَهُ بالسُرور لِما سَمِعَهُ مِنِ امرِئِ القَيْسِ ويقولُ كَيْفَ يُنْشَدُ

جالتْ لِتَصرَعَني فقلْتُ لها اقصِري * إِنِّي امْرُؤٌ صَرْعي عليكِ حَرامُ

أَتقولُ حَرامُ فتُقْوِي ام تقولُ حَرامِ فتُخرِجُهُ مُخرَجَ حَذامِ وقَطامِ وقدْ كان بعضُ علمآءِ الدَولةِ الثانيـةِ يَجمُلُكَ لا يَجوزُ الإِقْوآءُ عليك * فيقولُ امْرُؤُ القَيْسِ لا نَكْرَهُ عِندَنا في الإِقوآءِ أَما سَمِعتَ البيتَ في هذه القَصيدة

فكأَنَّ بَدْرًا واصِلٌ بِكَنيفَـةٍ * وكأَنَّما مِنْ عاقِلٍ إِرْمامِ

فَيقولُ لَقدْ صَدَقْتَ يا أَبا هِنْدٍ لأَنَّ إِرماماً هاهُنا لَيس واقِعاً مَوْقِعَ الصِفَةِ

فيُحمَلَ علَى المُجاوِرةِ لِأنَّهُ محمولٌ على كأنَّما وإضافتُهُ إلى ياءِ النَّفس تُضعِف الغرضَ وقد ذهبَ بعضُ الناسِ إلى الإضافةِ في قولِ الفرزدق

فما تَدري إذا قعدَتْ علَيهِ * أسعْدُ اللهِ اكثرُ أمْ جُذامِ

فقالوا أضافَ كما قالَ جريرٌ

تلكُمْ قُرَيشيَ والانصارُ أنصاري * وكذلك قولُهُ

وإذا غضِبْتُ رمَتْ وراَئي مازنٌ * أولادُ جَنْدَلَتي كخيرِ الجَنْدَلِ

وبعضهم يَروِي * أولادُ جندَلةٍ كخيرِ الجندَلِ * وجنـدَلةُ هذِه هيَ أمُّ مازنِ بنِ مالكِ بنِ عمرِ بنِ تميم وهيَ من نِساَءِ قُرَيشٍ * وإنَّا لَنَروِي لك بيتًا ما هوَ في كلِّ الرِواياتِ وأظُنُّهُ مصنوعًا لِأنَّ فيهِ ما لَمْ تَجْرِ عادتُك بِمثلِهِ وهوَ قولُك

وعَمرُو بنُ دَرْماَءِ الهُمامُ إذا غدَا * بِصارِمِهِ يَمْشي كمَشيَـةِ قَسْوَرا

فيَقول أبعدَ اللهُ الآخرَ لقدِ اخترَص * فما اترَص * وإنَّ نِسبَةَ مِثلِ هذا إليَّ لَأعدُّهُ إحدَى الوَصَماتِ فإن كان مَنْ فعَلَهُ جاهليًّا * فهُو منَ الذينَ وَجدُوا في النَّارِ صُلِيًّا * وَإنْ كانَ منْ أهلِ الإسلامِ * فقدْ خبَطَ في ظَلَامٍ * وإنَّما أنكرَ حذفَ الهاَءِ منْ قَسْوَرة لأنَّهُ لَيسَ بِمَوْضعِ الحذفِ وقلَّ ما يُصابُ في أشعارِ العرَبِ مِثْلُ ذلكَ فأمَّا قولُ القائلِ

إنَّ ابنَ حارِثَ إنْ أشتَقْ لِرُؤْيتِهِ * أوْ أمتَدِحهُ فإنَّ النَّاسَ قدْ علِمُوا

فليسَ منْ هذا النَّحوِ إذ كانَ التغيِـيرُ إلى الأسماَءِ المَوْضوعةِ أسرعَ منه الى الأسماَءِ التي هيَ نكراتٌ إذْ كانت النَّكِرَةُ أصلاً في البابِ * وينظُرُ فاذا عنـترَةُ العبْسِيُّ متَلَدِّدٌ في السَّعيرِ فيَقولُ ما لَكَ يا أخا عبسٍ كأنَّكَ لم

نَنطِقْ بقَوْلك

ولقَدْ شَرِبْتُ منَ المُدامَةِ بَعْدَ ما * رَكَدَ الهَواجِرُ بالمَشُوفِ المُعْلَمِ

بزُجاجةٍ صفراءَ ذاتِ أَسِرَّةٍ * قُرِنَتْ بأَزْهرَ في الشِمالِ مُفَدَّمِ

وانّي اذا ذَكَرْتَ قَولكَ هل غادَرَ الشُعَراءُ من مُتَرَدَّمِ لَأَقولُ إِنَّما قِيلَ ذلكَ وَدِيوانُ الشِّعرِ قَلِيلٌ مَحفوظٌ فأَمَّا الآنَ فقدْ كَثُرَتْ على الصَّائدِ الضِباب * وعرَفَتْ مَكانَ الجَهْلِ الرِّباب * ولَو سَمِعتَ ما قيلَ بَعدَ مَبْعَثِ النَبيِّ صلَّى اللهُ عليهِ لعَتَبْتَ نفسكَ على ما قُلْتَ وعلِمتَ أَنَّ الأَمرَ كما قالَ حَبيبُ بْنِ أَوْسٍ

فَلَوْ كانَ يفْنَى الشِعْرُ أَفْناهُ ما قَرَتْ * حِياضُكَ منْهُ في العُصورِ الذَواهِبِ

وَلَكِنَّهُ صَوْبُ العقولِ إِذا انجَلَتْ * سَحائبُ منهُ أُعقِبَتْ بِسَحائِبِ

فيَقولُ وَما حَبِيبُكُمْ هذا فيقولُ شاعرٌ ظَهَرَ في الإِسلامِ ويُنْشِدُهُ شيْئًا من نظْمِهِ * فيقولُ أَمَّا الأَصلُ فعَرَبِيٌّ * وأَمَّا الفَرْعُ فنَطَقَ بِهِ غَبِيٌّ * ولَيْسَ هذا المَذهَبُ على ما تَعرِفُ قبائلُ العَرَبِ * فيقُولُ وهوَ ضاحِكٌ مُسْتَبْشِرٌ إِنَّما يُنكَرُ عليهِ المُسْتَعارُ وقد جاءَت العارِيَّةُ في أَشْعارٍ كثيرةٍ منَ المُتَقدِّمينَ إِلَّا أَنَّها لا تجتَمِعُ كاجْتِماعِها فِيما نَظَمَهُ حَبِيبُ بْنُ أَوْسٍ * فما أَرَدْتَ بالمَشُوفِ المُعْلَمِ الدِّينارَ أَمِ الرِداءَ فيقولُ ايَّ الوَجْهَيْنِ أَرَدْتُ فهوَ حَسَنٌ وَلا يَنْتَقِضُ * فيقولُ جَعَلَ اللهُ سَمْعَهُ مُسْتَوْدَعًا كُلَّ الصالحاتِ لَقَد شَقَّ عَلَيَّ دُخُولُ مِثْلِكَ الى الجَحيمِ وكأَنَّ أُذُني مصغيةٌ الى قَيْناتِ الفُسْطاطِ وهيَ تُغَرِّدُ بقَوْلِكَ

أَمِنْ سُمَيَّةَ دَمْعُ العَيْنِ تَذْرِيفُ * لَوْ أَنَّ ذا منكِ قَبلَ اليَوْمِ مَعْرُوفُ

تَجَلَّلَتْنِيَ إِذ أَهْوَى العَصا قَبلي * كأَنَّها رَشَأٌ في البَيْتِ مطرُوفُ

العَبدُ عَبْدُكُمُ والمالُ مالُكُمُ * فَهَلْ عذابُكِ عَنّي اليَوْمَ مَصْرُوفُ

وإني لأتمثّلُ بقولك

ولقد نزلتِ فلا تظنّي غيرَهُ * منّي بمنزلةِ المحبِّ المُكرَمِ

ولقد وُفّقتَ في قولك المحبّ لأنّك جئتَ باللفظِ على ما يجبُ في أحببتُ وعامّةُ الشعراءِ يقولون أحببتُ فإذا صاروا إلى المفعولِ قالوا محبوبٌ قال زُهيرُ بنُ مسعودٍ الضبّيّ

واضحةُ الغرّةِ محبوبةٌ * والفرسُ الصالحُ محبوبُ

وقال بعضُ العلماءِ لمْ يُسمَعْ بمُحبٍّ إلاّ في بيتِ عنترةَ وإنّ الذي قال أحببتُ ليجبُ عليه أنْ يقولَ محبٌّ إلاّ أنّ العربَ اختارت أحبُّ في الفعلِ وقالت في المفعولِ محبوب وكانَ سيبويهِ يُنشدُ هذا البيتَ بكسرِ الهمزةِ * إحِبُّ لحبّها سُودَ الكلابِ *فهذا على رأيِ منْ قالَ مِعيرٌ فكسرَ الميمَ على معنى الإتباعِ وليسَ هو عندَهُ على حَبَبْتُ أحِبُّ وقد جاءَ حَبَبْتُ قال الشاعر

وواللهِ لولا تمرُهُ ما حَبَبْتُهُ * ولا كانَ أدنى منْ عُبَيدٍ ومُشْرِقِ

ويقال إنّ أبا رجاءٍ العُطارديّ قرأَ فاتّبعوني يَحِبَبْكُمُ اللهُ بفتحِ الياءِ * والبابُ فيما كانَ مُضاعفاً متعدّياً أنْ يجيءَ بالضمّ كقولك عددتُ أعُدُّ ورددتُ أرُدُّ وقد جاءتْ أشياءُ نوادرُ كقولهم شددتُ الحبلَ أشُدُّ وأشِدُّ ونممتُ الحديثَ أنُمّ وأنِمُّ وعللتُ القومَ أعُلُّ وأعِلُّ وإذا كانَ غيرَ متعدٍّ فالبابُ الكسرُ كقولهم حلّ عليهِ الدَّينُ يحِلُّ وجلّ الأمرُ يجِلُّ * والضمُّ في غيرِ المتعدّي أكثرُ من الكسرِ فيما كانَ متعدّياً كقولهم شحّ يشُحُّ ويَشِحُّ وشبّ الفرسُ يشُبُّ ويشِبُّ وصحّ الأمرُ يَصِحّ ويصُحُّ وفحّت الحيّةُ تفِحُّ وتفُحُّ وجمّ الماءُ يجِمُّ ويجُمُّ وجدّ في الأمرِ يجِد ويجُدُّ في حروفٍ كثيرةٍ * وينظرُ فإذا

عَلقَمةُ بْنُ عَبَدَةَ فيَقول أَعزِزْ عليَّ بمكانكَ ما أَغنى عنكَ سِمْطا لُؤلُؤكَ يعني قصيدَتَه التي على البآء * طَحا بِكَ قَلبٌ في الحِسانِ طَرُوبُ * والتي على الميم * هَلْ ما عَلِمْتَ وما استُودِعتَ مَكتُومُ * فبالَّذي يَقْدِرُ على تخليصِكَ ما أَرَدْتَ بِقَوْلِك

فلا تَعـدِلي بَيْني وبَيْنَ مُغمَّرٍ * سَقَتْكِ رَوايا المُزْنِ حينَ تَصُوبُ

وما القَلْبُ أَمْ ما ذِكْرُها رَبعيَّةً * يُخَطُّ لها مِنْ ثَرمَدآءَ قَليبُ

أَعنَيْتَ بالقَليبِ هذا الذي يُورَدُ أَمْ القَبْرَ ولِكلٍّ وَجهٌ حَسَنٌ * فيَقولُ عَلْقَمَةُ إِنَّكَ لَتَستَضحِكُ عابِسا * وتُرِيدُ أَن تَجْنِيَ الثَّمَرَ يابِسا * فعلَيكَ شُغْلَكَ أَيُّها السَّليم * فيَقولُ لو شَفَعَتْ لأَحَدٍ أَبياتٌ صادِقَةٌ لَيْسَ فيها ذِكْرُ اللهِ سُبْحانَهُ لشَفَعَتْ لَكَ اياتُكَ في وَصْفِ النِّسآءِ أَعْني قولَكَ

فإِنْ تَسأَلوني بالنِّسآءِ فإِنَّني * بَصِـيرٌ بأَدْوآءِ النِّسآءِ طَبِيبُ

إِذا شابَ رأْسُ المَرْءِ أَوْ قلَّ مالُهُ * فلَيْسَ لَهُ في وِدِّهِنَّ نَصيبُ

يُرِدْنَ ثَرآءَ المالِ حَيثُ وَجَدْنَهُ * وشَرْخُ الشَّبابِ عِندَهُنَّ عَجِيبُ

ولو صادَفتُ منكَ راحَةً لَسأَلْتُكَ عن قَوْلِكَ

كأْسُ عَزيزٍ مِنَ الأَعنابِ عَتَّقَها * لبَعضِ أَرْبابِها حانِيَّـةٌ حُومُ

فقَدِ اختَلَفَ النّاسَ في قولِكَ حُومُ فقِيـلَ أَرادَ حُمًّا أَي سُودًا فأَبْدَلَ مِنْ إِحدَى الميمَيْنِ واوًا وقِيلَ أَرادَ حَوْمًا أَيْ كَثيرًا فضَمَّ الحآءَ للضَرُورَةِ وقيلَ حُومٌ يُحامُ بِها على الشَّربِ أَيْ يُطافُ * وكذلك قَوْلُكَ

يَهْدِي بِها أَكلَفُ الخَدَّيْنِ مُختَبَرٌ * مِنَ الجِمالِ كَثيرُ اللحمِ عَيْثُومُ

فرُوِيَ يَهْدِي بالدَّالِ غَيرِ المُعجَمَةِ ويَهذِي بِذالٍ مُعجَمَـةٍ * وقيل مُختَبَرٌ مِن

اختبارِ الحوائلِ مِن اللواقِحِ وقيل هو من الخَبِيرِ اي الزَّبَدِ وقيل الخَبيرُ اللحمُ وقيل هوَ الوَبَر * فليتَ شعري ما فَعَلَ عَمْرُو بنُ كُلثوم * فيُقالُ ها هوَ ذا مِن تحتِكَ إنْ شئتَ أن تُحاوِرَهُ فحاوِرْهُ * فيقول كيفَ أنتَ أيُّها المُصطَبِحُ بِصَحنِ الفانيَةِ * والمُغتَبِقُ مِن الدُّنيا الفانيَةِ * لَوَدِدْتُ أنَّكَ لمْ تُسانِدْ في قولك

كأنَّ مُتُونَهُنَّ مُتونُ غُدْرٍ * تُصفِّقُها الرِّياحُ إذا جَرَيْنا

فيقولُ عَمْرٌو إنكَ لَقَريرُ العينِ لا تَشعُرُ بما نَحنُ فيه فاشغَلْ نَفْسَكَ بتَمجيدِ اللهِ واترُكْ ما ذَهَبَ فإنَّهُ لا يعُود * وأمَّا ذِكرُكَ سِنادي فإنَّ الإخْوةَ لَيَكونونَ ثلاثةً او اربعةً ويَكونُ فيهم الأعرَجُ والأبخَقُ فلا يُعابونَ بذلكَ فكيفَ إذا بلغوا المائةَ في العَدَدِ * فيقولُ أعزِزْ عَلَيَّ بأنَّكَ قَصرتَ على شُرْبِ حَميم * وأُخِذْتَ بِعَمَلِكَ الذميم * مِنْ بَعدِ ما كانت تُسبأُ لكَ القَهوةُ مِنْ خُصٍّ أو غيرِ خُصٍّ * تُقابِلُكَ بِلَوْنِ الحُصِّ * وقالوا في قَولِكَ سخينا قَولَينِ أحدُهما أنَّهُ فَعلْنا مِن السَخاءِ والنونُ نونُ المتكلّمينَ والآخرُ أنَّهُ مِن الماءِ السَخينِ لأنَّ الأنْدَرينَ وقاصِرينَ كانتا في ذلكَ الزَمَنِ للرُوم وَمِنْ شأنِهم أنْ يَشرَبوا الخمرَ بالماءِ السَخينِ في صَيفٍ وشِتاءٍ * ولقد سُئِلَ بعضُ الأُدباءِ بمدينة السلام عن قولك

فما وَجَدَتْ كوَجدي أُمُّ سَقْبٍ * أضَلَّتْهُ فرَجَّعَتِ الحَنينا

ولا شَمطاءُ لم يَتْرُكْ شَقاها * لها مِنْ تِسعَةٍ إلاَّ جَنينا

هل يجوز نصبُ شمطاءَ فلم يُجِبْ بشيءٍ وذلك يجوز عندي من وجهَين أحدُهما على إضمارِ فعلٍ دَلَّ عليهِ السامعَ معرِفَتُهُ بهِ كأنَّكَ قُلتَ ولا أذكُرُ

شمطآء أي إنَّ حنينها شديدٌ ويجوز أنْ يكونَ على قولك ولا تَنْسَ شمطآء أو نحوِ ذلك من الأفعال وهذا كقوْلك إنَّ كعبَ بنَ مامة جوادٌ ولا حاتماً أَيْ ولا أَذكرُ حاتماً أي إنَّهُ جوادٌ عظيم الجُودِ قد استغنيتُ عن ذِكره باشتهارهِ * والآخرُ أنْ يكونَ من وَلاهُ المطرُ إذا سقاهُ السقيَةَ الثانية أيْ هذا الحنينُ اتَّفقَ مع حنيني فكأنَّهُ قد صار لهُ وَليًّا * ويحتملُ أنْ يكونَ من وَلِيَ يَلِي وقلبَ اليآءِ على اللغة الطآئيَّة * وينظرُ فاذا الحرثُ اليشكريُّ فيقولُ لقد أتعبتَ الرُّواةَ في تفسير قولك

زعموا أنَّ كلَّ منْ ضربَ العيْـ * ـرَ موالٍ لنا وأنَّا الولآءُ

وما أحسبُكَ أردتَ إلاَّ العيْرَ الحمارَ * ولقد شنَّعتَ هذهِ الكلمةَ بالإقوآءِ في ذلك البيتِ ويجوزُ أنْ تكونَ لغتُكَ أنْ تقفَ على آخرِ البيتِ ساكناً وإذا فعلتَ ذلكَ اشتبهَ المُطلقُ بالمقيَّدِ وصارتْ هذه القصيدةُ مضافةً الى قولِ الراجز

دارٌ لظميآءَ وأينَ ظميْا * أهلكتْ أمْ هيَ بينَ الأحيْا

وبعضُ الناس يُنشدُ قولَك

فعشَنْ بخيرٍ لا يضرْ * كَ النُّوكُ ما أُعطيتَ جدًّا

فيجمعُ بينَ تحريكِ الشيْنِ وحذفِ اليآءِ منْ عاش يعيشُ وذلك قليلٌ رديءٌ ومنهُ قولُ الآخرِ

متى تَشئِي يا أمَّ عثمانَ تصرِمِي * وأُوذِنْكِ إيذانَ الخليطِ المُزايلِ

وإنَّما الكلامُ متى تشآئي لأنَّ هذا الساكنَ إذا حُرِّكَ عاد الساكنُ المحذوفُ * ولقد أحسنتَ في قولك

لا تَكْسَعِ الشَّوْلَ بأَغبارِها * إِنَّكَ لا تَدْري مَنِ النَّاتِجُ

وقد كانوا في الجاهليَّة يَكْسعونَ ناقةَ الميْتِ على قبرِه ويَزْعمونَ أَنَّهُ إِذا نَهَضَ لِحَشْرِهِ وَجدَها قد بُعِثَتْ له فيركَبُها * فليتَهُ لا يَنهَضُ بثقلِهِ منكِبُها * وهيهاتَ بلْ حُشِروا عُراةً حُفاةً بُهْماً * اي غُرْلاً * وتلكَ البَليَّةُ التي ذَكَرتَ في قولِك

أَتلهَّى بها الهواجِرَ إِذ كلُّ * ابنِ همٍّ بَلِيَّةٌ عمياءُ

ويعمِدُ لِسؤالِ طَرَفةَ بنِ العَبْدِ فيقول يا ابْنَ أَخي يا طَرَفَةُ خفَّفَ اللهُ عنكَ أَتذكُرُ قوْلَكَ

كريمٌ يُرَوِّي نفسَهُ في حياتِهِ * سَتَعْلَمُ إِنْ مُتْنا غداً أَيُّنا الصَّدِي

وقوْلَكَ

أَرى قبرَ نحَّامٍ بخيلٍ بمالِه * كقبرِ غويٍّ في البَطالَةِ مُفْسِدِ

متى تأْتني أُصبِحْكَ كأْساً رويَّةً * وإِنْ كُنتَ عنها غانياً فاغْنَ وازْدَدِ

فكيفَ صَبوحُكَ الآنَ وغَبوقُك * إِنّي لأَحْسَبُهما حميماً * لا يَفتأُ مَنْ شَرِبهما ذَميماً * وهذا البيتُ يُتنازَعُ فيه فينسبُهُ إِليكَ قومٌ وينسبُهُ آخرونَ إِلى عَدِيِّ بْنِ زَيْدٍ وهو بكلامكَ أَشْبَهُ * والبيتُ

وأَصفرَ مضْبوحٍ نَظَرْتُ حَوِيرَهُ * على النارِ واستَوْدَعْتُهُ كفَّ مُجْمِدِ

وشدَّ ما اختلفَ النُحاةُ في قولِكَ

أَلا أَيُّها ذا الزَّاجِري أَحضُرَ الوَغى * وأَنْ أَشْهَدَ اللذّاتِ هل أَنتَ مُخْلِدي

وأَمَّا سيبوَيْهِ فيكرَهُ نصبَ أَحضُرُ لأَنَّهُ يعتقِدُ أَنَّ عواملَ الافعالِ لا تُضمَرُ وكان الكوفيّونَ ينصِبونَ أَحضُرُ بالحرفِ المُقدَّرِ ويُقوّي ذلك وأَنْ أَشْهَدَ

اللذاتِ فجئتَ بأنْ وليس هذا بأبعد من قولهِ

مَشائيمُ ليسوا مُصلحينَ قبيلةً * ولا ناعبٍ إلاَّ ببينٍ غرابُها

وقد حكى المازنيُّ عن عليِّ بنِ قُطرُبٍ أنَّهُ سمع أباه قُطرُباً يحكي عن بعضِ العربِ نَصْبَ أحضُر * ولقد جئتَ بأعجوبةٍ في قولك

لَوْ كانَ في أملاكِنا ملكٌ * يَعصِرُ فينا كالَّذي تَعصِرْ

لاجتَبْتُ صحني العراقِ على * حرفٍ أمونٍ دفُّها أزْوَرْ

مَتَّعني يومَ الرحيلِ بها * فرْعٌ تنقَّاهُ القِداحُ يسَرْ

ولكنَّكَ سلكتَ مسالكَ العربِ فجئتَ بقريِّ كلمةِ المرقَّش

هل بالديارِ أنْ تجيبَ صَمَمْ * لو كانَ حيّاً ناطقاً كلَّمْ

وقولِ الأعشى

أقصِرْ فكلُّ طالبٍ سيَمَلْ

على أنَّ مرقَّشاً خلطَ في كلمتهِ فقال

ماذا علينا إنْ غزا ملكٌ * منْ آلِ جفنةَ ظالمٌ مُرْغِمْ

وهذا خروجٌ عمَّا ذهبَ إليهِ الخليل * ولقدْ كثُرَتْ في أمركَ أقاويلُ النَّاسِ فمنهمْ منْ يزعمُ أنَّك في ملكِ النعمانِ اعتُقلتَ وقال قومٌ بلِ الذي فعلَ بكَ ما فعلَ عمرُو ابنُ هندٍ * ولَوْ لمْ يكنْ لكَ أثرٌ في العاجلةِ إلاَّ قصيدتُكَ التي على الدالِ لكنْتَ قد أبقيتَ أثراً حسناً * فيقولُ طرفةُ وددتُ أنِّي لمْ أنطقْ مصراعاً * وعدمتُ في الدارِ الزائلةِ إمراعاً * ودخلتُ الجنَّةَ معَ الهمجِ والطَّغامِ * ولمْ يعمدْ لمرْسني بالإرغامِ * وكيفَ لي بهذهِ وسكونٍ * أركنُ اليه بعضَ الركونِ * وأمَّا القاسطونَ فكانوا لجهنَّمَ حطباً * ويلفتُ

عُنُقَهُ يَتَأَمَّلُ فإِذا هُوَ بِأَوْسِ بنِ حَجَرٍ فَيقولُ يا أَوْسُ إِنَّ أَصحابَكَ لا يُجيبُونَ السَّائِلَ فَهَلْ لي عِندَكَ مِنْ جوابٍ فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسأَلَكَ عن هذا البَيْتِ

وقارَفَتْ وَهيَ لَمْ تَجْرَبْ وَباعَ لَها * مِنَ الفَصافِصِ بالنُّمِّيِّ سِفْسِيرُ

فإِنَّهُ في قَصِيدَتِكَ الَّتي أَوَّلُها

هَلْ عاجِلٌ مِنْ مَتاعِ الحَيِّ مَنْظُورُ * أَمْ بَيْتُ دَوْمَةَ بَعْدَ الوَصْلِ مَهْجُورُ

وَيُرْوَى في قَصِيدَةِ النَّابِغَةِ الَّتي أَوَّلُها

وَدِّعْ أُمامَةَ والتَوْدِيعُ تَعْذِيرُ * وَما وَداعُكَ مَنْ قَفَّتْ بِهِ العِيرُ

وَكَذلكَ البَيْتُ الَّذي قَبْلَهُ

قَدْ عُرِّيَتْ نِصفَ حَوْلٍ أَشْهُرًا جُدُدًا * يَسْفِي على رَحْلِها في الحِيرَةِ المُورُ

وَكذلك قَوْلُهُ

آنَ الرَّحيلُ الَى قومٍ وإِنْ بَعُدُوا * أَمْسَوْا وَمِنْ دُونِهِمْ ثَهْلانُ فالنِّيرُ

وكِلاكُما مَعْدُودٌ في الفُحُولِ فَعَلَى أَيِّ شَيْءٍ يُحْمَلُ ذلكَ فلَمْ تَزَلْ تُعْجِبُني لامِيَّتُكَ الَّتي ذَكَرتَ فيها الجُرْجَةَ وَهِيَ الخَرِيطَةُ مِنَ الأَدَمِ فقُلْتَ لَمَّا وَصَفْتَ القَوْسَ

فَجِئْتُ بِبَيعي مُولِيًا لا أَزِيدُهُ * عَلَيْهِ بِها حَتّى يَؤُوبَ المُنَخَّلُ

ثَلاثةُ أَبْرادٍ جِيادٍ وَجُرْجَةٌ * وَأَدْكَنُ مِنْ أَرْيِ الدُّبُورِ مُعَسَّلُ

فيقولُ أَوْسٌ قد بَلَغَني أَنَّ نابِغَةَ بَني ذُبْيانَ في الجَنَّةِ فاسأَلْهُ عَمَّا بَدا لَكَ فَلَعَلَّهُ يُخْبِرُكَ فَإِنَّهُ أَجدَرُ بِأَنْ يَعِيَ هذِهِ الأَشْياءَ فأَمَّا أَنا فَقَدْ ذَهَلْتُ * نارٌ تُوقَدُ * وَبَنانٌ يُعْقَدُ * إِذا غَلَبَ عَلَيَّ الظَمَأُ رُفِعَ لي شَيْءٌ كالنَهْرِ فإِذا اغْتَرَفْتُ مِنْهُ لأَشْرَبَ وَجَدْتُهُ سَعِيرًا مُضْطَرِمًا * فَلَيْتَني أَصْبَحْتُ دَرِمًا * وَهُوَ الَّذي يُقالُ

فيهِ أَوْدَى دَرِمٌ وهوَ مِن بَني دُبَ بن مُرَّةَ بنِ ذُهلِ بنِ شَيْبانَ * ولقَدْ دَخَل الجنَّةَ مَنْ هوَ شَرٌّ منّي ولكنَّ المغفِرَةَ أَرْزاقٌ كأنَّها النَّشَبُ في الدارِ العاجلة * فيقولُ صارَ وَليُّهُ مِنَ المتَبُوعِينَ * وَشانِئُهُ بالسَّفَهِ مِنَ المَسبُوعِينَ * إنَّما أَرَدْتُ أَنْ آخُذَ عنكَ هذهِ الأَلفاظَ فأُتحِفَ بها أَهلَ الجنَّةِ فأقُولَ قالَ لي أَوْسٌ وأَخبرَني أَبُو شُرَيحٍ وَكانَ في عزمي أَنْ أَسأَلَكَ عمَّا حكاهُ سيبويهِ في قولك

تُواهِقُ رِجلاها يَداهُ وَرَأسُهُ * لَها قَتَبٌ خلفَ الحَقيبةِ رادِفُ

فإنّي لا أَختارُ أَنْ ترفَعَ الرِجلانِ واليَدانِ وَلَمْ تَدْعُ إلى ذلك ضَرُورَةٌ لأَنَّك لَوْ قُلْتَ تُواهِقُ رِجلَيْها يَداهُ لَمْ يَزِغِ الوزنُ ولَعَلَّكَ إنْ صحَّ قَوْلُكَ لذلِك أَن تكونَ طَلَبْتَ المُشاكَهَةَ وهذا المَذهَبُ يقوَى إذا رُوِيَ يَداها بالإضافةِ الى المؤَنَّثِ فأمَّا في حالِ الإضافَةِ الى ضَميرِ المُذَكَّرِ فَلا قُوَّةَ لهُ * وإنّي لَكارِهٌ قَوْلَكَ * وَالخَيْلُ خارِجَةٌ مِنَ القَسْطالِ * أَخرجتَ الأسمَ إلى مِثالٍ قَليلٍ لأَنَّ فعلالاً لَمْ يجِئْ في غيرِ المُضاعَفِ وَقَدْ حُكيَ ناقَةٌ بها خَزعالٌ أَي بها ظَلْعٌ * وَيَرَى رَجُلاً في النَّارِ لا يُميِّزُهُ مِنْ غيرِهِ فيقُولُ مَنْ أَنْتَ أَيُّها الشَّقيُّ * فيقولُ أَنا أَبُو كبيرٍ الهُذَليُّ عامِرُ بنُ الحُلَيسِ * فيقولُ إنكَ لَمِنْ أَعلامِ هُذَيلٍ ولكنّي لمْ أُوثِرْ قَوْلَكَ

أَزُهَيرُ هَلْ عَنْ شَيْبَةٍ مِنْ مَعْدِلِ * أَمْ لا سَبيلَ إلى الشَّبابِ الأَوَّلِ

وَقُلْتَ في الأُخرَى

أَزُهَيرُ هلْ عن شَيْبَةٍ من مَصرِفِ * أَم لا خلودَ لعاجِزٍ مُتَكَلِّفِ

وقُلتَ في الثالثة * أَزُهَيرُ هَلْ عَنْ شَيْبَةٍ مِنْ مَعْكَمِ * اي من مَحبَس فَهَذا يَدُلُّ على ضيْقِ عطَنِكَ بِالقَرِيضِ فَهَلاَّ ابْتَدَأتَ كُلَّ قَصيدَةٍ بفَنٍّ والأَصمَعيُّ

لَمْ يرْوِ لَكَ إِلاَّ هذهِ القصائدَ الثَّلاثَ وقَدْ حَكَى أَنَّهُ يرْوِي عنْكَ الرَّائيَّةَ الَّتِي أَوَّلُها * أَزُهَيْرُ هل عَنْ شَيْبَةٍ مِنْ مَقْصِرِ * وَقَدْ حَكَى أَنَّهُ رَوَى قَصِيدَةً رَابِعَةً وأَوَّلُها * أَزُهَيْرُ هَلْ عَنْ شَيْبَةٍ مِنْ مَعْكَرِ * وَأَحْسَنْ بقَوْلِكَ

وَلَقَدْ وَرَدْتُ المَاءَ لَمْ يَشْرَبْ بهِ   بَيْنَ الشِتَاءِ إِلى شُهُورِ الصَّيِّفِ

الاَّ عَوَاسِلُ كَالمِرَاطِ مُعِيدَةً   باللَّيْلِ مَوْرِدَ أَيِّمٍ مُتَغَضِّفِ

زَقَبٍ يَظَلُّ الذِّئْبُ يَتْبَعُ ظِلَّهُ   فِيهِ فَيَسْتَنُّ اسْتِنَانَ الأَخْنَفِ

فَصَدَدْتُ عَنْهُ ظَامِئاً وتَرَكْتُهُ   يَهْتَزُّ غَلْفَقُهُ كأَنْ لَمْ يُكْشَفِ

فَيَقُولُ أَبُو كَبِيرٍ الهُذَلِيُّ كَيْفَ لِي أَنْ أَقْضِمَ عَلَى جَمَرَاتٍ مُحْرِقَاتٍ * لأَرِدَ عذَاباً غَدِقَاتٍ * وَإِنَّما كَلامُ أَهْلِ سَقَرَ وَيْلٌ وَعَوِيلٌ * وَلَيْسَ لَهُمْ إِلاَّ ذَلِكَ حَوِيلٌ * فَاذْهَبْ لِطِيَّتِكَ * واحْذَرْ أَنْ تُشْغَلَ عَنْ مَطِيَّتِكَ * فَيَقُولُ بَلَّغَهُ اللهُ أَقَاصِيَ الأَمَلِ كَيْفَ لا أَجْذَلُ وَقَدْ ضُمِنَتْ لِيَ الرَّحْمَةُ الدَّائِمَةُ ضَمِنَها مَنْ يَصْدُقُ ضَمانُهُ * وَيَعُمُّ أَهْلَ الخِيفَةِ أَمانُهُ * فيقولُ ما فعَلَ صَخْرُ الغَيِّ فَيُقَالُ هَا هُوَ فيقولُ يا صَخْرَ الغَيِّ مافعلَتْ دَهْمَاؤُكَ * لا أَرْضُكَ لها وَلاَ سَمَاؤُكَ * كَانَتْ فِي عَهْدِكَ وَشَبابُها رُؤْدُ * يأْخُذُكَ مِنْ حِبابِها الزُّؤْدُ * فلذلكَ قُلتَ

إِنِّي بِدَهْماءَ عَزَّ ما أَجِدُ   يَعْتادُنِي مِنْ حِبابِها زُؤُدُ

وَأَيْنَ حَصَلَ تَلِيدُكَ * شَغَلَكَ عَنْهُ تَخْلِيدُكَ * وَحُقَّ لَكَ أَنْ تَنساه * كَمَا ذَهَلَ وَحْشِيٌّ دَمِيَ نَسَاه * وَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ يَتَضَوَّرُ فيقولُ مَنْ هَذَا فَيُقَالُ الأَخْطَلُ التَّغْلِبِيُّ فيقولُ لَهُ ما زَالَت صِفَتُكَ لِلْخَمْرِ * حَتى غَادَرَتْكَ أُكُلاً لِلْجَمْرِ * كَمْ طَرِبَتِ السَّادَاتُ عَلى قولكَ

أَنَاخُوا فَجَرُّوا شَاصِيَاتٍ كَأَنَّها   رِجَالٌ مِنَ السُّودَانِ لَمْ يَتَسَرْبَلُوا

فقلتُ اُصبحوني لا أَبا لأَبيكمُ ... وما وضعوا الأَثقالَ الا ليفعلوا
فصبّوا عقارًا في الإِناءِ كأَنّها ... إِذا لمحوها جذوةٌ تتأَكّلُ
وجآءُوا ببيسانيّةٍ هي بعد ما ... يُعَلُّ بها الساقي أَلذُّ وأَسهلُ
تمرُّ بها الأَيدي سنيحاً وبارحاً ... وتُوضعُ باللهمّ حيِّ وتُحملُ
فتُوقفُ أَحياناً فيفصلُ بيننا ... غناءُ مغنٍّ أَو شِواءٌ مرعبلُ
فلذّت لمرتاحٍ وطابت لشاربٍ ... وراجعني منها مراحٌ وأَخيلُ
فما أَلبثتنا نشوةٌ لحقت بنا ... توابعها مما نعلُّ وننهلُ
تدبُّ دبيباً في العظامِ كأَنّهُ ... دبيبُ نمالٍ في نقاً يتهيّلُ
إِذا خاف من نجمٍ عليها ظمآءةً ... أَدبَّ اليها جدولاً يتسلسلُ
ربت وربا في كرمها ابنُ مدينةٍ ... مُكبٌّ على مسحاتهِ يتركّلُ
فقلتُ اقتلوها عنكمُ بمزاجها ... وحُبَّ بها مقتولةً حين تُقتلُ

فقال التغلبيُّ إِني جرزتُ الذارع * ولقيتُ الدارع * وهجرتُ الآبدة * ورجوتُ أَن تُدعى النفسُ العابدة * ولكنْ أَبتِ الأَقضية * فيقولُ أَحلّ اللهُ الهلكةَ بمُبغضيه أَخطأتَ في أَمرينِ جاءَ الإِسلامُ فعجزتَ أَن تدخلَ فيه * ولزمتَ أَخلاقَ سفيه * وعاشرتَ يزيد بنَ معاويةَ * وأَطعتَ نفسكَ الغاوية * وآثرتَ ما فنيَ على باقٍ * فكيفَ لكَ بالإِباق * فيزفرُ الأَخطلُ زفرةً تعجبُ لها الزبانيةُ فيقولُ آهِ على أَيّامِ يزيدَ أُسوفُ عندهُ عنبرا * ولا أَعدمُ لديهِ سيسنبرا * وأَمزحُ معهُ مزحَ خليل * فيحتملني احتمالَ الجليل * وكم أَلبسني من موشيّ * ما أَسحبهُ في البكرةِ أَوِ العشيّ * وكأَنّي بالقيانِ الصادحةِ بينَ يديهِ تُغنّيهِ بقوله

وَلَهـا بالمـاطِرُون إذا　　أَكَلَ النملُ الذي جمعا
خِلفةٌ حتى اذا ظَهرتْ　　سَكنتْ من جِلَّقٍ بيعا
في قبابٍ حولَ دَسْكرةٍ　　حولَها الزيتونُ قدْ ينعا
وَقفتْ للبدرِ ترقُبُهُ　　فإذا بالبـدرِ قد طلعا

ولقد فاكهتُهُ في بعضِ الأيّامِ وأنا سكرانُ مُلتخٌ فقلتُ

أَلا أَسلَمْ سلمتَ أَبا خالدٍ　　وحيّـاكَ ربُّـكَ بالعنقزِ
أَكلتَ الدّجاجَ وأَفنيتَها　　فهلْ في الخنانيصِ مِنْ مغمزِ

فما زادني عَن ابتسام * واهتزّ لِلصِلةِ اهتزازَ الحُسام * فيقولُ أَدامَ اللهُ تمكينهُ من ثمّ أُتيتَ أَما علمتَ أَنّ ذلك الرجلَ عاند * وفي جبالِ المعصيةِ ساند * فعلامَ اطّلعتَ مِنْ مذهبهِ أَكانَ مُوحّدا * أَمْ وجدتَهُ في النُسْك مُلحِدا * فيقولُ الأَخطَلُ كانتْ تُعجبهُ هذه الأَبيات

أَخالدَ هاتي خبّريني وَأَنْلني　　حديثَكَ إنّي لا أُسِرُّ التناجيا
حديثَ أَبي سفيانَ لمّا سَما بها　　إلى أُحُدٍ حتّى أَقامَ البواكيا
وكيفَ بَغى أَمرًا عليٌّ ففاتَهُ　　وأَورثَهُ الجَدُّ السعيدُ مُعاويا
وقُومي فعلّيني على ذاكِ قَهوةً　　تحلَّبها العيسيُّ كرمًا شآميا
إذا مانظَرنا في أُمورٍ قَديمةٍ　　وَجدْنا حَلالاً شُربَها المتواليا
فلا خُلفَ بينَ النّاسِ أَنَّ محمّدًا　　تبوّأَ رمسًا في المدينةِ ثاويا

فيقول جعلَ اللهُ أَوقاتَهُ كُلّها سعيدةً عليكَ البهلةُ قد ذهلتِ الشعراءُ من أَهلِ الجنّةِ والنّارِ عن المدحِ والنسيبِ وما شُدِهتَ عَنْ كُفرِكَ ولا إساءَتِك * وإبليسُ يَسمعُ ذلك الخطابَ كُلَّهُ فيقولُ لِلزبانيةِ ما رأَيتُ أَعجزَ

منكم إخوانَ مالكٍ * فيقولون كيفَ زعمتَ ذلكَ يا أبا مُرّة * فيقولُ أَلا تسمعونَ هذا المُتكلّمَ بما لا يعنيهِ * قد شغلكم وشغلَ غيركم عمّا هو فيه * فلو أنَّ فيكم صاحبَ نحيزةٍ قويّةٍ لوثبَ وثبةً حتّى يلحقَ به فيجذبهُ الى سقرَ * فيقولون لم تصنعْ شيئاً يا أبا زوبعةَ ليسَ لنا على أهلِ الجنّةِ سبيلٌ * فإذا سمعَ أسمعهُ اللهُ محابّهُ مايقولُ إبليسُ أخذَ في شتمهِ ولعنهِ وإظهارِ الشماتةِ به * فيقولُ عليهِ اللعنةُ ألم تُنهوا عن الشماتِ يا بني آدمَ ولكنّكم بحمدِ اللهِ ما زُجرتم عن شيءٍ إلاّ وركبتموهُ * فيقول واصلَ اللهُ الإحسانَ اليهِ أنتَ بدأتَ آدمَ بالشماتةِ والبادئُ أظلمُ * ثمَّ يعودُ الى كلامِ الأخطلِ فيقول أأنتَ القائلُ هذهِ الأبياتِ

ولستُ بصائمٍ رمضانَ طوعاً ولستُ بآكلٍ لحمَ الأضاحي
ولستُ بقائمٍ كالعَيرِ أدعو قُبيلَ الصبحِ حيَّ على الفلاحِ
ولكنّي سأشربُها شمولاً وأسجدُ عندَ منبلجِ الصباحِ

فيقولُ أجلْ وإنّي لنادمٌ سادمٌ وهل أغنتِ الندامةُ عن أخي كُسعٍ * ويملّ مِنْ خطابِ أهلِ النّارِ فينصرفُ الى قصرهِ المَشيد فإذا صارَ على ميلٍ أو ميلينِ ذكرَ أنّهُ ما سألَ عنْ مُهلهلٍ التغلبيّ ولا عن المرقّشينِ وأنّهُ أغفلَ الشنفرى وتأبّطَ شرّاً فيرجعُ على أدراجهِ فيقفُ بذلكَ الموقفِ ينادي أينَ عديُّ بنُ ربيعةَ فيقالُ زدْ في البيانِ * فيقولُ الذي يستشهدُ النحويّونَ بقوله

ضربَتْ صدرَها اليَّ وقالتْ يا عديّاً لقدْ وقتْكَ الأواقي

وقد استشهدُوا لهُ بأشياءَ كقولهِ

ولقد خبطنَ بيوتَ يشكرَ خبطةً أخوالَنا وهمُ بنو الأعمامِ

وقوله

مَا أُرَجِّي بِالعَيْشِ بعد نَدَامَى * كُلُّهُمْ قد سُقُوا بكأْسِ حَلَاقِ

فيقالُ إِنَّكَ لَتُعَرِّفُ صاحبَك بأَمْرٍ لا مَعْرِفَةَ عِنْدَنا منهُ ما النَّحويُّونَ وما الأَسْتِشْهادُ وما هذا الهَذَيانُ نحنُ خَزَنَةُ النارِ فَبَيِّنْ غَرَضَكَ تُجَبْ اليه * فيقول أُرِيدُ المعرُوفَ بِمُهَلْهِلٍ التَّغْلِبيِّ أَخي كُلَيْبِ وائلٍ الذي كانَ يُضْرَبُ به المَثَلُ * فيقالُ ها هُوذَا يَسْمَعُ حِوارَكَ فَقُلْ ما تَشاءُ * فيقولُ يا عَدِيَّ بْنَ رَبِيعَةَ أَعْزِزْ عَلَيَّ بوُلُوجِكَ هـذا المَوْلِجَ لو لَمْ آسَفْ عليكَ إِلاَّ لِأَجْلِ قَصِيدَتِكَ التي أَوَّلُها

أَلَيْلَتَنا بِذِي حُسَمٍ أَنِيري * إِذَا أَنْتِ انْقَضَيْتِ فَلاتَحُورِي

لكانت جَدِيرَةً أَنْ تُطِيلَ الأَسَفَ عليكَ * وقد كنتُ إِذَا أَنْشَدْتُ أَبْياتَكَ في ابْنَتِكَ المزوَّجة في جَنْبٍ تَغْرَوْرِقُ مِنَ الحُزْنِ عَيْنايَ * فَأَخْبِرْني لِمَ سُمِّيتَ مُهَلْهِلاً فَقَدْ قِيلَ إِنَّكَ سُمِّيتَ بذلك لأَنَّكَ أَوَّلُ مَنْ هَلْهَلَ الشِّعْرَ أَيْ رَقَّقَهُ * فيقول إِنَّ الكَذِبَ لَكَثِيرٌ وإِنَّما كانَ لِي أَخٌ يُقالُ له امْرُؤُ القَيسِ فأَغارَ علينا زُهَيْرُ بْنُ جَنابٍ الكَلْبيُّ فَتَبِعَهُ أَخي في زَرَافَةٍ مِنْ قَوْمِهِ فقال في ذلك

لَمَّا تَوَقَّلَ في الكُرَاعِ هَجِينُهُم * هَلْهَلْتُ أَثْأَرُ مالِكاً أَو صِنْبِلا

وكأَنَّهُ بازٍ عَلَتْهُ كَبْرَةٌ * يَهْدِي بِشِكَّتِهِ الرَّعِيلَ الأَوَّلا

هَلْهَلْتُ أَيْ قارَبْتُ ويُقال تَوَقَّفْتُ يَعْني بالهَجِينِ زُهَيْرَ بْنَ جَنابٍ فَسُمِّيَ مُهَلْهِلاً فَلَمَّا هَلَكَ شُبِّهْتُ بِهِ فقيلَ لي مُهَلْهِل * فيقول الآنَ شَفَيْتَ صَدْرِي بِحَقِيقَةِ اليَقِينِ فأَخْبِرْني عن هذا البيتِ الذي يُرْوَى لك

أَرْعَدُوا ساعةَ الهِياجِ وأَبْرَقْـنا كَما تُوعِدُ الفُحُولُ الفُحُولا

فإنَّ الأَصمعيَّ كانَ يُنكِرُهُ ويقول إنَّهُ مُولَّدٌ وكانَ أبو زيدٍ يستشهِدُ بهِ ويُثبِتُهُ * فيقول طال الأَبَدُ على لُبَدٍ لَقَدْ نَسيتُ ماقُلتُ في الدار الفانية فما الذي أنكرَ منه * فيقول زعمَ الأَصمعيُّ أنَّه لايقال أرْعَدَ وأَبرَقَ في الوَعيدِ ولا في السَحاب * فيقول إنَّ ذلك لَخطأٌ منَ القول وإنَّ هـذا البيتَ لَمْ يقُلْهُ الا رَجلٌ منْ خَدَمِ الفَصاحةِ إمَّا أنَا وإمَّا سِواي فخُذْ بهِ وأعرِضْ عَنْ قول السفهآء * ويَسألُ عن المُرَقِّشِ الأكبرِ فإذا هُو بهِ في أطباقِ العَذاب * فيقول خفَّفَ اللهُ عنكَ أيُّها الشَّابُّ المُغتَصَبُ فلَمْ أزَل في الدار العاجلَةِ حَزيناً لما أصابَكَ به الرَّجلُ الغُفَليُّ أحدُ بَني غُفَيلَةَ بْن قاسطٍ فعليهِ بَهْلَةُ اللهِ * وإنَّ قوماً مِنْ أهلِ الإسلام كانوا يَستَزرُونَ بِقَصيدَتكَ الميميَّةِ التي أوَّلُها

هَلْ بالدِّيارِ أَنْ تُجيبَ صَمَمْ * لَوْ كانَ حيًّا ناطقاً كَلَّمْ

وإنَّها عِندي لَمِنَ المُفرَداتِ وكانَ بَعضُ الأُدَبآء يَرَى أَنَّها والميميَّةَ التي قالها المُرَقِّشُ الأصغَرُ ناقصتانِ عَنِ القَصائدِ المُفَضَّليَّاتِ ولقد وَهِمَ صاحبُ هذه المقالةِ * وبَعضُ الناسِ يَرْوي هذا الشعرَ لك

تَخيَّرتُ مِنْ نُعمانَ عُودَ أَرَاكَةٍ * لِهِندٍ ولَكنْ مَنْ يُبَلِّغُهُ هِنْدا

خَليليَّ جُوزَا بارَكَ اللهُ فيكُما * وإنْ لمْ تكُنْ هِندٌ لأرضِكُما قَصْدا

وقولاَ لها لَيس الضَلالُ أجازَنا * ولكنَّنا جُزنا لنَلقاكُمْ عَمْدا

ولَمْ أجِدْها في دِيوانكَ فهل ما حُكيَ صَحيحٌ عنكَ فيقول لَقَدْ قُلْتُ أشياءَ كثيرةً ولكنّي سَرقتُها لِطول الأبدِ ولَعلَّكَ تُنكرُ أنَّها في هند وأنَّ صاحبتي أسمآء فلا تَنفرْ مِنْ ذلك فقد يَنتقِلُ المُشبِّبُ مِنَ الأسمِ الى الأسمِ ويكونُ في بعض عُمرِهِ مُستهتَرًا بشَخصٍ مِنَ النَّاسِ ثم يَنصَرِفُ الى شَخصٍ

آخرَ ألاَ تنظرُ الى قولي

سَفَهٌ تَذَكُّرُهُ خُوَيْلَةَ بعدما * حالتْ ذُرَى نجرانَ دُونَ لقائها

ويَنعطفُ الى المُرقَّشِ الأصغرِ فيسألُهُ عن شانهِ معَ بنتِ المُنذرِ وبنت عجلانَ فيجدُهُ غيرَ خبيرٍ قد نَسِيَ لِترادُفِ الأَحقابِ * فيقول ألاَ تذكرُ ما صنعَ بكَ جنابٌ الذي تقول فيه

فأَولى جنابٌ خلفةً فأطعتُهُ * فنفسكَ ولِّ اللومَ إنْ كنتَ لائما

فيقولُ وما صنعَ جنابٌ لقد لَقيتُ الأَقورينَ * وسُقيتُ الأمرَّين * وكيفَ لي بعذابِ الدَّارِ العاجلة * فإذ لمْ يجد عندهُ طائلاً تركَهُ وسألَ عنِ الشَّنفَرى الأزديّ فأتاهُ قليلَ التشكّي والتألُّم لما هوَ فيهِ فيقول إنّي لاأراكَ قلقاً مثلَ قلقِ أصحابِك * فيقول أجلْ إني قلتُ بيتاً في الدَّارِ الخادعةِ فأنا أتأدَّبُ بهِ حيريَّ الدَّهرِ وذلكَ قولي

غوى فغوتْ ثمَّ ارعوى بعدُ وارعوتْ * وَلَلْقبرُ إنْ لمْ ينفعِ الشكوُ أجملُ

وإذا هو قرينٌ معَ تأبَّطَ شرًّا كما كان في الدَّارِ الغرَّارةِ * فيقولُ أسنَى اللهُ حظَّهُ منَ المغفرةِ لتأبَّطَ شرًّا أحقٌّ ماروُيَ عنكَ منْ نكاحِ الغيلانِ * فيقول لقد كُنَّا في الجاهليَّةِ نتقوَّلُ ونتخرَّصُ فما جاءكَ عنَّا مما يُنكرُهُ المعقولُ فإنَّهُ منَ الأكاذيبِ والزمنُ كُلُّهُ على سجيَّةٍ واحدةٍ فالذي شاهدَهُ معدُّ بنُ عدنانَ كالذي شاهدَهُ نُضاضَةُ وَلَدِ آدمَ * والنُّضاضةُ آخرُ وَلَدِ الرجُلِ * فيقول أجزلَ اللهُ عطاءَهُ منَ الغفرانِ نُقلتْ إلينا أبياتٌ تُنسبُ إليكَ

أنا الَّذي نَكحَ الغيلانَ في بلدٍ * ما طلَّ فيها سماكيٌّ ولا جادا

في حيثُ لا يَعمتُ الغادي عمايتَهُ * ولا الظّليمُ بهِ يبغي تهبَّادا

وقد لَهَوْتُ بمصقولٍ عوارِضُها * بِكرٍ تُنازِعُني كأْساً وعِنْقادا

ثُمَّ ٱنقضى عَصرُها عنّي وأَعقَبَهُ * عَصرُ المَشيبِ فقُلْ في صالحٍ بادا

فاستدللتُ على أَنّها لكَ لَمّا قُلتَ تَهِبّادا مصدر تَهبَّد الظليمُ اذا أَكَل الهَبيدَ

فقلتُ هذا مثلُ قوله في القافية

طَيفُ ٱبنةِ الحرِّ إِذْ كُنّا نُواصِلُها * ثُمَّ ٱجتُنِنْتُ بها بَعدَ التِفِرّاقِ

مَصدَر تفرَّقوا تِفِرّاقاً وهذا مُطَّرِدٌ في تَفَعَّلَ وإِن كان قليلاً في الشعرِ كما قال

أَبو زُبَيدٍ

فثارَ الزّاجرون فَزادَ منهم * تِقِرّاباً وصادَفَهُ ضَبيسُ

فلا يُجيبُهُ تأَبَّطَ شَرًّا بطائلٍ * فإِذا رأَى قِلَّةَ الفوائدِ لَدَيهِمْ تَرَكَهُم في الشقآءِ

السَرمَدِ وعَمَد لَمحَلِّهِ في الجِنانِ فيلقَى آدمَ عليه السلامُ في الطريقِ فيقول

يا أَبانا صلّى اللهُ عليكَ قد رُوِي لنا عنكَ شِعرٌ منهُ قَولُكَ

نحنُ بَنُو الأَرضِ وسُكّانُها * مِنها خُلِقْنا وَإِلَيْها نَعُودْ

والسَّعْدُ لا يَبْقى لِأَصحابِهِ * والنَّحْسُ تَمحوهُ لَيالي السُّعُودْ

فيقولُ إِنَّ هذا القَولَ حَقٌّ وما نَطَقَهُ إِلّا بعضُ الحكمآءِ ولكنّي لَمْ أَسمَعْ بِهِ

حتى الساعةِ * فيقولُ وَفَّرَ اللهُ قِسمَهُ في الثَّوابِ فَلَعَلَّكَ يا أَبانا قُلتَهُ ثُمَّ نَسِيتَ

فقد عَلِمتُ أَنَّ النِسْيانَ مُتَسَرِّعٌ إِليكَ وحَسبُكَ شَهِيدًا على ذلك الآيةُ المَتْلُوَّةُ

في قُرآنِ مُحَمَّدٍ صلّى اللهُ عليهِ وَلَقَدْ عَهِدْنا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ

عَزْماً وقد زَعَم بَعضُ العُلَمآءِ أَنَّكَ إِنَّما سُمِّيتَ إِنساناً لِنِسيانِكَ واحتجَّ على

ذلك بِقَولِهِم في التَّصغيرِ أُنَيسِيان وفي الجمعِ أَناسِيّ وقد رُوِيَ أَنَّ الإِنسانَ

مِنَ النِّسيانِ عنِ ٱبنِ عبّاسٍ وقال الطّائيُّ

لا تَنْسَيَنْ تلكَ العُهودَ وإنَّما * سُمِّيتَ إنساناً لأنَّكَ ناسِ

وقرأَ بعضهم ثُمَّ أَفيضوا مِنْ حَيْثُ أَفاضَ ٱلنَّاسِ بكسرِ السينِ يُريدُ الناسي فحَذَفَ اليآءَ كما حُذِفَتْ في قوله سَوَآءً ٱلعَاكِفُ فيهِ وَٱلبَادِ * فأَمَّا البصريُّونَ فيعتقدُون أَنَّ الإنسانَ مِنَ الأُنسِ وأَنَّ قولَهم في التَّصغيرِ أُنَيْسِيان شاذٌّ وقولَهم في الجمعِ أَناسيّ أَصلُهُ أَناسِينُ فأُبدِلَت اليآءُ مِنَ النُونِ والقولُ الأَوَّلُ أَحسنُ * فيقول آدَمُ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أَبَيْتُم إلَّا عقوقاً وأَذِيَّةً إنَّما كُنتُ أَتكلَّمُ بالعَرَبيَّةِ وأَنا في الجنَّةِ فلمَّا هَبَطتُ إلى الأَرضِ نُقِلَ لساني الى السُّريانيَّةِ فلم أَنطِقْ بغيرِها إلى أَنْ هلَكتُ فلمَّا رَدَّني اللهُ سُبحانَهُ وتعالى الى الجنَّةِ عادتْ عليَّ العربيَّةُ فأَيَّ حينٍ نَظَمتُ هذا الشعرَ في العاجلةِ أَمِ الآجلةِ * والذي قال ذلكَ يجبُ أَنْ يكونَ قالَهُ وهو في الدارِ الماكرةِ أَلا تَرى قولَهُ منها خُلِقْنا وإليها نعُودُ فكيف أَقولُ هذا المقالَ ولِساني سُريانيٌّ * وأَما الجنَّةُ قبلَ أَنْ أَخرُجَ منها فلم أَكُنْ أَدري بالمَوْتِ فيها وأَنَّهُ ممَّا حُكِّمَ على العِبادِ صُيِّرَ كأَطواقِ حَمامٍ * وما رُعِيَ لأَحَدٍ مِنْ ذِمامٍ * وأَمَّا بعدَ رُجوعي إليها فلا معنى لِقولِه وإليها نعُودُ لأَنَّهُ كَذِبٌ لا محالةَ ونحنُ معاشرَ أَهلِ الجنَّةِ خالدُونَ مُخلَّدونَ * فيقول قُضِيَ لهُ بالسَّعدِ المُؤَرَّبِ إنَّ بعضَ أَهلِ السِّيَرِ يزعُمُ أَنَّ هذا الشعرَ وَجدَهُ يعرُبُ في مُتَقَدِّمِ الصُّحُفِ بالسُّريانيَّةِ فنقَلَهُ إلى لِسانِهِ وهذا لا يَمتنعُ أَنْ يكونَ وكذلك يَرْوُونَ لكَ صلَّى اللهُ عليكَ لمَّا قتَلَ قابيلُ هابيلَ

تغيَّرَتِ البلادُ ومَنْ عليها * فوجهُ الأَرضِ مُغْبَرٌّ قَبيحُ
وأَودَى رُبعُ أَهلِيها فبانوا * وغُودِرَ في الثَّرَى الوجهُ المَليحُ

وبعضُهم يُنشِدُ * وزالَ بشاشةُ الوجهِ المَليحِ * على الإقوآءِ وفي حِكايةِ معناها

ما أذكرُ أنَّ رجلاً من بعضِ ولدِك يُعرف بابنِ دُرَيدٍ أنشدَ هذا الشعر وكانت روايتُه * وزال بشاشةُ الوجهِ المليح * فقال أوّلَ ما قال أقوى وكان في المَجلس أبو سعيدٍ السِّيرافيُّ فقال يجوزُ أنْ يكونَ قال * وزال بَشاشةَ الوجهُ المليحُ * بِنصبِ بشاشة على التمييزِ وبحذفِ التَّنوين لالتقاءِ السَّاكنَين كما قال

عَمرُو الَّذي هَشَمَ الثريدَ لقومِهِ * ورجالُ مكَّةَ مُسنِتُونَ عِجافُ

قُلتُ أنا هذا الوَجهُ الذي قالَهُ أبو سَعيدٍ شَرٌّ من إقوآءِ عشرِ مرّاتٍ في القصيدةِ الواحدة * فيقول آدمُ صلى اللهُ عليه وسلَّم أعززْ عليَّ بكمْ معشرَ أُبَيْنِيَّ إنَّكم في الضَّلالةِ متهوِّكُونَ آليتُ ما نطقتُ هذا النَّظيمَ ولا نُطِقَ في عَصرِي وإنَّما نَظَمَهُ بَعضُ الفارِغِين فلا حولَ ولا قُوَّةَ إلاَّ باللهِ كذبتُم على خالقِكُم وربِّكُم ثُمَّ على آدمَ أبيكُم ثُمَّ على حوَّآءَ أُمِّكُم وكَذَبَ بعضُكُمْ على بَعضٍ * ومآلُكم في ذلك إلى الأرض * ثُمَّ يَضربُ سائرًا في الفردوسِ فإذا هو بِروضةٍ مؤنِقةٍ وإذا هو بحيَّاتٍ يلعبنَ ويتماقلنَ * يَتخافقنَ ويتثاقلنَ * فيقول لا إلهَ إلاَّ اللهُ وما تَصنعُ حيَّةٌ في الجنَّة فيُنطقُها اللهُ جلَّتْ عَظَمَتُهُ بعدَ ما أَلهمَها المَعرِفةَ بهاجِسِ الخلَدِ * فتقول أما سَمِعتَ في عُمرِكَ بِذاتِ الصفا * الوافيةِ لصاحبِ ما وَفى * كانت تنزل بوادٍ خَصيب * ما زمنُها في العيشةِ بعَصيب * وكانت تَصنعُ اليه الجميلَ في وِرْدِ الظاهرَةِ والغِبِّ * وليسَ مَنْ كفَرَ للمُؤمنِ بسبب * فلمَّا ثمّر بودِّها مالَه * وأمَّلَ أنْ يجتذبَ آمالَه * ذَكَرَ عندَها ثارَه * وأرادَ أنْ يقتفرَ آثارَه * وأَكبَّ على فأسٍ مُعْملَة * يُحِدُّ غرابَها للآملَة * ووقفَ للسَّاعيةِ على صخرة * وهمَّ أنْ ينتقمَ منها

بِأَخرَةٍ * وكان أخوهُ مِمَّنْ قتلتْه * جاهرتْهُ في الحادثة أو قيل ختلتْه * فضربَها ضربةً * وأهونْ بالمقرِ شربةً * إذا الرجلُ أحسَّ التلفَ * وفقد من الأنيس الخلَف * فلمّا وُقيتْ ضربةَ فاسِه * والحقدُ يُمسكُ بأنفاسِه * ندِمَ على ما صنعَ أشدَّ الندَم * ومَن له في الجِدَة بالعدَم * فقال للحيَّة مُخادِعا * ولم يكُن بما كتَم صادِعا * هل لكِ أنْ نكونَ خلَّيْن * ونحفظَ العهدَ إلَّيْن * ودعاها بالسفَه الى حلِف * وقد سُقِيَ من الغدْر بخلْف * فقالت لا أفعلُ وإنْ طال الدَّهر * وكم قُصِم بالغيَر ظهْر * إنّي أجدُك فاجرًا مسحورا * لم تألُ في خلَّتك حُورا * تأبى لي صكّةٌ فوقَ الراس * مارستُها ابأسَ مِراس * ويَمنعُك من أَربِكَ قبرٌ محفور * والأعمالُ الصالحةُ لها وُفور * وقد وصفَ ذلك نابغةُ بني ذُبيانَ فقال

وإنّي لألقى مِنْ ذوي الضِغْنِ منهمُ * وما أصبحتْ تشكو منَ البثِّ ساهِرَهْ

كما لقيتْ ذاتُ الصفَا منْ حليفِها * وكانت تريهِ المالَ غِبًّا وظاهِرَهْ

فلمَّا رأى أنْ ثمَّرَ اللهُ مالَهُ * فأصبحَ مسرورًا وسدَّ مفاقِرَهْ

أكبَّ على فأسٍ يُحِدُّ غُرابَها * مذكَّرةٍ منَ المعاوِلِ باتِرَهْ

وقامَ على جُحْرٍ لها فوقَ صخرةٍ * ليقتلَها أوْ تُخطِئَ الكفُّ بادِرَهْ

فلمَّا وقاها اللهُ ضربةَ فأسِهِ * وللبِرِّ عينٌ لا تُغمِّضُ ناظِرَهْ

فقالَ تعالَيْ نجعلِ اللهَ بيننا * على مالنا أو تُنجزي ليَ آخِرَهْ

فقالت معاذَ اللهِ أفعلُ إنّني * رأيتُك مسحورًا يمينُك فاجِرَهْ

أبى ليَ قبرٌ لا يزالُ مُقابِلي * وضربةُ فأسٍ فوقَ راسِيَ فاقِرَهْ

وتقولُ حيَّةٌ أخرى إنّي كنتُ أسكُنُ في دار الحسَن البصريّ فيتلو القرآن

لَيْلاً فتلقَّيْتُ منه الكتابَ مِنْ أوَّله إلى آخره * فيقولُ لا زال الرُّشدُ قَرِيناً لمحلّه فكيفَ سَمِعتهِ يقرأُ فالقُ الإِصْباحِ فإِنَّهُ يُروى عَنْهُ بفتحِ الهمزةِ كأنَّهُ جمعُ صُبحٍ وكذلك بالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ كأنَّهُ جمعُ بُكَرٍ من قَوْلهم لَقِيتُهُ بَكَرًا وإِذا قلْنا إِنَّ أنْعُماً وأَشُدًّا جمعُ نِعمَةٍ وشِدَّة على طَرحِ الهآءِ فيجُوزُ أَنْ تَكونَ الأَبكارُ جمعَ بُكْرَةٍ فتكونُ على قولنا بُكُرٌ وأبكارٌ كما يقال جُنْدٌ وأَجناد * فتقول لقد سَمِعتُهُ يقرأُ هذِهِ القِرآءَةَ وكُنتُ عليها بُرهةً مِنَ الدَّهرِ فلَمَّا تُوُفِّيَ رَحِمَهُ اللهُ انتقَلْتُ إلى جِدارٍ في دارِ أبي عَمْرِو بنِ العَلآءِ فَسَمِعتُهُ يقرأُ فرَغِبتُ عَنْ حرُوفٍ مِنْ قِرآءَةِ الحَسَنِ كهذَيْنِ الحَرفَينِ وكَقَوْلِهِ الأنجيلُ بِفَتحِ الهَمزةِ * فلمَّا تُوُفِّيَ أبو عَمْرٍو كَرِهتُ المُقامَ فانتقلتُ إِلى الكُوفَةِ فأقَمْتُ في جِوارِ حَمزَةَ بنِ حَبِيبٍ فسَمِعتُهُ يقرأُ بأشيآءَ يُنكِرُها عليهِ أَصحابُ العَرَبِيَّةِ كخَفضِ الأَرحامِ في قَولِه تَعالى وَاتَّقُوا اللهَ الَّذي تَسآءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحامَ وَكسرِ اليآءِ في قَولِهِ تعالى اسْتِكْبَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيِّ وَمَكْرَ السَّيِّءِ وهذا إِغلاقٌ لِبَابِ العَرَبِيَّةِ لأَنَّ الفُرقانَ ليس بمَوْضِعِ ضَرُورَةٍ وإِنَّما حُكِيَ مِثلُ هذا في المَنظومِ وقد رُوِيَ أَنَّ امرَأَ القيسِ قال

فاليَوْمَ أَشْرَبْ غيرَ مُسْتَحقِبٍ * إِثماً مِنَ اللهِ ولا واغِلِ

وبَعضُهم يَروِي فاليَومَ أُسقَى وإِذا رُوِيَ فاليوم أَشرَبْ فيجوز أَنْ يكونَ ثَمَّ إِشارةٌ إِلى الضمِّ لا حُكْمَ لها في الوزنِ فقد زعَم سِيبَوَيهِ أَنَّهم يفعَلونَ ذلك في قَوْلِ الرَّاجِز

مَتَى أَنامُ لا يُؤَرِّقْني الكَرِي * لَيلاً ولا أَسمَعُ أَصواتَ المَطِي

وهذا يدلُّ على أنهم لم يكونوا يحفلون بطرح الإعراب فأمّا قولُ الرّاجز

إذا اعوججنَ قلتُ صاحبْ قوّمِ * في الدوّ أمثالَ السفينِ العُوّمِ

فإنّهُ من عجيبِ ما جاء وقد بلهَ قائلهُ عن أن يقول صاحِ قوّمِ فلا يكونُ بالوزنِ إخلال ولكنّ الذين يحتجّونَ لهُ يزعمونَ أنّه أرادَ أن يُعادِلَ بينَ الجزئينِ لأنّ قولَهُ حبْ قوّمِ في وزنِ قوْله نلْ عوّمِ وهذا يُشبهُ ما ادّعوْهُ في قول الهذليّ

أبيتُ على معاريَ فاخراتٍ * بهنّ ملوّبٌ كدمِ العباطِ

يزعمُ النحويّونَ أنّ قوْلَهُ معاريَ بفتح الياء حملَهُ عليهِ كراهةُ الزحاف * وهذا قولٌ ينتقضُ لأنّ في هذهِ الطائيّةِ أبياتاً كثيرةً لا تخلو من زحافٍ وكلُّ قصيدةٍ للعربِ وغيرها على هذا القريّ * وكذلك قولُهُ

عرفتُ بأجدُثٍ فنعافِ عرقٍ * علاماتٍ كتحبيرِ النماطِ

فيه زحافانِ من هذا الجنسِ ثمّ يجيءُ في كلّ الأبياتِ إلاّ أنْ يندرَ شيءٌ وقد رُوي عن الأصمعيّ أنّهُ لم يسمعِ العربَ تُنشدُ إلاّ أبيتُ على معارٍ بالتنوين * وهذا لا ينقضُ مذهبَ أصحاب القياسِ إذا كانُوا يروُونَ عن أهلِ الفصاحةِ خلافهُ * ويهكرُ أزلقهُ اللهُ مع الأبرارِ المتّقينَ لما سمع من تلكَ الحيّةِ فتقولُ هيَ ألا نُقيمُ عندنا برهةً منَ الدهرِ فإنّي إذا شئتُ انتفضتُ من إهابي فصرتُ مثلَ أحسنِ غواني الجنّة لو ترشّفتَ رُضابي لعلمتَ أنّه أفضلُ من الدرياقةِ التي ذكرَها ابنُ مقبلٍ في قولِه

سقتني بصهباءَ درياقةٍ * متى ما تُليّنْ عظامي تلِنْ

ولو تنفستُ في وجهكَ لأعلمتُكَ أنّ صاحبةَ عنترةَ تفلةٌ صدوفٌ * والصدوفُ

الكريهةُ رائحةِ الفمِ * وانما تعني قولَه

وكأنّ فأرةَ تاجرٍ بقسيمةٍ * سبقتْ عوارضَها إليكَ منَ الفمِ

ولوْ أدنيتَ وسادَكَ منْ وسادِي لَفضّلتَني على الّتي يقول فيها الأوّل

باتتْ رَقودًا وسارَ الرَّكْبُ مُدّلجًا * وما الأوانسُ في فكرٍ لسارينا

كأنّ ريقتَها مسكٌ على ضَرَبٍ * شيبتْ بأصهبَ منْ يَنْعِ الشآمينا

يا رَبِّ لا تَسلُبَنّي حبَّها أبدًا * ويَرحمُ اللهُ عبدًا قالَ آمينا

فيُذعَرُ منها جعَلَ اللهُ أمنَهُ متّصلا * والطالبَ شأْوَهُ من تقصيرٍ مُتّصلا * ويذهبُ مُهَرْوِلاً في الجنّة ويقولُ في نفسه كيف يُرْكَنُ الى حيّةٍ شَرَفُها السمُّ * ولها بالفتكَةِ همٌّ * فتُناديهِ هلُمَّ إنْ شئتَ اللّذّةَ فإنّي لأفضلُ منْ حيّةَ بنتِ مالكٍ التي ذكرَها العَبْسيُّ في قوله

ما وَلَدتْني حيّةُ بنْتُ مالكٍ * سِفاحًا ولا قولي أحاديثُ كاذبِ

وأحمَدُ عِشاراً من حيّةَ بنْتِ أزهرَ الّتي يقول فيها القائلُ

إذا ما شَرِبْنا ماءَ مُزْنٍ بقهوةٍ * ذكَرْنا عليها حيّةَ بنْتَ أزهرا

ولو أقمْتَ عِندنا إلى أن تَخْبُرَ وُدّنا وإنصافَنا لَنَدِمتَ إن كنتَ في الدّارِ العاجلة قتلتَ حيّةً أو عثمانًا * فيقول وهو يَسمعُ خِطابَها الرائقَ لقد ضيّقَ اللهُ عليَّ مَراشفَ الحُورِ الحسانِ إنْ رَضيتُ بترَشُّفِ هذهِ الحيّةِ * فإذا ضَرَبَ في غيطانِ الجنّةِ لَقِيَتْهُ الجاريةُ التي خرَجتْ مِن تلك الثمرةِ فتقولُ إنّي لأنتظِرُكَ مُنْذُ حينٍ فما الذي شجَنَكَ عن المزارِ * ما طالتِ الإقامةُ معَكَ * فأُملَّ بالمُحاوَرة مَسمَعك * قد كان يحُقُّ لي أن أوثرَ لَديك على حَسَبِ ما تَنفرِدُ به العَروسُ يخُصُّها الرَجلُ بشيءٍ دُونَ الأزواجِ * فيقول

كانت في نفسي مآربُ من مُخاطبةِ أهل النار فلمّا قضيتُ من ذلك وطراً عدتُ إليكَ فاتّبِعيني بين كُثُبِ العنبرِ وأنقاءِ المسكِ * فيتخلل بها أهاضيبَ الفردوسِ ورمالَ الجنان * فتقول أيها العبدُ المرحومُ أظنُّك تحتذي بي فِعالَ الكنديّ في قوله

فقمتُ بها أمشي تجرُّ وراءنا * على أثرَينا ذيلَ مرطٍ مُرحَّلِ

فلمّا أجزنا ساحةَ الحيِّ وانتحى * بنا بطنُ خبتٍ ذي حِقافٍ عقنقلِ

هصرتُ بِفَودَي رأسِها فتمايلتْ * عليَّ هضيمَ الكشحِ ريّا المُخلخلِ

فيقول العجبُ لقدرةِ اللهِ لقد أصبتِ ما خطرَ في السُويداءِ فمنْ أينَ لكِ علمٌ بالكنديّ وإنّما نشأتِ في ثمرةٍ تُبعدُكِ من جنٍّ وأنيس * فتقول إنَّ الله على كلِّ شيءٍ قديرٌ * ويعرضُ له حديثُ امرئِ القيسِ في دارةِ جُلجُلٍ * فيُنشئُ اللهُ جلّتْ عظمتُهُ حوراً عيناً يتماقلنَ في نهرٍ من أنهارِ الجنّةِ وفيهنَّ مَن تفضلهنّ كصاحبةِ امرئِ القيس * فيترامَينَ بالترمدِ وإنّما هو كأجلِّ طيبِ الجنّة * ويعقرُ لهنَّ الراحلةَ فيأكلُ ويأكلنَ من بضيعها ما ليس نقعُ الصفةِ عليه من إمتاعٍ ولذاذةٍ * ويمرُّ بأبياتٍ ليس لها سُموقُ أبياتِ الجنّةِ فيسألُ عنها فيُقال هذه جنّةُ الرُجزِ يكونُ فيها أغلبُ بني عجلٍ والعجّاجُ ورؤبةُ وأبو النجمِ وحُميدٌ الأرقطُ وعذافرُ بنُ أوسٍ وأبو نُخيلةَ وكلُّ مَنْ غُفرَ لهُ من الرُجّاز * فيقول تباركَ العزيزُ الوهّابُ لقد صدقَ الحديثُ المرويُّ * إنَّ اللهَ يحبُّ معاليَ الأمورِ ويكرهُ سفسافَها * وإنَّ الرجزَ لمنْ سفسافِ القريضِ * قصّرتُم أيها النفرُ فقُصِّرَ بكُمْ * ويعرضُ له رؤبةُ فيقولُ يا أبا الجحّافِ ما كان أكلفكَ بقوافٍ ليستْ بالمُعجِبةِ تصنعُ رجزاً على الغينِ

ورَجزاً على الطآء وعلى الظآء وعلى غيرِ ذلك منَ الحُروفِ النافِرَة ولم تكُنْ صاحبَ مثَلٍ مذكورٍ ولا لفظٍ يُستَحسَنُ عذْبٍ * فيغضَبُ رُؤبةُ ويقولُ ألِي تقولُ هذا وعنّي أخَذَ الخليلُ وكذلك أبو عمْرو بنُ العلآء وقد غبَرْتَ في الدار السالفةِ تفتخرُ باللفْظةِ تقعُ إليكَ ممّا نقلَهُ أولئك عنّي وعن أشباهي * فإذا رأى لا زالَ خصمُهُ مغلَّباً ما في رُؤبَةَ منَ الأنتخآء قال لو شُبْكَ رَجزُكَ ورَجزُ أبيكَ لم تخرُجْ منهُ قصيدةٌ مُستَحسَنَةٌ * ولَقد بلَغني أنَّ أبا مُسلِمٍ كلَّمكَ بكلامٍ فيهِ ابنُ تأداءَ فلم تعرِفها حتَّى سألتَ عنها بالحَيِّ * ولقد كُنتَ تأخُذُ جوائزَ المُلوكِ بغَيرِ استحقاقٍ وإنَّ غيرَكَ أولَى بالأعطيَـةِ والصِّلاتِ * فيقولُ رُؤبـةُ ألَيسَ رَئيسكُم في القديمِ والذي ضَهلَتْ إليهِ المَقاييسُ كانَ يَستَشهِدُ بِقَولي ويجعلُني له كالإمامِ * فيقول وهو بالقولِ منْطَقٌ لا فخرَ لكَ أنِ استُشهِدَ بكلامِكَ فقد وَجدناهم يَستَشهِدُونَ بكلامِ أمَـةٍ وكْعآءَ تحمِلُ القُطُلَ إلَى النارِ المُوقَدَةِ في السَّبْرَةِ الّتي نفَضَ عليها الشَّمُّ ريشَه * وهدَمَ لها الشيخُ عَريشَه * تأخُذُ خشَبَةً لِلوَقُودِ * كيْما يَصِلَ إلى الرُّقودِ * وأجَلُّ أيَّامِها أن تجنيَ عَساقِلَ ومغْرودا * وتَتلُوَ نَعَماً مَطرُودا * وإنَّ بعلَها في المِهْنَـةِ لَسيّئُ العَذِيرِ * غلَظَ عنِ الفطَنِ والتحذيرِ * وكم رَوَى النُحاةُ عَنْ طِفلٍ * مالَهُ في الأدَبِ مِن كِفلٍ * وعَنِ امرأَةٍ * لم تَعْدُ يَوْماً في الدَّرأَةِ * فيقولُ رُؤبةُ أجِئتَ لِخصامِنا في هذا المَنزِلِ فامضِ لِطِيَّتِكَ فقد أخَذتَ بكَلامِنا ما شآءَ اللهُ * فيقول أسكَتَ اللهُ مُجادِلَه أقسمتُ ما يَصلُحُ كَلامُكم للثنآءِ * ولا يفضُلُ عَنِ الهنآءِ * تَصُكُّونَ مَسامِعَ المُمتدَحِ بالجَندَلِ * وإنّما يُطرَبُ إلى المندَلِ * ومتى خرَجتُم عَن صِفَـةِ جَمَلٍ *

تَرْثُونَ لَهُ مِنْ طولِ العَمَلِ * إلى صفةِ فَرَسٍ سابحٍ * او كَلْبٍ للقَنَصِ نابحٍ * فإنَّكُم غيرُ الراشدين * فيقول رؤبةُ إنَّ اللهَ سبحانَهُ وتعالى قال يَتَنازَعُونَ فيها كَأْساً لا لَغْوٌ فيها ولا تأثيمٌ وإِنَّ كلامكَ لَمِنَ اللَّغو * ما أنتَ إلى النَّصفَةِ بذي صفْو * فإذا طالت المُخاطَبَةُ بينهُ وبينَ رُؤْبَةَ سَمِعَ العَجّاجُ فجآءَ يسأَلُ المُحاجزةَ * ويذكُرُ أذكَرَهُ اللهُ بالصالحاتِ ما كانَ يَلحقُ أخا النّدام * مِن فُتورٍ في الجَسَدِ مِنَ المُدام * فيختارُ أنْ يعرِضَ لهُ ذلك من غير ان يُنْزَفَ لهُ لُبٌّ * ولا يَتَغيَّرَ عليهِ خُبٌّ * فإذا هو يخالُ في العظامِ الناعمةِ دبيبَ نملٍ * أسْرَى في المُقمرةِ على رَمْل * فيترنَّم بقولِ إياسِ بنِ الأرَتّ

أَعاذِلَ لو شَرِبْتِ الخمرَ حتَّى * يظَلَّ لِكُلِّ أَنمُلَةٍ دَبيبُ
إذاً لَعَذَرْتِني وعَلِمتِ أَنّي * لمَا أتلَفْتُ مِنْ مالي مُصيبُ

ويتكئُ على مَفْرَشٍ مِنَ السُّنْدُسِ ويأمُرُ الحُورَ العِينَ أَنْ يحملنَ ذلك المَفْرَشَ فيضعنَهُ على سَريرٍ من سُرُرِ أهلِ الجنَّةِ وإنَّما هُو زَبَرْجَدٌ أو عَسجدٌ * فيكونُ البارئُ فيه حلَقاً منَ الذهبِ تُطيفُ به من كُلِّ الأَشرآءِ حتّى يأخُذَ كلُّ واحدٍ من الغلمانِ وكلُّ واحدةٍ من الجواري المُشتَبِهةِ بالجُمانِ واحدةً من تلكَ الحلَقِ فيُحمَلُ على تلك الحالِ إلى محلِّهِ المُشيَّدِ بدار الخُلود * فكلَّما مرَّ بشَجرةٍ نَضَحَتْهُ أغصانُها بماءِ الوَرْدِ قد خُلِطَ بماءِ الكافور * وبمسكٍ ما جُنِيَ من دِماءِ الفُور * بل هو بتقدير اللهِ الكريم * وتُناديهِ الثمراتُ من كُلِّ أَوْبٍ وهو مُستلقٍ على الظهْرِ هل لكَ يا أبا الحَسَنِ هل لكَ فإذا أرادَ عُنقودًا من العِنَبِ أو غيره انقضَبَ من الشجرةِ بمشيئةِ اللهِ وحمَلَتْهُ القُدرةُ إلى فيهِ وأهلُ الجنَّةِ يلقونَهُ بأصنافِ التحيَّةِ وآخِرُ دعْواهُمْ أَنِ الحمدُ للهِ ربِّ العالَمينَ * لا يَزالُ

كذلكَ أبداً سَرْمَداً ناعماً في الوَقتِ المُتطَاوِلِ منعَّما * لا تجدُ الغيرُ فيهِ مَزْعَما * وقد أَطَلتُ في هذا الفصلِ ونعودُ الآنَ إلى الإجابة عن الرسالةِ فَهِمتُ قَولَهُ جعَلَني اللهُ فِداآءَهُ لا يَذهَبُ بهِ إلى النِفاق * وبَعُدَ ابنُ آدمَ منَ الوِفاق * وهذه غريزةٌ خُصَّ بها الشيخُ دُونَ غيرهِ وتَعايَشَ العالَمُ بخِداع * وأَضحَوْا منَ الكَذِبِ في إبداع * لو قالت شيرينُ المَلِكةُ لِكِسرَى * جعَلَني اللهُ فِداآءَكَ في إقامةٍ أو سُرَى * لَخالَبَتْهُ في ذلك ونافقَتْه * وإنْ راقَتْهُ بالمَطَلِ ووافقَتْه * على أنَّهُ أَخذَها من حالٍ دَنيَّه * فجعَلها في النُّعمَى السنيَّه * وعتَبَهُ في ذلكَ الأَحِبَّآء * وجرَتْ لَهم في ذلك قصَصٌ وأَنبآء * وقيلَ لهُ فيما ذُكِر * واللهُ العالِمُ بمَنْ جُدِبَ أو شُكِر * كَيفَ تَطيبُ نفسُ المَلِك لِهذه المُومِسِ * وهي الوالِجةُ في المُغَمَّسِ * فضرَبَ لهم المَثَلَ بالقَدَحِ * وإذا حَظِيَت الغانيةُ فليست بِالمُفتَقِرة إلى الصدَحِ * جعَلَ في الإناءِ الشعَرَ والدَم * وقال لِلحاضِرِ ولا نَدَم * تُجِيبُ نَفسَكَ لِشُربِ ما فيه * وإنما يُجنَح إلى تَلافيه * فقال إنّها لا تَطيب * وهيَ بالأَنجاسِ قَطيب * فأَراقَ ذلكَ الشيءَ وغسَلَه * وهذَّبَ وعاآءَهُ ثُمَّ عَسلَه * وجعَلَ فيه من بَعدُ مُداما * وعرَضَها على النُدامَى * فكلُّهم بَهَشَ أَن يَشرَب * ومَن يَعافُ العاتقةَ والضرَب * فقال هذا مَثَلُ شيرينَ * فلا تكونوا في السفَه مُسيرِين * كَمْ منْ شِبلٍ نافقَ أَسَدا * وأَضمَرَ لَهُ غِلّاً وحسَدا * ولَبُؤَةٍ تُداجي هِرْماسا * تَنبِذُ إليه المِقَةَ وتُبغِضُ له لِماسا * وضَيغَمٍ تَقَمَ على فُرْهُود * ووَدَّ لَو دَفَنَهُ بالوُهود * والفُرهودُ وَلَدُ الأَسَدِ بِلُغَةِ أَسدِ شَنُوءَةَ * وهوَ آنَسَ اللهُ الإِقليمَ بِقُربهِ أَجَلُّ مِنْ أَنْ يُشرَحَ لهُ مِثلُ ذلكَ وإنَّما أَفرَقُ من وُقُوعِ هذه الرِسالَةِ في يَدِ

غُلامٍ مُتَرَعْرِعٍ * لَيسَ إِلَى الفَهمِ بِمُتَسَرِّعٍ * فتَستعجِمَ عليه اللفظةُ فيظَلَّ مَعَها في مِثلِ القَيدِ * لا يَقدِرُ على العَجَلِ ولا الرُوَيدِ * وكم خالَبَتِ الذِئابُ السِلِّقَ * وفي الضمائرِ تُكَنُّ الفِلَقُ * أي الدَّواهِي ومنه قولُ خَلَفٍ * مَوْتُ الإمامِ فِلقَةٌ مِنَ الفِلَقِ * والسِلَّقُ جَمعُ سِلْقَةٍ وهي أُنثَى الذئبِ * ومَلِكٍ سانَى مَلِكَةً * ثمَّ صَنَعَتْ لهُ مَهلَكَةً * يقول القائلُ بأَبي انتَ * جادَ عَمَلُكَ وأَتقَنْتَ * ولو قَدَرَ لبَتَّ الوَدَجَ * وإِنَّما جامَلَ او سَدَجَ * ولَعَلَّ بعضَ العَتارِفِ يَلفظُ إِلى البائضةِ حَبَّةَ البُرِّ * ويأْنَسُ بها في حَرٍّ وقُرٍّ * وَفي فُؤَادِهِ مِنَ الضِغْنِ أَعاجيبُ * وتَكثُرُ وتَقِلُّ المَناجِيبُ * والمَناجِيبُ هاهنا تَحتَمِلُ أَمرَينِ أَحَدُهما مِنَ النَجابَةِ والآخَرُ مِن قولِهم مناجيبُ أَيْ ضِعافٌ مِنْ قَولِ الهُذَلِيِّ

بَعَثْتُهُ في سَوادِ اللَيلِ يَرْقُبُني * إِذ آثَرَ النَومَ والدِفْءَ المَناجيبُ

والمَعنَى أَنَّ المَناجيبَ مِنَ النَجابَةِ تَقِلُّ والمَناجِيبَ مِنَ الوَهْنِ تَكثُرُ * ولَعَلَّ ذلِكَ الصافِعَ يَرقُبُ لِأُمِّ الكَيكَةِ حِمامًا * ولا يَرقُبُ لها ذِماما * يقول في النفسِ المُتحدِّثَةِ لَيتَ الذابحَ بَكَرَ علَى المُنقِضَةِ * فإِنَّها عَينُ المُبغَضَةِ * ويقولُ لَوْ أَنِّي جُعِلْتُ في قِدرٍ * أَو بعضِ الوُطُسِ فَاَحِقتُ بالهَذْرِ * لَتَزَوَّجَتْ هذه مِنَ الدِيَكَةِ شابًّا مُقْبِلا * يُحسِنُ لها حُبًّا قَبَلا * وأَنا اذا كَرِهْتُهُ بالكلمةِ العارضةِ إِذْ كانَ قد بَدَأَ بالإِيناسِ * وتَرَكَ مكايِدَ الناسِ * أَلَا يَعجَبُ مِن قَولِ العربِ فِداءٍ لَكَ بالكَسرِ والتَّنوينِ كما قال الراجز

وَيْهًا فِداءٍ لَكَ يا فَضالَهْ * أَجِرَّهُ الرُمْحَ ولا تُبالَهْ

ويُروَى تُهالَه * وذَكَرَ أَحمدُ بنُ عُبَيدِ بنِ ناصحٍ وهُوَ المعروفُ بأَبي

عَصِيدة أَنَّ قولَهم فِداءِ لك بالكسر إذا كانَ لها مُرافِع لم يجُزْ فيها الكسرُ والتنوينُ * ولا رَيبَ أنّه يحكي ذلك عن العلماءِ الكوفيّين * وعينُهُ في قولِ النابغةِ

مَهْلاً فِداءٍ لكَ الأقوامُ كُلُّهمُ * وما أُثَمِّرُ مِنْ مالٍ ومِن وَلَدِ

فأمّا البِصريّونَ فقد رَوَوا في هذا البيتِ فِداءٌ لك * وكَيفَ يَقول الخليلُ المُخلِص * وَهوَ عن الهِجرانِ مُتقلِّص * إنَّ حَنينَهُ حَنينُ وآلهٍ من النُّوقِ * وهي الذاهِلَةُ إن حُمِلَ عليها بَعضُ الوُسوق * وإنّما تَسجَعُ ثلاثاً أو أربعا * ثمَّ يَكونُ سلُوُّها متْبعا * فأمّا الحَمامةُ الهاتِفةُ فقد رَزَقَها الباريُ صيتاً شائعا * وظَلَّ وَصفُها بالأَسَفِ ذائعا * تنهَضُ إلى الْتِقاطِ حَبّ * وتَعُودُ إلى جوْزَلها ذاتَ أَبّ * فإنْ هي صادَفَتهُ أكيلَ بازٍ أو سُوذانِق * ليس مَن أبصَرَ أثَرَه بالآنِق * غدا به ظُفرُ شاهِين * وهِيَ البائسةُ من اللاّهِين * فما هِيَ إلاّ مثلُ الحيَوان * تَمَلُّ حالَها في أقصَرِ أوَان * وقد زَعَمَ زاعِمٌ * لا يُصَدِّقُ أنَّ الحَمائِمَ * في هذا العَصرِ يَبكِينَ مُقعَداً هَلَكَ في عَهدِ نُوح * أَبَرَحَ له البارحُ أم رُمِي بالسُّنُوح * وإنَّ دَوامَها على ذلك لَدليلُ الوَفاء * وما العِوضُ عن خليلِ الصفاء * لا عِوَضَ ولا نائِبَ إلاّ فيه * وكيفَ يُعتَبُ الزَمنُ على تجافيه * وإنّما حُشِيَ بِشَرٍّ وغَدْر * وكُتِبَ لهُ العِزُّ في القَدْر * وأمّا الظَبْيَةُ فإنّها لا تُوصفُ بحَنين * ولكِن تَنْتقِلُ بلُبّ مَنين * ومَن لها باليانِع من الأَراك * ولا تقولُ لِفارِسِ الخَيلِ الشازِبَةِ وَراك * ومَن كانَ وُجْدُهُ يَعدِلُ عن الخلَد * فإنّهُ إذا جَنَبَ إلى الوَلَد * فسَوفَ تَذَرُهُ المُدَدُ ناسِيا * كأنّهُ ما جَزِعَ آسِيا * وما أقَلَّ صِدقَ الأُلاّف * ولَو بِيعُوا منَ الذهَبِ لا الوَرِق بآلاف

وليسَ خليلي بالملولِ ولا الّذي * إذا غبتُ عنهُ باعني بخليلِ

وأحسبُ كُثيّرًا تفوّه بهذه المقالةِ على غِرّة * وما عرف مكانَ الشرّة * فكيفَ يُقدَرُ على إخاءِ الملَك * أم كيف يُرتقعُ إلى الفلَك * وأمَّا ما ذكرَهُ مِن حالي غُطّيَ شخصُه أن يُلحظَ بنواظرِ الغيَر * ومُتّعَ مِن مالٍ بجيَر * أي كثير * قال الراجز

يا ربّنا من سرّهُ أن يكبَرا * فسُقْ لهُ يا ربِّ مالاً حيَرا

فطال ما أُعطيَ الوثَنُ سعودا * فصارَ حضورُه للجهلَة موْعودا * فإن سُرِرتُ بالباطل * فَشُهِرْتُ باتّخاذ النياطل * وإنَّ الصابرَ مأجورٌ محمُود * ولا ريبَ أنْ سيُقدَرُ لمن ظعَن شِربُ مَثْمود * وأحلف كيَمين أمرئِ القَيسِ لمّا رَغِبَ في مقامهِ عندَ الموْموقة * ولم يفرَقْ مِن الرامقةِ ولا المرْموقة * فقال

فقلتُ يمينُ اللهِ أبرَحُ قاعِداً * ولو قطَعُوا رأسي لَديكِ وأوصالي

والأُخرَى الّتي أقسَم بها زُهير * إذ عصفَت بالحرَبِ القائمةِ هيَر * عنى قوله

فأقسمتُ بالبيتِ الذي طافَ حوْلَهُ * رجالٌ بنَوْهُ مِنْ قُرَيشٍ وجرْهمِ

يميناً لَنِعمَ السيّدانِ وُجِدتُما * علَى كلِّ حالٍ من سَحيلٍ ومبْرَمِ

وبالحذّاءِ التي نَطَقَ بها ساعِدَة * والمُهجَةِ الي ملَكها صاعدة * فقال

حلفَ أمرئٍ برّ سرفتِ يمينَهُ * ولِكلُّ من ساسَ الأُمورَ مجرِّبُ

وأولي مع ذلك ألِيّةَ الفرزدقِ لمّا رهِبَ وُقوعَ انتقام * فاغتنَم ما بينَ الكعبةِ والمقام * ووَصفَ ما صنَع فقال

ألم ترَني عاهدتُ ربّي وأنّني * لَبينَ رِتاجٍ قائماً ومقامِ

على حلفَةٍ لا أشتِمُ الدهرَ مسلماً * ولا خارجاً منْ فيَّ زُورُ كلامِ

إِني لَمكذوبٌ عليهِ كما كَذبَتِ العَربُ على الغول * وإِنها عمّاَ يُؤثَرُ لَفي شغُول * وكما تَقوَّلتِ الأَمثالُ السائرةُ على الضبّ * ولهُ بالكَلَدةِ إِرباب الصبّ * وكما تَكلَّمتْ على لِسانِ الضبُعِ وهي خرْساء * ما أطلقَ لِسانَها الوَضَحُ ولا المَساء * يَظنُّ أَنّي من أَهلِ العلمِ * وما أَنا لهُ بالصاحبِ ولا الخلِمْ * وتلكَ لعَمري بليَّة * تُفتقدُ معها الجليَّة * والعُلومُ تَفتقرُ إلى مِراس * ودارسٍ للكُتُبِ أَخي دِراس * ويُقالُ إِنَّني مِن أَهلِ الدّين * ولو ظَهرَ ما وَراءَ السدَّين * ما اقتَنع لِيَ الواصفُ بِسبّ * ووَدَّ أَنْ يَسقِيَني جوزلاً بشَبّ * وكَيفَ يُدَّعى للعِلجِ الوَحشِيّ * وانما أَبَدَ في الرَوْضِ الحبشِيّ * أَنَّ تَغريدَهُ في السحَرِ اشعارٌ موزُونة * تأْذَنُ لِنَظيرِها المَحزونة * وهل يُصوَّرُ لعاقلٍ لَبيب * أَنَّ الغُرابَ الناعِبَ صدَحَ بِتَشبيب * وأَنَّ العَصافيرَ الطائرةَ بأَجنحة * كَعصافيرِ المُنذِرِ الكائنةِ للتَّمنحة * وكَيفَ يَظُنُّ الظانُّ أَنَّ للطائرِ أَساجيعَ حَمامَة * وإِنَّهُ لأَخرَسُ معَ الدَمامة * فَبعَدَ من زعَمَ أَنَّ الحجَرَ متُكلِّم * وأَنَّهُ عندَ الضَربِ متأَلِّم * ومَنِ التَمَسَ مِنَ اللُغامِ كِسوَة * فإِنَّهُ لا يجِد إِسوَة * ولو أَنّي لا أَشعرُ بما يُقالُ فيّ * لأَرحتُ مِن إِنكاري وتَلافِيّ * وكُنتُ كالوثَنِ سواء عليه أَنْ وُقِّرَ مِنَ الوَقار * وأَنْ أُوقِرَ من الأَوْقار * وكالأَرضِ السبِخَةِ ما تَحفلُ أَنْ قيلَ هيَ مَريعة * أَو قيلَ لها بِئستِ الزَريعة * وكالفَريرِ المُعتَبطِ ما يَأْبَهُ لقولِ الآكلِ إِنَّهُ لَساحّ * ولا إِذا قُصِبَ إِنَّهُ بالدِكَةِ شاحّ * واللهُ المُستنصَرُ على الإِلاقيّ * لم تُوزَنِ الراكدَةُ بالأَواقيّ * والإِلاقيُّ مَنسوبٌ إِلى الإِلاقِ وهو البرقُ الكاذِب * وكيف أُغتَبطُ إِذا تَخرَّصَ عليّ *

وعزيت المعرفة اليّ * ولستُ آمناً في العاقبة * فضيحةً غير مُصاقبة * ومثلي إن جذلتُ بذلك مثلُ مَنِ اتُّهِمَ بمال * فاعتقدَ أنَّ ما ذاعَ من الخبرِ يأتيه بجمال * فسرَّهُ قولُ الجهلةِ إنَّهُ لحلفُ اليسار * والذهبُ في يمينه واليسار * فطلبَ منه بعضُ السلاطينِ أنْ يحملَ اليهِ جملةً وافرة * فصادفَ أكذوبةً زافرة * وضربهُ كي يقرّ * وقتلَ في العقوبةِ ولم يُعطَ البرّ * وقد شهدَ اللهُ أنّي أجذلُ بمن عابني * لأنَّهُ صدقَ فيما رابني * وأهتمُّ لثناءٍ مكذوب * يتركني كالطريدةِ المذوب * ولو نُطحتُ بقرني الجرادة * لامتنعتُ من كلّ إرادة * وأمّا روقُ الوعلِ فأعوزهُ عندي نطيح * لأنّي بروق الظبيِ أطيح * فغفرَ اللهُ لمنْ ظنَّ حسناً بالمسيء * وجعلهُ حجَّةً في النسيء * ولولا كراهتي حضوراً بينَ الناس * وإيثاري أنْ أموتَ ميتةَ علهبٍ في كناس * فأجتمعَ معي أولئكَ الجائلون * لصحَّ أنَّهم عنِ الرُّشدِ حائلون * وأنارَ لهم الحقّ الطامس * وقبضَ على القتادِ اللامس * وأما ورودهُ حلبَ حرسَها اللهُ فلو كانت تعقلُ لفرحتْ به فرحَ الشمطاءِ المنهبلة * ليستْ بالآبلةِ ولا المؤتبلة * شحطَ سليلُها الواحد * وما هو لحقّها جاحد * وقدِمَ بعدَ أعوام * فنقعتْ به فرطَ أوام * وكانت معهُ كالخنساءِ ذاتِ البرغز رتعتْ به في الأصيلِ * وليس هو لحتفٍ بوصيل * فلمَّا رأتِ المكانَ آمناً * ولم تخشَ للسراح الخمعُ كامناً * انبسطت في المرادِ الواسعِ وخلَّفته * يحاولُ أنفاً تكلّفته * لتجرَّ لذلك الوالدِ ما في الأخلاف * ولا تلافيَ بعيدَ التلاف * فعادتِ المسكينةُ فلم تصبهُ * فقالت للصمدِ لا تنصبهُ * إنْ كان وقعَ في مخالب

الذيبُ * ومنّي ببعضِ التعذيب * فأنتَ القادرُ على تعويضِ الأطفال * والعالِمُ بعقبى الطيرةِ والفال * فبينا هي تردّدُ بينَ العلهِ والولَهِ بنغمَ لها الفقيدُ من حتفٍ اتخذَ فيه مربضا * ولم يرَ منَ الرماةِ منبضا * هكعَ لمّا شبعَ * فما ساءهُ القدرُ ولا سبعَ * فغمرَ فؤادَها ابتهاج * من بعدِ ما وضحَ لها المنهاج * ولو رجعَ القارظُ الى عنزةَ ما بانَ فيها الطربُ للرجعة * وما قدرَ من زوالِ الفجعة * الا دونَ ما أنا مضمرٌ مُجِنٌّ منَ المسرّةِ بدنوّ الديار * وإلقائه عصا التسيار * فالحمدُ للهِ الذي أعادَ البارقَ إلى الغمامِ الوسميّ * وأتى المومضَ بحلَى السميّ * وإنَّ حلبَ المنصورة لتختلُّ إلى من يعرفُ قليلاً منْ علمٍ * في أيّامِ المحاربةِ والسلمِ * فما لهُ شيّدَ اللهُ الآدابَ بأنْ يزيدَهُ في المدّة * فإنّما هو لغرابها كالعدّة * وإنّي لأعجبُ منْ تمالؤِ جماعة * على أمرٍ ليسَ بالحسَنِ ولا الطاعة * ولا ثبتَ له يقين * فيشوفهُ الصنَعُ او يقين * قد كدتُ ألحقُ برهطِ العدَم * من غيرِ الأسفِ ولا الندَم * ولكنّما أرهبُ قدومي على الجبّار * ولم أصلحْ نخلي بإبّار * وقيلَ لبعضِ الحكماء إنَّ فلاناً تلطّف حتّى قتلَ نفسَه * ولم يطقْ في الدارِ الخاليةِ عفسَه * وكرهَ أنْ يمارس بدائعَ الشرور * وأحبَّ النقلةَ الى منازلِ السرور * فقال الحكيمُ قولاً معناهُ أخطأ ذلكَ الشابُّ المقتبَل* لهُ ولأمّه يحقُّ الهبَل * هلاّ صبَرَ على صروفِ الزمان * حتّى يمنوَ لهُ القدرُمان * فإنّهُ لا يشعرُ علامَ يقدَم * ولكلِّ بيتٍ هدَم * ولولا حكمةُ اللهِ جلّت قدرتُهُ وأنّهُ حجزَ الرجلَ عنِ الموتِ * بالخوفِ منِ العلزِ والفوتِ * لرغبَ كلُّ منِ احتدمَ غضبُه * وكلَّ عنْ ضريبةٍ مقضبُه * أنْ تنزعَ له

منَ الموتِ كؤوس * واللهُ العالمُ بما يؤوس * وأمّا أبو القطران الأسديّ * وأيُّ البشرِ من الخطوبِ مفديّ * فصاحبُ غزلٍ وتبطُّل * وتوفُّرٍ على الخرَّدِ وتعطُّل * وما أشكُّ أنّ الشيخ أقرَّ اللهُ عينَ الأدبِ بالزيادة في عمرِه أشدُّ شوقاً إلى أحمدَ بنِ يحيَى مع صَمَمِه * وأبي الحسنِ الأثرمِ مع ثَرَمِه * من المرّار بنِ سعيد * عندَ رجاءِ العِدَة وخوفِ الوعيد * وهو ذلكَ المتهيّمُ إلى وحشيّة * وإنْ فقدَ لبنَيها الحشيّة * وادّكرَ ثغراً كالإغريض * وخدّاً يعدلُ بلونِ الإحريض * وإنّما وُدُّ الغانيةِ خلابٌ وخداع * وللكمدِ في هواهُ ابتداع * ولوْ هلكتْ تلكَ المرأةُ والمرّارُ يعيش * لعُدَّ أنّهُ بتلفِها نعيش * لاسيّما بعدَ السنّ العالية * وقوّة النفسِ الآلية * ولعلَّ ابا القطرانِ لو متّعَ بهذه المذكورةِ ما يكونُ قدْرُهُ مائةَ حقبة * على غيرِ الجزعِ والرّقبة * لجازَ أنْ يغرضَ منَ الوصال * إذا علمَ أنَّ حبلَهُ في اتّصال * ولوْ نزلَ بها شيءٌ تتغيّرُ به عنِ العهْد * لتمنّى أنْ تُقذَفَ إلى غيرِ المهدِ * لأنَّ ابنَ آدمَ بخيلٌ ملول * تسري به إلى المنيّةِ أمونٌ ذلول * ولوْ أصابها العوَر * بعدَ أنْ سكنَ عينَها الحوَر * لظنَّ أنَّ ذلكَ نبأٌ لا يُغفرُ ولا يُكفَّر * فكيفَ يُعتبُ على الفاهين * ويُنْتقمُ منَ القومِ الساهين * واللهُ سبحانهُ قد رفعَ ذلكَ عنْ ساهٍ ما علِم * ونائمٍ إذا أحسَّ بالمؤلِمِ ألِم * ومنْ أينَ لذلكَ الشخصِ الأسديّ ما وهبهُ اللهُ للشيخِ من وفاءٍ لو علِمَ به السموْأَلُ لاعترفَ أنّهُ منَ القادرين * أو الحارثُ بنُ ظالمٍ لشهدَ أنّهُ من السادرين * من قولِهم فعلَ كذا وكذا سادراً أي لا يهتمُّ لشيءٍ * وإنّما عاشرَ أبو القطرانِ أعبُداً في الإبلِ وآمياً * ونظرَ إلى عقبه دامياً * ممّا يطأُ على هراس *

وَمَن له في المكْلأةِ بالقَراس * وهو التمرُ الأسوَد * وَمن أبياتِ المعاني

إذا أكلُوا القرَاسَ رَأَيتَ شاماً * على الأنباثِ منهم والغيوبِ
فما تنفكُّ تسمعُ قاصفاتٍ * كصوتِ الرعدِ في العامِ الخصيبِ

ولعلَّهُ لو صادَفَ غانيةً تزيدُ على وَحشيَّةَ بشقِّ الأبلمةِ * لسَلاَها غيرَ المؤلَمةِ * وَإنماَّ دَيدَنُ ذَلكَ الرجلِ وَنُظرآئهِ صِفةُ ناقةٍ أوْ ربْعٍ * وما شجرُهُ المغترَسُ بالنبعِ * إذا جنَى الكمأةَ بجحٍ * وَخالَ أنَّهُ قدْ نجحَ * وَلَوْ حضرَ أخونَةً حضرَها الشيخُ لعادَ كما قال القائل

فلَوْ كُنتَ عذْريَّ العلاقةِ لَمْ تبِتْ * بطيناً وأنساكَ الهوَى كثرةَ الأكلِ

وَهوَ قدَّر اللهُ لهُ ما أحبَّ قد جالَسَ مُلوكَ مِصرَ التي قال فيها فرْعونُ أَليسَ لي مُلْكُ مِصْرَ وهذهِ الأنهارُ تجْري منْ تحْتي أفلاَ تُبْصِرُوْنَ * وقد أقامَ بالعِرَاق زَمنًا طَويلا * وَأَدامَ على الأدَبِ تَعويلا * وَبالعراق مملكةِ فارسَ وَهُمْ أهلُ الشرَفِ والظرْف * يُوْفي صرْفُهُم في الأطعمةِ على كُلِّ صرْف * ولا رَيبَ أنَّهُ قد جالَسَ بقاياهمُ * واختبرَ في المعاشرَةِ سجاياهم * وَعاطَوْهُ الأكؤُسَ ألاتِ التصاوِير * على عادِ المرَازِبةِ وَالأساوِير * كما قال الحكَميُّ

تدُوْرُ علينا الكأْسُ في عَسجَديَّةٍ * حبَتْها بأنوَاعِ التصاويرِ فارسُ
قَرارتها كسْرَى وَفي جنَباتها * مَهًى تدَّريها بالقسيِّ الفوَارسُ

وَأَبُو القطرانِ كانَ يستقي النُطفةَ بخُلبةٍ * وَيجعلُها في الغُمرِ أوْ العُلبةِ * وَإذا طعِمَ فمَنْ لهُ باللهِيدة * وَإنْ أخصبَ شرَعَ في النهيدة * وَما أشكُّ أنَّهُ أمتعَ اللهُ الآدابَ ببقآئهِ لو رُزِق مُحاورَةَ أبي الأسوَدِ على عرَجِهِ * وبخلهِ

المتناذِرِ وحرَجِه * لكانَتْ مقتُهُ لهُ أَبلغ من مقةِ مَهْديّ لِيلاه * ولا أَقولُ رُؤْبَة أُبيلاه * ولو أَدْرَكَ مُحاورةَ أَبي الخطَّابِ لكانَ بِدَوْشِ عينَيهِ أَشدَّ شغفاً مِنَ الحادِرَةِ بِسُمَيَّة * وَمِنْ غَيْلانَ بميَّة * لأَنَّهُ قال

وَعينانِ قال اللهُ كُونا فكانَتَا * فَعُولانِ بالأَلْبابِ ما تَفعَلُ الخمرُ

وهو بمجلَعِ أَبي الحَسَنِ سَعيدِ بن مَسْعَدَةَ أَعجبُ من كُثَيِّرٍ بشَنَبِ عزَّة * والعُذريِّ بلَمى بُثَينةَ * ولو كان أَبُو عُبَيدَةَ أَذْفَرَ الفَمِ لما أَمِنَتْ مع كَلَفِهِ بالأَخْبار * أَنْ يُقَبِّلَهُ شقَّ البَلَسةِ بلا استكبار * وفي الحديث عن عائشةَ رَحمَةُ اللهِ عليها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُقبِّلني شقَّ التينةِ وروى بَعضُهم شقَّ التمْرَةِ وَذَلِكَ أَنْ يأْخُذَ الشفَةَ العُليا بيدِه والسفْلَى بيدِه الأُخرَى وَيُقَبِّلَ ما بينَ الشفَتَيْنِ * وأَمَّا مَنْ فقَدهُ مِنَ الأَصدِقاءِ لَمَّا دَخَلَ حَلَبَ حرَسَها اللهُ فتلكَ عادَةُ الزمَنِ * لَيسَ على السالمِ بمؤْتَمَن * يُبَدِّلُ مِنَ الأَبْياتِ المَسكُونَةِ قُبورا * وَلا يُلحِقُ بِعَثرَةٍ جُبُورا * وَإِنَّ رَمسَ الهالك لَبَيتُ الحقِّ * وَإِنْ طرِقَ بالملِمِّ الأَشقِّ * على أَنَّهُ يُغْني الثاويَ به بَعدَ عدَم * ويَكفيهِ المؤُونةَ معَ القِدَم * وَإِنَّ الجسَدَ لَمِن شرِّ خَبْءٍ * يُبعدُ من سَبْيٍ وسَبْءٍ * قال الضَبِّيّ

وَلَقَد علِمتُ بأَنَّ قصري حُفرَةٌ * ما بَعدَها خَوْفٌ عليَّ ولا عَدَمْ

فأَزورُ بَيتَ الحقِّ زَوْرَةَ ماكِثٍ * فعلامَ أَحفِلُ ماتقوَّضَ وانهَدَمْ

وما زالَتِ العرَبُ تُسمِّي القبرَ بيتا * وإِنْ كانَ المُنْتَقِلُ اليه ميْتا * قال الراجز

اليومَ يُبنَى لِدُوَيدٍ بيتُهُ * يارُبَّ بيتٍ حَسَبٍ بَنيتُهُ

وَمِعصَمٍ ذي بُرَةٍ لَوَيتُهُ * لوكانَ للدهرِ بِلًى أَبلَيتُهُ

أو كانَ قِرني وَاحِدًا كَفَيتُهُ

فأمَّا الفصلُ الذي ذَكَرَ فيه الخليل فقد سقط منهُ اسمُ الذي غلا فيَّ * وقرَن بالنُجومِ الصلافيّ * ومن كان فغفر اللهُ جرائمه * وحفظ لهُ في الأبدِ كرائمه * فقد أخطأَ على نفسهِ فيما زعم وعليَّ * ونسب مالا أستوجبُ إليَّ * وكم أعتذرُ وأتنصّل * من ذنبٍ ليس يتحصّل * وإنّي لأكرَهُ بشهادةِ اللهِ تلك الدعوى المبطلةَ كراهةَ المسيحِ مَنْ جعلَهُ ربَّ العزَّة * فما تركَ للفتَن من مهزّة * بدليل قولهِ تعالى وَإذْ قالَ اللهُ يا عيسَى بنَ مريمَ أأنتَ قلتَ للنَّاسِ اتخذوني وأمِي إلهَينِ مِنْ دُونِ اللهِ قالَ سبحانكَ ما يكونُ لي أنْ أقولَ ما ليسَ لي بحقٍّ إنْ كنتُ قلتُهُ فقدْ علمتَهُ تعلمُ ما في نفسي ولاَ أعلمُ ما في نفسِكَ إنَّكَ أنتَ علاَّمُ الغيُوب * وأمَّا أبو الفرجِ الزَّهرَجيُّ فمعرفتهُ بالشيخ تُقسِمُ أنَّهُ للأدب حليف * وللطبعِ الخيّر أليف * ووَدِدتُ أنَّ الرسالةَ وصلَتْ إليَّ ولَكِنْ ما عدَلَ ذلكَ العديل * فبعدَ ما تغنَّى هديل * هلاَّ اقتنع بنفقةٍ أوْ ثوب * وترَكَ الصحُفَ عنْ نوب * فأربَ من يديْه * ولا اهتدَى في الليلة بفرقديْه * لو أنَّهُ أحدُ لصوصِ العرَبِ الَّذينَ رُويَتْ لهمُ الأمثالُ السائرة * وتحدَّثت بهم المنجدةُ والغائرة * لمَا اغتفرتُ ما صنَع مما نظم * لأنَّهُ أفرطَ وأعظم * أيْ أتى عظيمة * وبتكَ منَ القلائدِ نظيمهُ * وقدْ وُفّقَ أبو الفرجِ وولدُه * وصارَ كاللُجَّةِ ثمَدُه * لمَّا درَسَ عليهِ الكُتُب * وحفظَ عنهُ ما يكونُ التُرتُب * فسلَّمَ العاتكةَ الى القاريّ * والنافجةَ إلى المرِّ الداريّ * والرُمحَ الأطول الى ابنِ الطُفَيل * والأعنَّةَ إلى أحلاسِ الخيلِ * وإنْ كانَ الشيخُ مارَسَ

مِنَ التَعَبِ أُمَّ الرُّبَيق * فقد جدَّدَ عهدَهُ الأوَّلُ بقُوَيق * وإنَّهُ لَنِعمَ النَّهر * لا يُغرِقُ السابحَ ولا يبهر * وبناتُهُ المخطوباتُ صغار * يؤخذنَ منهُ في الغفلة ولا يُغارُ * يعولُهنّ * والقدَرُ يغولُهنّ * ستَرَنَ الأنفسَ فما تبرَّجن * ولكنْ بالرغمِ خرَجن * خُدُورُهنَّ من ماء * زارتهنَّ الملمؤةُ بالإلماء * والملمؤةُ الشبكةُ * يُقالُ أَلمأَ على الشيء اذا أَخذَهُ كُلّه * ما يَشعرُ قُوَيقٌ المسكينُ أَعرَبٌ سَبَتْ مَنْ وَلَدَ أم رُوم * ولا يحفلُ بما تَرُوم * ولقد ذَكَرَهُ البُحتُريّ * ونعتَهُ الصنوبَريّ * وإخالُ أنَّ الشيخَ أفسدَتْهُ عليهِ دِجلةُ وصَراتُها * وأعانَها على ذلكَ فُراتُها * وأمّا حلبُ حماها اللهُ فإنَّها الأمُّ البرَّة * تُعقَدُ بها المسرَّة * وما أَحسبُها إنْ شاءَ اللهُ تُظاهِرُ بذميمِ العُقوق * ولا تُغفِلُ المفترَضَ من الحقوق * ووحشيَّةٌ يحتَمِلُ أنْ يكونَ آنَسَ اللهُ الآدابَ ببقائهِ جعلها نائبةً عمَّنْ فقدَهُ مِنَ الإخوان * الذين عُدِمَ نظيرُهم في الأوان * وكذلكَ تجري أمثالُ العرَبِ يكنُونَ فيها بالاسمِ عنْ جميعِ الأسماء مثالُ ذلكَ أنْ يقولَ القائل

فلا تَشلَلْ يدٌ فتكتْ بعمرٍو * فإنَّكَ لن تُذَلَّ ولن تُضاما

يجوزُ أنْ يرَى الرجلُ رجلاً قد فتَكَ بمَن اسمُهُ حسّانٌ أو عطاردٌ أو غيرُ ذلكَ فيتمثَّلَ بهذا البيتِ فيكونُ عمرٌو فيهِ واقعاً على جميعِ من يُتمثَّلُ لهُ بهِ * وكذلكَ قولُ الراجز * أوردَها سعدٌ وسعدٌ مشتملْ * صار ذلكَ مثلاً لكلِّ مَنْ عمِلَ عملاً لم يُحكِمْهُ فيجوزُ أنْ يُقالَ لمَن اسمُهُ خالدٌ او بكرٌ او ما شاءَ اللهُ مِنَ الأسماء ويضعُونَ في هذا البابِ المؤنَّثَ موضعَ المذكَّرِ والمذكَّرَ موضعَ المؤنَّثِ فيقولون للرجُلِ * أَطرِّي فإنَّكِ ناعلةٌ *

والصيفَ ضيَّعتِ اللبَن * وأراكِ مُحسنةً فهيلي * وأبديهنَّ بعفالٍ سُبيتِ * واذا أرادوا أن يخبروا بأنَّ المرأة كانت تفعلُ الخيرَ ثُمَّ هلكتْ فانقطعَ ما كانت تفعلُهُ جاز أن يقولوا * ذهبَ الخيرُ معَ عمرِو بنِ حُمَمة * وجائزٌ أن يقولوا لمن يحذَرونهُ من قُربِ النسآءِ * لاتَبِتْ من بكريٍّ قريباً * والبكريُّ أخوكَ فلاتأمنْهُ * وهذا كثير * وأمَّا شكواهُ إليَّ فإنني وإيَّاهُ لكما قيلَ في المثَل * الثكلى تُعينُ الثكلى * وعلى ذلكَ حملَ الأصمعيُّ قول أبي دُؤاد

وَيُصيخُ أحياناً كما أسـ * ـتمعَ المُضلُّ دُعاءَ ناشدْ

كلانا بحمدِ اللهِ مُضلّ * فعلى مَنْ نحملُ وعلى مَنْ نُدِلّ * أمَّا المطيَّةُ فآليَة * وأمَّا المزادةُ فخاليَة * والركْبُ يفتقرُ إلى الحصاة * وكُلُّهم يَهشّ للوصاة

يشكو اليَّ جملي طُولَ السُّرى * صبرٌ جميلٌ فكلانا مُبتَلى

إن اشتكَت السَّمُرةُ سفنَ العاضدِ إلى السيَالة فإنها تشكُو النازلةَ إلى شاكٍ * والصدقُ أفضلُ من الابتشاك * ولا أرتابُ أنَّهُ يحفظُ قولَ الفزاريِّ منذُ خمسين حجَّةً أو أكثر

أعيَيْنَ هلاَّ إذ بُليتَ بحبِّها * كُنتَ أستغثتَ بفارغِ العقلِ
أقبلتَ تبغي الغوثَ من رجلٍ * والمُستغاثُ اليه في شُغلِ

ولم يزَل أهلُ الأدبِ يشكونَ الغيرَ في كُلِّ جيل * ويخصُّونَ من العجائبِ بسجلٍ سجيل * وهو يعرفُ الحكايةَ أنَّ مسلَمةَ بنَ عبدِ الملكِ أوصى لأهلِ الأدَبِ بجزْءٍ من مالهِ وقالَ إنهمْ أهلُ صناعةٍ مجفُوَّةٍ وأحسَبُ أنَّهم والحرفةَ خُلقَا توأمين * وإنَّما ينجحُ بعضُهم في ذاتِ الزُّمَين * ثُمَّ لاتلبثُ أنْ تزِلَّ قدمُه * ويتفرَّى بالقدَرِ أدمُه * وقدْ سمعَ في مصرَ بقصَّةِ أبي الفضلِ وسعيد *

وما كانَ أَحدُهما منَ الآخرِ ببَعيد * واذا كان الأدبُ على عهدِ بني أُميَّة يُقصدُ أَهلهُ بالجفوة فكيفَ يَسلمونَ من باس * عندَ مملكة بني العبَّاس * واذا أَصابتهمُ المحنُ في أَيَّامِ الرشيد * فكيفَ يُطمَعُ لهم بالحظِّ المَشيد * أليسَ أَبو عُبيدةَ قَدِمَ معَ الاصمعيِّ وكِلاهما يُريدُ النُجعة * ولا يَلتمسُ الى البَصرةِ رَجعة * فتَشبَّثَ بعبدِ المَلك وردَّ معمر * ومَنْ يعلَمُ بما يجنُّ الخمرَ * ومَن بَغى أَنْ يتكسَّبَ بهذا الفنّ * فقد أَودعَ شرابَهُ في شَنّ * غيرِ ثِقَةٍ على الوَديعة * بلْ هِيَ منْهُ في صاحبِ خَديعة * وقَدْ رُوِيَ أَنَّ سيبَويهِ لمَّا اُختبِرَ شأنُهُ وراز * رَغِبَ في وِلايَةِ المظالِمِ بشيراز * وأَنَّ الكسائيَّ تحوَّبَ ممَّا صنعَ به * فأَعانَهُ كَيْ يَشحَطَ على مُتَطلِّبِه * فأَمَّا حَبيبُ ابْنُ أَوسٍ فهلَكَ وهو بالمَوْصلِ على البَريد * وصاحِبُ الأَدَبِ حليفُ التَصريد * وأَمَّا الَّذينَ ذكَرهُم منَ المُصحِّفين * فغيرُ البَرَرةِ ولا المُنْصفين * وما زال التَنَفُّلُ يعرِضُ لأَذاةِ الأَسَد * وما أَحسَبُهُ يَشعرُ بمكانِ الحَسَد * فإِذا أَدْلَجَ وَرْدٌ هَمُوس * تَشقَى بهِ التامكةُ واللَّمُوس * فثُعَالَةُ بهِ مُنْذِر * كأَنَّه لِلمفترِس مُحذِّر * ولا يراهُ الضيغمُ موضعاً لِلعتاب * ويجعلُ أَمرَهُ فيما يُحتَملُ مِنَ الخَطْبِ المُنتاب * وكم من أَغلبَ مُثار * يُسَهَّدُ لغناءِ الطَّيْثار * واذا هو بلَيلٍ تَغنَّى * فالقَسْوَرُ بهِ مُعنًّى

ما يَضُرُّ البحرَ أَمسَى زَاخِرًا * أَنْ رَمَى فيهِ غُلَامٌ بحجَرْ
أَوَ كُلَّما طَنَّ الذُبابُ أَرُوْعهُ * إِنَّ الذُبابَ اذًا عليَّ كَريمُ

وما زالَ الهَمَجُ يقولون * ويَقصُرُون عَنِ المَكرُمةِ فلا يطُولُون * وإِنَّهم عمَّا أَثَّلَ مُتَثاقِلُون * وطُلَّابُ الأَدَبِ في جبالِهِ واقِلُون * مَنِ انفرَدَ بفَضيلةٍ

أثيرة * فإنّهُ يتقدَّمُ بمَناقِبَ كثيرة * وإنَّ حسَّاد البارع لَكَما قال الفرزدق

فإنْ تهجُ آلَ الزبرقانِ فإنَّما * هجوْتَ الطوالَ الشمَّ من آل يَذبُلِ
وقد نَبحَ الكلبُ النجومَ ودُونَها * فراسخُ تُقصي ناظرَ المتأمّلِ

يعدُو على الحاسدِ حسَدُه * ويَذُوبُ من كَبْتٍ جسَدُه

فهل ضربةُ الروميّ جاعلةٌ لكمْ * أبًا عن كُليبٍ أوْ أبًا مثلَ دارمِ

فأمَّا ما ذكَرَهُ من قول أبي الطيّب

أُذمُّ إلى هذا الزمانِ أُهيلَهُ

فقد كان الرجُل مُولَعًا بالتصغير * لا يَقنَع من ذَلك بخَساسة المُغير * كقوله

مَنْ لي بِفَهمِ أُهَيْلِ عصرٍ يدَّعي * أنْ يَحْسُبَ الهِنْديَّ فيهم باقلُ

وقولهِ حُبَيّبتا قلبي فؤادي هيَا جمْلُ

وقولهِ مقَالي لِلأُحَيمِقِ يا حَليمُ

وقولهِ ونامَ الخُوَيْدِمُ عَنْ لَيلِنا

وقولهِ أَفي كلِّ يومٍ تحتَ ضِبْني شُوَيْعِرٌ

وغيرِ ذَلكَ ممَّا هو موجود في ديوانه * ولا مَلامةَ عليه إنَّما هِيَ عادةٌ صارَت كالطَبْعِ * فما حَسُنَ بها مأْلوفُ الرَبْعِ * ولكنَّها تُغتفرُ مع المَحاسِن * والشامُ قد يَظهرُ على المَراسِن * وهذا البيتُ الَّذي أوَّلُه

أُذمُّ إلى هذا الزمانِ أُهَيلَهُ

إنَّما قالهُ في عليّ بنِ محمَّدِ بنِ سيَّارِ بنِ مُكرَم بإنطاكيَة قبلَ أنْ يمدحَ سيفَ الدَوْلة عليَّ بنَ عبدِ اللهِ بنِ حمدان * والشعراءُ مُطلَقٌ لهم ذلك

لأنَّ الآيةَ شهدت عليهم بالتخرُّصِ وقولِ الأباطيل * أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ في كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ * وأهلٌ كلمةٌ أصلُ وضعِها للجماعةِ فيقالُ ارتحل أهلُ الدار فيعلم السامعُ أنَّ المتكلم لا يقصدُ واحداً بما قال الاَّ أنَّ هذهِ الكلمةَ قد استُعمِلَت للآحادِ فقيل فُلانٌ أهلُ الخيرِ وأهلُ الإحسانِ قال حاتمٌ الطائيّ

ظلَّتْ تَلُومُ على بكرٍ سَمحتُ بهِ * إنَّ الرزيئةَ في الدُّنيا ابنُ مسعودِ
غادَرَهُ القومُ بالمعزاءِ منجدلاً * وكانَ أهلَ الندى والحزمِ والجودِ

وكأنَّ هذه اللفظةَ أصلُها أن تكونَ لِلجمعِ ثمَّ نُقلتْ الى الواحد كما أنَّ صَديقاً وأميراً ونحوَهما إنَّما وُضِعنَ في الأصلِ للإفرادِ ثمَّ نُقلنَ الى الجمعِ على سبيل التشبيه * وكذلك قولُهم بَنُو فلانٍ أخٌ لنا * ويقال أهلٌ وأهلةٌ وأهلاتٌ في الجمعِ قال الشاعر

فهُمْ أهلاتٌ حولَ قيسِ بنِ عاصمٍ * إذا أدلَجوا باللَّيلِ يَدعُونَ كَوثَرا

وقال بعضُ النحويّينَ في تصغيرِ آلِ الرجُلِ يجوز أُوَيْلٌ وأُهَيْلٌ كأنَّهُ يذهبُ الى أنَّ الهاءَ في أهلٍ أُبدلَتْ منها همزةٌ فلمَّا اجتمعت الهمزتان جُعلت الثانيةُ ألفاً ومثلُ هذا لا يثبُت والأشبهُ أن يكونَ آلُ الرجُلِ مأخوذاً مِن آلَ يؤُولُ إذا رجَعَ كأنَّهم يرجعُونَ اليهِ أو يرجعُ اليهم * وأمَّا ما ذكرَهُ من حكايةِ القُطرُبُّليّ وابنِ أبي الأزهرِ فقد يجوزُ مثلُهُ * وما وَضَحَ أنَّ ذلكَ الرجُلَ حُبِسَ بالعِراقِ فأمَّا بالشام فحبسُهُ مشهورٌ * وحُدِّثتُ أنَّهُ كانَ إذا سُئِلَ عن حقيقةِ هذا اللقبِ قال هو من النبوَةِ أي المرتفعِ مِنَ الأرضِ * وكانَ قد طَمِعَ في شيءٍ قد طَمِعَ فيهِ مَنْ هوَ

دُونَهُ وَإِنَّما هِيَ مَقادِير * يُدِيرُها في العُلْوِ مُدِير * يَظفَرُ بها مَنْ وُفِّق * وَلاَ يُرَاعُ بِالمُجتهِد أَنْ يُخفِق * وقد دلَّتْ أشياءُ في دِيوانِهِ أَنَّهُ كانَ مُتأَلِّهاً * ومِثلَ غيرِهِ مِنَ الناسِ مُتَدَلِّهاً * فمِن ذَلكَ قولُهُ

ولا قابِلاً إلاَّ لِخالِقِهِ حكْما

وقولُهُ

ما أقدَرَ اللهَ أَنْ يُخزِي بَرِيَّتَهُ * ولا يُصدِّقَ قَوماً في الَّذي زَعَموا

وَإِذَا رُجِعَ الى الحَقائِقِ فنُطْقُ اللِسان * لاَ يُنبِئُ عَنِ اعتِقادِ الإِنسان * لأَنَّ العالَمَ مجبولٌ على الكَذِبِ والنفاق * ويَحتمِلُ أَنْ يُظهِرَ الرَجُلُ بِالقَوْلِ تَدَيُّنا * وإنَّما يجعَلُ ذَلكَ تزَيُّنا * يُرِيدُ أَنْ يَصِلَ بهِ الى ثَناء * أَوْ غرَضٍ مِن أغراضِ الخالِبَةِ أُمِّ الفَناء * ولَعَلَّهُ قد ذهَبَ جماعةٌ هُمْ في الظاهِرِ مُتَعبِّدُون * وفيما بطَنَ مُلحِدُون * وما يَلحقُني الشكُّ في أَنَّ دِعبِلَ بْنَ عليٍّ لم يكُنْ لهُ دِينٌ وكانَ يَتَظاهَرُ بالتشيُّعِ وإنَّما غرَضُهُ التكسُّب * وكَمْ أَثبتَ نَسَباً بتَنسُّب * ولا أرتابُ أَنَّ دِعبِلاً كانَ على رَأْيِ الحَكَمِيِّ وطَبقتِه والزَنْدَقةُ فيهِم فاشِيَة * ومِن دِيارِهِمْ ناشِيَة * وقَدِ اختُلِفَ في أَبي نُواسٍ ادُّعِيَ لهُ التأَلُّهُ وأَنَّهُ كان يَقضِي صَلَواتِ نَهارِهِ في لَيالِهِ * والصَحِيحُ أَنَّهُ كانَ على مَذهَبِ غيرِهِ مِنْ أَهلِ زمانِه * وذَلكَ أَنَّ العرَبَ جاءَها النبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم وَهِيَ تَرْغَبُ إِلى القَصِيد * وتَقصُرُ هِمَمُها عَنِ القَصِيد * فاتَّبَعَهُ منها مُتَّبِعُون * واللهُ أَعلَمُ بما يُوعُون * فلمَّا ضَرَبَ الإِسلامُ بِجِرانِه * واتَّسقَ مُلكُهُ على أَركانِه * مازَجَ العرَبُ غيرَهُمْ من الطَوائِف * وسَمِعوا كَلامَ الأَطِبَّاءِ وأَصحابِ الهَيئةِ وأَهلِ المَنطِقِ فمالَت منهم

طائفةٌ كثيرة * ولم يزل الإلحادُ في بني آدمَ على ممرّ الدهورِ حتّى إنّ أصحابَ السيَرِ يزعمونَ أنّ آدمَ صلى الله عليه وسلم بُعثَ الى أولادِهِ فأنذرَهم بالآخرةِ وخوّفهم من العذابِ فكذّبوهُ وردّوا قولَهُ ثمّ على ذلك المنهاج إلى اليوم * وبعضُ العلماء يقولُ إنّ ساداتِ قُرَيشٍ كانوا زنادقةً وما أجدرَهم بذلك وقالَ شاعرُهم يرثي قتلى بدرٍ وتُروَى لشدّادِ بنِ الأسودِ الليثيّ

أَلمّتْ بالتحيّةِ أمُّ بكرٍ * فحيّوا أمَّ بكرٍ بالسلامِ
وكائنْ بالطَّويّ طويّ بدرٍ * منَ الأحسابِ والقومِ الكرامِ
وكائنْ بالطويّ طويّ بدرٍ * منَ الشيزَى تُكلّلُ بالسَّنامِ
ألا يا أمَّ بكرٍ لا تُكرّي * عليَّ الكأسَ بعدَ اخي هشامِ
وبعدَ أخي أبيهِ وكان قَرْماً * منَ الأقوامِ شرّابَ المُدامِ
ألا منْ مبلغُ الرّحمنِ عنّي * بأنّي تاركٌ شهرَ الصيامِ
إذا ما الرأسُ زايلَ منكبيهِ * فقد شبعَ الأنيسُ منَ الطعامِ
أيوعدُنا ابنُ كبشةَ أنْ سنحيا * وكيفَ حياةُ أصداءٍ وهامِ
أتتركُ أنْ تردَّ الموتَ عنّي * وتحييني اذا بليتْ عظامي

ولا يدّعي مثلَ هذه الدعاوي إلاّ من يستبسل وراءها للحِمامِ * ولا يأسفُ لهُ عندَ إلمامٍ * وحُدّثتُ أنّ أبا الطيّبِ أيّامَ كانَ إقطاعهُ بصفّ رُؤيَ يُصلّي بموضعٍ بمعرّةِ النعمانِ يُقالُ لهُ كنيسةُ الأعرابِ وأنّهُ صلّى ركعتينِ وذلكَ في وقتِ العصرِ فيجوزُ أنْ يكونَ رأى أنّهُ على سفرٍ وأنّ القصرَ لهُ جائزٌ * وحدّثني الثقةُ عنهُ حديثاً معناهُ أنّهُ لمّا حصلَ في بني عديّ

وحاوَلَ أَنْ يَخرُجَ فيهِمْ قالوا لهُ وقد تبيَّنوا دَعواهُ هاهُنا ناقةٌ صَعْبَةٌ فَإِنْ قَدَرتَ على رُكوبِها أَقرَرنا أَنَّكَ مرسَلٌ * وَأَنَّهُ مضى الى تلكَ الناقةِ وهيَ رَائحةٌ في الإِبلِ فتحيَّلَ حتَّى وَثَبَ على ظَهرِها فنفرَتْ ساعةً وتنكَّرَتْ بُرْهةً ثُمَّ سكَنَ نِفارُها ومَشَتْ مَشْيَ المُسْمِحة * وَأَنَّهُ وَرَدَ بها الحِلَّةَ وهو راكِبٌ عليها فعَجبوا لهُ كلَّ العَجَب وصارَ ذَلكَ من دَلائلهِ عندَهم * وحُدِّثتُ أَيضاً أَنَّهُ كان في دِيوان اللاذِقيَّةِ وأَنَّ بعضَ الكُتَّاب انقلَبَت على يَدِهِ سِكِّينُ الأقلامِ فجرَحَتهُ جُرْحاً مُفْرِطاً وأَنَّ أَبا الطيِّب تَفَلَ عليها مِنْ رِيقِهِ وشَدَّ عليها غيرَ مُنتَظِرٍ لِوَقتِهِ وقال لِلمجرُوح لا تحلَّها في يَوْمِكَ وعدَّ لهُ أَيَّاماً ولياليَ * وأَنَّ ذَلكَ الكاتب قَبِلَ منهُ فبرئَ الجُرحُ فصاروا يَعتَقِدونَ في أَبي الطيِّبِ أَعظَمَ اعتقادٍ ويقولون هو كمُحيي الأَموات * وحَدَّثَ رَجُلٌ كانَ أَبو الطيِّب قَدِ استَخفَى عندَهُ في اللاذقيَّة أَوْ في غيرِها مِنَ السواحل أَنَّهُ أَرادَ الانتقالَ من موضعٍ الى مَوْضعٍ فخرَج بِالليلِ ومعَهُ ذَلكَ الرَجُلُ ولَقِيَهُما كلبٌ أَلحَّ عليهما في النُباحِ ثُمَّ انصرَف فقال أَبو الطيِّب لذلكَ الرَجُلِ وهو عائدٌ إِنَّكَ ستَجِد ذَلكَ الكلبَ قد مات فلمَّا عادَ الرَجُلُ أَلفَى الأَمرَ على ما ذَكَرَ * ولا يمتنِعُ أَنْ يكونَ أَعدَّ لهُ شَيئاً مِنَ المطاعم مسموماً وأَلقاهُ لهُ وهو يُخفي عن صاحبِهِ ما فعَلَ * والخَرْبَقُ سمُّ الكلابِ * وأَمَّا القُطْرُبُّلِيُّ وابنُ أَبي الأَزهَرِ فمن الزوِلِ اجتماعُهما على تأليفِ كتابٍ وقلَّ ما يُعرَف مِثلُ ذَلكَ * ونحوٌ منهُ قِصَّةُ الخالديَّيْنِ اللَّذَيْنِ كانا في المَوْصِلِ وهُما شاعِرانِ وقد كانا عندَ سيفِ الدولةِ وانصرَفا على حَدِّ مُغاضَبةٍ ولهما دِيوانٌ يُنسَبُ اليهما لا يَنفرِدُ فيهِ أَحَدُهُما بشيءٍ دُونَ الآخرِ

الا في أشياءَ قليلةٍ وهذا متعذِّرٌ في وَلَدِ آدمَ إذْ كانت الجِبلَّةُ على الخلافِ وَقِلَّةِ المُوافقةِ * فأمَّا أنْ يعملَ الرجلُ شيئاً من كتابٍ ثم يتمّهُ الآخرُ فهوَ أسوغُ في المعقولِ منْ أنْ يجتمعَ عليه الرجلانِ * والبَغداديّونَ يحكُونَ انَّ أبا سَعيدٍ السيّرافيَّ عَمِلَ منْ كتابهِ المعروفِ بالمُقنعِ أو الإقناعِ إلى بابِ التّصغيرِ ثُمَّ تُوُفّيَ وأتمَّهُ بعدَه ولدُه أبو مُحمَّدٍ * وقدْ يجوزُ مثلُ هذا وليسَ عندَهُم فيه رَيبٌ * وحكَى لي الثُقَةُ أنَّ أبا عَليٍّ الفارسيَّ كانَ يذكرُ أنَّ أبا بكرِ ابنِ السَّرَّاجِ عَمِلَ منَ المُوجزِ النِّصفَ الاولَ لرَجلٍ بزَّازٍ ثُمَّ تقدّمَ إلى أبي عَليٍّ بإتمامه * وهذا لا يُقالُ إنَّهُ من إنْشاءِ أبي عَليٍّ لأنَّ المَوضوعَ منَ المُوجزِ وهُوَ منقولٌ من كلامِ ابنِ السرَّاجِ في الأُصولِ وفي الجُملِ فكأنَّ أبا عليٍ جاءَ به على سبيلِ النَّسخِ لا أنَّه ابتدَعَ شيئاً منْ عندِهِ * والذينَ رَوَوْا ديوانَ أبي الطيِّبِ يحكُونَ عنه أنَّهُ وُلِدَ سنةَ ثلاثمائةٍ وثَلاثٍ * وكان طلُوعُه إلى الشأمِ سنةَ إحدَى وعشرينَ فأقامَ فيه بُرْهَةً ثُمَّ عادَ إلى العراقِ ولم تَطُلْ مدَّتُهُ هناكَ * والدَّليلُ علَى صحَّةِ هذا الخبرِ أنَّ مدائحَهُ في صباهُ إنَّما هِيَ في أهلِ الشامِ إلاَّ قولَه

كُفِي أَرَانِي وَيْكَ لَوْمَكَ أَلْوَمَا

وأمَّا شَكيَّتُهُ أهلَ الزَّمانِ إليهِ فإنَّهُ سلَكَ في ذلكَ منهاجَ المُتقدّمينَ * وقدْ كَثُرَ المقالُ في ذمِّ الدَّهرِ حتى جاءَ في الحديثِ لاَ تسبُّوا الدَّهرَ فإنَّ اللهَ هو الدَّهرُ وقدْ عُرِفَ معنَى هذَا الكلامِ وأنَّ باطنَهُ ليس كظاهره إذ كانَ الأنبياءُ عليهِمُ الصلاةُ والسلامُ لم يذهبْ أحدٌ منهُم إلى أنَّ الدَّهرَ هوَ الخالقُ ولاَ المعبودُ * وَقدْ جاءَ في الكتابِ الكريمِ وما يُهلِكُنَا إلاَّ الدَّهرُ * وقولُ بعضِ الناسِ الزمانُ حركَةُ الفَلَكِ لفظٌ لاَ حقيقةَ لَهُ * وفي كتابِ سيبَوَيهِ ما يَدُلُّ على

أَنَّ الزمانَ عندَهُ مضيُّ الليلِ والنهارِ * وقدْ تُلُقِّيَ عليهِ في هذهِ العبارةِ * وقد حدَّدْتُهُ حدًّا ما أجدرَهُ أنْ يكونَ قد سُبِقَ إليهِ إلَّا أنِّي لم أسْمَعْهُ وهو أنْ يُقالَ الزَّمانُ شيءٌ أقلُّ جزءٍ منه يَشْتَمِلُ على جميعِ المُدرَكاتِ * وهو في ذلك ضِدُّ المكانِ لأنَّ أقلَّ جزءٍ منه لا يُمكنُ أنْ يَشْتَمِلَ على شيءٍ كما تَشْتَمِلُ عليهِ الظروفُ فاما الكونُ فلا بدَّ مِنْ تَشَبُّثِهِ بما قلَّ وكَثُرَ * والذين قالوا وما يُهْلِكُنا إلَّا الدهرُ وغيرَ ذلكَ مِنَ المقالِ مثلَ البيتِ المنسوبِ إلى الاخطلِ وذكرَهُ حبيبُ بنُ أوسٍ لِشَمْعَلَةَ التغلبيِّ وَهُو

فإنَّ أميرَ المؤمنينَ وفعلَهُ * لَكالدَّهرِ لا عارٌ بما فعلَ الدهرُ

وَقولِ الآخرِ

الدَّهْرُ لاءَمَ بينَ أُلْفَتِنا * وكذاكَ فرَّقَ بيننا الدَّهرُ

وقولِ أبي صخرٍ

عَجِبْتُ لسَعْيِ الدَّهرِ بيْني وبيْنَها * فلمَّا انقضَى ما بيْنَنا سكَنَ الدَّهْرُ

لم يَدَّعِ أنَّ أحدًا منهم كانَ يُقرِّبُ للأفلاكِ القرابينَ ولا يزعُمُ أنَّها تَعقِلُ وإنَّما ذلكَ شيءٌ يَتوارثُهُ الأُمَمُ في زمانٍ بعدَ زمانٍ وكانَ في عبدِ القيسِ شاعرٌ يُقالُ لهُ شاتمُ الدَّهرِ وهُو القائلُ

ولمَّا رأيتُ الدَّهرَ وعْرًا سبيلُهُ * وأبْدى لنا وجهًا أزبَّ مُجدَّعا

وَجبهةَ قِرْدٍ كالشِّراكِ ضئيلةً * وأنفًا ولوَّى بالعثانينَ أخدعا

ذكرْتُ الكرامَ الذاهبينَ أولي النَّدى * وقلتُ لعمرٍو والحُسامِ ألا ادعا

وأمَّا غيظُهُ على الزَّنادقةِ والمُلحِدينَ فأجرَهُ اللهُ عليهِ كما أجرَهُ على الظَّمأ في طريقِ مكَّةَ واصطلاءِ الشمسِ بعرفةَ ومبيتِهِ بالمزدلفةِ * ولا ريبَ أنَّهُ ابتهَلَ

إلى اللهِ سبحانهُ في الأيام المعدُوداتِ والمعلومات أنْ يُثبّتَ هضابَ الإسلامِ * ويُقيمَ لمنِ اتّبعهُ النيّرَ منَ الأعلام * ولكنَّ الزّندقةَ داءٌ قديم * طالمَا حلِمَ بها الأديم * وقد رأى بعضُ الفقهاءِ أنَّ الرجلَ اذا ظهرتْ زندقتُه * ثُمَّ تابَ فزعاً من القتلِ لم تُقبلْ توبتُهُ * وليس كذلك غيرُهم منَ الكفّارِ لأنَّ المرْتدَّ اذا رجعَ قُبلَ منهُ الرُّجوعُ * ولا ملّةَ إلاّ ولَها قومٌ ملحدُون* يرُونَ أصحابَ شرْعِهم أنّهم موالفون * وهمُ فيما نظنُّ مُخالفون * ولا بُدّ منِ أنْ ينهتكَ مخادِعٌ * وتبْدُو منَ السرِّ جنادِعُ * وقدْ كانت ملوكُ فارسَ تقتلُ على الزندقةِ * والزّنادقةَ همُ الذين يُسمّوْنَ الدهريّةَ * لاَ يقولون بنبُوّةٍ ولا كتابٍ * وبشّارٌ إنّما أخذَ ذلكَ عنْ غيرِه وقد رُوِي إنّهُ وُجدَ في كُتُبِه رُقعهٌ مكتوبٌ فيها إنّي أردتُ أنْ أهجُوَ فلانَ بنَ فُلانٍ الهاشميَّ فصفحتُ عنْهُ لقرابتِه من رسولِ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم * وزعموا أنّهُ كانَ يُشارُّ سيبوَيهِ وانّهُ حضرَ يوماً حلْقةَ يُونُسَ بنِ حبيبٍ فقال هلْ ههُنا منْ يرْفعُ خبرًا فقالوا لا فأنشدَهمُ

بَني أُميّةَ هبُّوا من رُقادِكُمُ * إنَّ الخليفةَ يعقوبُ بْنُ داودِ

ليس الخليفةُ بالموجودِ فالتمسوا * خليفةَ اللهِ بيْنَ الناي والعودِ

وكان في الحلْقةِ سيبوَيه فيدّعي بعضُ الناسِ أنهُ وَشيَ به*وسيبوَيهِ في ما أحسبُ كانَ أجلَّ موْضعاً منْ أنْ يدخُلَ في هذِه الدّنيّات * بلْ يعْمدُ لأُمورٍ سنيّات * وحُكيَ عنهُ أنهُ عاب عليهِ قولَهُ

عَلى الغزَلاَ مِنّي السلامُ فطالَ ما * لهوْتُ بها في ظلّ مخْضرَةٍ زُهْرِ

فقال سيبوَيهِ لم تَستعملِ العربُ الغزَلاَ * فقالَ بشارٌ هذَا مثلُ قولِهم البشكَى والجمزَا ونحوِ ذلك * وجآ بشارٌ في شعرِه بالنينانِ جمْعُ نُونٍ منِ السمكِ *

وحاوَلَ أَنْ يَخرُجَ فيهِمْ قالوا لهُ وقد تبيَّنوا دَعواهُ هاهُنا ناقةٌ صَعْبَةٌ فإِنْ قدَرتَ على رُكوبِها أَقْرَرنا أَنَّكَ مُرسَلٌ * وأَنَّهُ مضَى الى تلكَ الناقةِ وهيَ رائحةٌ في الإِبلِ فتحيَّل حتَّى وَثَبَ على ظَهرِها فنفَرَتْ ساعةً وتنكَّرَتْ بُرْهةً ثُمَّ سكَنَ نِفارُها ومشَت مَشْيَ المُسْمِحة * وأَنَّهُ وَرَدَ بِها الحِلَّةَ وهو راكِبٌ عليها فعجبوا لهُ كلَّ العجَب وصارَ ذَلكَ مِن دَلائلِهِ عِندَهم *

وحُدِّثتُ أَيضاً أَنَّهُ كانَ في دِيوان اللاذِقيَّةِ وأَنَّ بعضَ الكُتَّاب انقلَبَت على يَدِهِ سِكِّينُ الأقلامِ فجَرَحَتهُ جُرْحاً مُفْرِطاً وأَنَّ أَبا الطيِّب تفَل عليها مِنْ رِيقِهِ وشَدَّ عليها غيرَ منتظرٍ لِوَقتهِ وقال لِلمجرُوح لا تحُلَّها في يَوْمِك وعَدَّ لهُ أَيَّاماً وليالي * وأَنَّ ذَلكَ الكاتبَ قَبِلَ منهُ فبَرِئَ الجُرحُ فصاروا يَعتقِدونَ في أَبي الطيِّبِ أَعظمَ اعتقادٍ ويقولون هو كمُحيي الأَموات *

وحَدَّث رَجُلٌ كانَ أَبُو الطيِّب قدِ استخفَى عندَهُ في اللاذِقيَّة أَوْ في غيرِها مِنَ السواحل أَنَّهُ أَرادَ الانتقالَ مِن مَوضعٍ الى مَوْضعٍ فخرَج بِالليلِ ومعَهُ ذَلكَ الرَجُلُ ولَقِيَهُما كلبٌ أَلحَّ عليهما في النُباحِ ثُمَّ انصرَف فقال أَبُو الطيِّبِ لذلكَ الرَجُلِ وهو عائدٌ إِنَّكَ ستَجِد ذَلكَ الكـ[illegible] مات فلمَّا عادَ الرَجُلُ أَلفَى الأَمرَ على ما ذَكَرَ * ولا يمتنِعُ أَنْ يَكـ[illegible] لهُ شَيئاً مِن المطاعم مسموماً وأَلقاهُ [illegible] عن صاحبِهِ ما [illegible] الخرْبَقُ سمُّ الكلاب * وأَمَّا القُـ[illegible] الأَزهر فـ[illegible] اجتماعهما على تأْليفِ كتابٍ وقلَّ ما [illegible] ونحوٌ منه [illegible] بيْنِ اللَّذَينِ كانا في الموصِلِ وهما شـ[illegible] سيف [illegible] فا على حَدِّ مُغاضَبَةٍ ولهما دِيوانٌ يُنسـ[illegible] فيهِ أَحـ[illegible] ون الآ[illegible]

الا في أشياء قليلة وهذا متعذر في ولد آدم إذ كانت الجبلة على الخلاف
وقلة الموافقة * فأما أن يعمل الرجل شيئاً من كتاب ثم يتمه الآخر فهو
أسوغ في المعقول من أن يجتمع عليه الرجلان * والبغداديون يحكون أن أبا
سعيد السيرافي عمل من كتابه المعروف بالمقنع أو الإقناع إلى باب
التصغير ثم توفي وأتمه بعده ولده أبو محمد * وقد يجوز مثل هذا وليس
عندهم فيه ريب * وحكى لي الثقة أن أبا علي الفارسي كان يذكر أن أبا بكر
ابن السراج عمل من الموجز النصف الاول لرجل بزاز ثم تقدم إلى أبي علي
بإتمامه * وهذا لا يقال إنه من إنشاء أبي علي لأن الموضوع من الموجز وهو
منقول من كلام ابن السراج في الأصول وفي الجمل فكأن أبا علي جاء به على
سبيل النسخ لا أنه ابتدع شيئاً من عنده * والذين رووا ديوان أبي الطيب
يحكون عنه أنه ولد سنة ثلاثمائة وثلاث * وكان طلوعه إلى الشام سنة إحدى
وعشرين فأقام فيه برهة ثم عاد إلى العراق ولم تطل مدته هناك * والدليل
على صحة هذا الخبر أن مدائحه في صباه إنما هي في أهل الشام إلا قوله

كفي أراني ويك لومك ألوما

...شكيته أهل الزمان إليه فإنه سلك في ذلك منهاج المتقدمين * وقد
...المت... الدهر حتى جاء في الحديث لا تسبوا الدهر فإن الله هو
... هذا الكلام وأن باطنه ليس كظاهره إذ كان الأنبياء
...هب أحد منهم إلى أن الدهر هو الخالق ولا
...لكريم وما يهلكنا إلا الدهر * وقول بعض
...حقيقة له * وفي كتاب سيبويه ما يدل على

أَنَّ الزمانَ عندَه مضيُّ الليلِ والنهارِ * وقدْ تُعُلِّقَ عليهِ في هذهِ العبارَةِ * وقد حدَدْتُهُ حدًّا ما أَجدرَهُ أَنْ يكونَ قد سُبِقَ إِليه إِلاَّ أَني لم أَسْمَعْهُ وهو أَنْ يُقالَ الزَّمانُ شيءٌ أَقلُّ جزء منه يَشتَمِل على جميعِ المُدرَكاتِ * وهو في ذَلك ضدُّ المكانِ لأَنَّ أَقلَّ جزءٍ منه لا يُمكنُ أَنْ يَشتَمِلَ على شيءٍ كما تَشتَمِلُ عليهِ الظروفُ فاما الكونُ فلاَ بدَّ مِنْ تَشبُّثِه بما قلَّ وكَثُرَ * والذين قالوا وما يُهلِكنا إِلاَّ الدهْرُ وغيرَ ذلكَ مِنَ المقالِ مثل البيتِ المنسوبِ إِلى الاخطَلِ وذَكرَهُ حَبيبُ بنُ أَوْسٍ لِشَمْعَلَةَ التغلبيِّ وَهُو

فإِنَّ أَميرَ المؤمنينَ وفعلَهُ * لَكالدَّهرِ لا عارٌ بما فعلَ الدّهرُ

وَقولِ الآخرِ

الدَّهرُ لأَمَ بَينِ أُلْفَتِنا * وكذاكَ فرَّقَ بيننا الدَّهرُ

وقولِ أَبي صخرٍ

عَجِبْتُ لسعْيِ الدَّهرِ بيني وبَينَها * فلَمَّا انقضَى ما بَينَنا سكَنَ الدَّهْرُ

لم يدَّعِ أَنَّ أَحدًا منهم كانَ يقرِّبُ للأَفلاكِ القَرابينَ ولاَ يزعُمُ أَنها تَعقِلُ وإِنَّما ذَلكَ شيءٌ يَتوارثُهُ الأُمَمُ في زمانٍ بَعدَ زمانٍ وكانَ في عبدِ القيسِ شاعرٌ يُقالُ لَهُ شاتِمُ الدَّهرِ وهُو القائلُ

وَلمَّا رَأَيتُ الدَّهرَ وَعْرًا سَبيلُهُ * وأَبْدَى لَنَا وَجهًا أَزبَّ مُجدَّعا

وَجبهَةَ قِرْدٍ كالشِّراكِ ضَئيلةً * وأَنفًا ولَوَّى بالعَثانينَ أَخدَعا

ذَكَرْتُ الكِرامَ الذَّاهبينَ أُولِي النَّدَى * وقلتُ لعمْرٍو والحُسامِ أَلا ادعا

وأَمَّا غيظُهُ على الزَّنادِقةِ والمُلحِدينَ فأَجرَهُ اللهُ عَلَيْهِ كما أَجرَهُ على الظَّماَ في طَريقِ مكَّةَ واصطلاءِ الشَّمسِ بِعرفةَ ومَبيتِه بالمُزْدَلفةِ * ولاَ رَيبَ أَنَّهُ ابتَهلَ

إلى الله سبحانهُ في الأيام المعدودات والمعلومات أن يُثبِّتَ هضابَ الإسلام * ويُقيمَ لمن اتَّبعهُ النيِّرَ من الأعلام * ولكنَّ الزَّندقة داءٌ قديم * طالما حلم بها الأديم * وقد رأى بعضُ الفقهاء أنَّ الرجلَ اذا ظهرت زندقتهُ * ثمَّ تاب فزعاً من القتلِ لم تُقبَلْ توبتهُ * وليس كذلك غيرُهم من الكفَّار لأنَّ المُرتدّ اذا رجعَ قُبل منهُ الرُّجوعُ * ولا ملَّةَ إلَّا ولها قومٌ ملحدُون* يرُونَ أَصحاب شرعهم أنَّهم موالفون * وهمُ فيما نظنُّ مخالفون * ولا بُدَّ من أن ينهتكَ مخادِع * وتبدُو من السرِّ جنادِع * وقد كانت ملوكُ فارسَ تقتلُ على الزندقةِ * والزَّنادقة همُ الذين يُسمَّوْنَ الدهريَّة * لا يقولون بنبُوَّةٍ ولا كتابٍ * وبشَّارٌ إنَّما أخذ ذلكَ عنْ غيره وقد رُوي إنَّهُ وُجدَ في كُتُبه رُقعةٌ مكتوبٌ فيها إنِّي أَردتُ أن أهجُوَ فلانَ بنَ فلانٍ الهاشميَّ فصفحتُ عنْهُ لقرابتهِ من رسول الله صلى الله عليه وسلم * وزعموا أنَّهُ كانَ بشارٌ سيبويهِ وانَّهُ حضرَ يوماً حلْقةَ يونُسَ بنِ حبيبٍ فقال هلْ ههُنا منْ يرفعُ خبرًا فقالوا لا فأنشدَهم

بني أُميَّةَ هبُّوا من رُقادِكُمُ * إنَّ الخليفةَ يعقوبُ بنُ داودِ
ليس الخليفةُ بالموجودِ فالتمسوا * خليفةَ اللهِ بينَ النايِ والعودِ

وكان في الحلْقةِ سيبويهِ فيدَّعي بعضُ الناسِ أنهُ وشيَ به *وسيبويهِ في ما أحسبُ كانَ أجلَّ موضعاً منْ أنْ يدخُلَ في هذهِ الدَّنيَّات * بلْ يعمدُ لأمورٍ سنيَّات * وحُكيَ عنهُ أنهُ عاب عليهِ قولَهُ

عَلى الغزَلَا منِّي السلامُ فطالَ ما * لهوْتُ بها في ظلِّ مخضَرةٍ زُهرِ

فقال سيبويهِ لم تستعملِ العربُ الغزَلَا * فقالَ بشارٌ هذا مثلُ قولِهم البَشكَى والجمزَا ونحوِ ذلك * وجاَ بشارٌ في شعرِه بالنينانِ جمعُ نُونٍ من السمكِ *

فيُقالُ إنهُ انكرهُ عليه * وهذه أخبارٌ لا تثبُتُ * وفيما رُوي في كتابِ سيبوَيهِ أنَّ النُّونَ تُجمَعُ على نينات * فهذا نقضٌ للخبرِ * وذكرَ من نقلَ أخبارَ بشّارٍ انهُ توعّدَ سيبوَيهِ بالهجاءِ وأنهُ تلافاهُ واستشهدَ بشعرهِ * ويجوز أنْ يكونَ استشهادُه به على نحوِ ما يذكُره المتذاكِرون في المجالسِ ومجامعِ القوْمِ وأصحابُ بشّارٍ يرْوُون لهُ هذا البيتَ

وما كلُّ ذي لُبٍّ بمؤْتِيكَ نُصحَهُ * وما كلُّ مؤتٍ نُصحَهُ بلبيبِ

وفي كتابِ سيبوَيهِ نصفُ هذا البيتِ الآخرِ وهوَ في بابِ الإدْغامِ لم يُسمِّ قائلَهُ * وزعمَ غيرُهُ انهُ لأبي الأسودِ الدُّؤَليِّ * ويقالُ إنَّ يعقوبَ بنَ داودَ وزيرَ المهديِّ تحاملَ على بشّارٍ حتى قُتلَ * واختُلفَ في سنِّهِ فقيلَ كانَ يومئذٍ ابنَ ثمانينَ سنةً * وقيلَ اكثرَ * واللهُ العالمُ بحقيقةِ الأمرِ * ولا أحكُمُ عليهِ بأنهُ منْ أهلِ النارِ وإنَّما ذكرْتُ ما ذكرْتُ فيما تقدَّمَ لأنّي عقدْتهُ بمشيئةِ اللهِ وإنَّ اللهَ لحليمٌ وهّابٌ * وذكرَ صاحبُ كتابِ الورقةِ جماعةً من الشُّعراءِ في طبقةِ أبي نُواسٍ ومنْ قبْلَهُ ووصفَهم بالزندقةِ وسرائرُ الناسِ مُغيَّبةٌ وإنَّما يعلَمُ بها علّامُ الغيوبِ * وكانت تلكَ الحالُ تُكتَمُ في ذلكَ الزمانِ خوفاً منَ السيفِ فالآنَ ظهرَ نجيثُ القوْمِ * وانقاضتِ التريكةُ عنْ أخبثِ رألٍ * وكانَ في ذلكَ العصرِ رجلٌ لهُ أصدقاءُ منَ الشيعةِ وصديقٌ زنديقٌ فدعا المتشيّعةَ في بعضِ الأيامِ فجاءَ الزنديقُ فقرعَ حلقةَ البابِ وقال

أصبحْتُ جمَّ بلابلِ الصدْرِ * متقسّمَ الأشجانِ والفكرِ

فقال صاحبُ المنزلِ ويحكَ مِمَّ ذا فتركَهُ الزنديقُ ومضى * فلقيَهُ صاحبُ المأدبةِ فقال لهُ ياهذا أردتَ أنْ توقعَني فيما أكرهُ خوفاً من أنْ يظنَّ

أَصْدِقَاؤُهُ أَنَّهُ زِنْدِيقٌ فَقَال ادعهُمْ ثانيةً وأَعْلِمْنِي بِمكَانِهِمْ فلمَّا حصَلُوا عِنْدَهُ جآءَ الزِنْدِيقُ فقال

أَصبحتُ جمَّ بلابلِ الصدرِ مُتَقَسِّمَ الاشجانِ وَالفِكْرِ

فقالوا وَيحكَ ممَّاذا فقال مِمَّا جناهُ على أَبي الحسَنِ عُمَرٌ وَصاحِبُهُ أَبُو بكرٍ وانصرَفَ ففرِحَ الشِّيعةُ بذلِك وَلقِيهُ صاحبُ المنزل فقال جُزِيتَ عني خيراً فقد خلَعتني منَ الشُبهَةِ وكانَ يجلِسُ في مجلِس البَصرة جَماعةٌ منْ أَهلِ العلم وكانَ فيهم رَجلٌ زِنديقٌ له سَيفانِ قد سمى أَحدَهما الخيرَ وَالاخرَ الفلحَ فاذا سلَّم عليهِ رَجلٌ مِنَ المسلمينَ قال صبحكَ الخيرُ ومساكَ الفلحُ ثُمَّ يلتَفِتُ لِأَصحابِهِ الذينَ قد عرَفوا مكانَ السيفَينِ فيقول

سَيفانِ كالبَرقِ اذا البرقُ لَمحْ

فَامَّا قَولُ الحَكَميّ تيهُ مغنٍ وَظَرْفُ زِنديقٍ فقد عِيبَ عليهِ هذا المَعنى وَقيلَ إِنَّهُ أَرادَ رَجلاً مِن بَني الحارثِ كان مَعروفاً بالزَندقَةِ والظَرْفِ وكانَ لَهُ موضعٌ مِنَ السُلطانِ وَقولُهُ في صَدر هذا البيتِ

نديمُ قَيْلٍ مُحَدِّثُهُ مَلِكٍ

فهو نحوٌ منْ قولِ امرِئِ القَيسِ

فاليومَ أَشرَبْ غيرَ مُستَحقِبْ إِثماً مِنَ اللهِ ولاَ وَاغلْ

وليس يَنبغِي أَنْ يُحملَ على قولِ مَن وقف على الهاءِ كما قال يا بَيذَرَه يا بَيذَرَه يا بَيذَرَه وكما قال الاخرُ

يا رُبَّ أَبَّازٍ منَ العُصمِ صدَعْ تَقبَّضَ الظِلُّ عليهِ فاجتَمعْ

لَمَّا رَأَى الاَّ دَعَةً وَلا شِبَعْ　　مالَ إِلى أَرْطَاةِ حِقفٍ فاضطجَعْ

لانَّ هذَا أَحسنَ فيهِ اظهارُ الهاَءِ إِذ كانَ الكلامُ تاماً يحسن عليهِ السكُوتُ وقولهُ مُحدِثَهْ مَلكٍ مُضافٌ ومضاف إِليهِ فلاَ يحسُنُ فيهِ مثلُ ذلك اذا كان الاسمانِ كاسمٍ واحدٍ وأَمَّا صالحُ بنُ عبدِ القدُّوسِ فقد شهِر بالزَندقةِ ولم يُقتلْ وللهِ العلمُ حتى ظهرتْ عنهُ مقالاتٌ توجِبُ ذلك ويُروى لِابيهِ عبدِ القدُّوسِ

كم أَهلكَتْ مكّةُ من زَائرٍ　　خرَّبَهَا اللهُ وَابياتَهَا

لاَ رَزَقَ الرَّحمنُ أَحيائَهَا　　وأَشوتِ الرحمةُ أَمواتَهَا

وَقد كانَ لصالحٍ وَلدٌ حُبِس على الزَندقَةِ حَبساً طَويلاً وهو الذي يُروَى لهُ

خرَجنا مِن الدُّنيا ونحنُ مِن أَهلِها　　فما نحنُ بالاموَاتِ فيها ولاَ الأَحيا

إِذَا ما أَتانَا زَائِرٌ مُتفقِّدٌ　　فرحنا وقُلنَا جاءَ هذَا منَ الدُّنيا

وَأَمَّا رُجوعهُ عَن الزَندقةِ لمَّا أَحسَّ بالقَتلِ فإِنَّما ذلكَ على سَبيلِ الختْلِ فصلَّى اللهُ على محمَّدٍ فقد رُوِي عنهُ أَنَّهُ قال بُعِثتُ بالسَّيفِ والخيرُ مَع السيفِ والخيرُ في السيفِ والخيرُ بالسيفِ وفي حديثٍ آخرَ لا تزالُ أُمتي بخيرٍ ما حمَلَتِ السيوفَ وَالسيفُ حمَلَ صالحًا على التصدِيق * وَردَّهُ عن رَاي الزِنديق * وَتلكَ آيةٌ من آياتِ اللهِ اذا هي ظهرَتْ للنفسِ الكافرةِ فقد فنِيَ لاَ ريبَ زَمانُها * ولا يُقبلُ هناكَ ايمانُها * لم تكُنْ آمنَتْ مِنْ قبل * وَللسفهِ طلٌّ وَوَبل * وأَمَّا القصَّار * فجهلٌ يجمعُ ويصار * ولو بيع حقًّا مقروبا * لكفي سمًّا مشرُوبا * ولكنَّ الغرائزَ اعاد * وَلا بدَّ مِنْ لقاءِ الميعاد * وأَمَّا

المَنسوبُ إلى الصناديق * فانه يحسبُ مِنَ الزنادِيق * وأحسبهُ الذي كان يُعرَفُ بالمَنصورِ ظهرَ سنةَ سبعينَ ومائتَيْنِ وأقامَ بُرهةً باليَمَنِ وفي زمانهِ كانت القِيانُ تَلعَبُ بالدُّفِ وتقول

خُذِي الدُفَّ يا هذِهِ وَالعَبي　　وبثّي فَضائلَ هذَا النَبي
تَولَّى نَبيٌّ بَني هاشِمٍ　　وقــامَ نَبيٌّ بَني يَعرُبِ
فما تَبتَغي السَّعْيَ عندَ الصَّفا　　ولا زَورَةَ القبرِ في يَثرِبِ
اذا القومُ صَلَّوا فلاَ تَنهَضي　　وإِنْ صوَّمُوا فكُلي واشرَبي
وَلا تحرِمي نفسكِ المُؤْمنينَ　　منْ أَقربينَ وَمِنْ أَجنَبي
فكَيْفَ حَلَلتِ لذاكَ الغريبِ　　وَصِرتِ مُحَرَّمَــةً لــلأَبِ
أَليسَ الغِراسُ لِمَنْ رَبَّهُ　　ورَوَّاهُ في عامِهِ المُجدِبِ
وما الخمرُ الأَكماءِ السَحا　　بِ طِلقٌ فقُدِّسْتَ مِنْ مَذهبِ

فعلَى مُعتَقِدِ هذه المَقالةِ بَهلَةُ المُبتَهلِينَ * وهذهِ الطبقةُ لعنَها اللهُ تستعبدُ الطغامَ باصنافٍ مُختَلفَةٍ فاذَا طمعت في دَعوى الرُبوبيَّة لم تَثبت في الدَّعْوَى * ولا عمَّا قُبِح رَعْوَى * وإِذَا عَلِمَتْ أَنَّ في الانسانِ تميُّزا * أَرتْهُ إلى ما يحسُن تحيُّزا * وَقد كان باليَمَن رَجلٌ يحتَجِبُ في حِصنٍ لهُ ويكونُ الواسطةُ بَينَهُ وبَينَ النــاسَ خادِماً لهُ أَسْوَدَ قد سماهُ جبريــلَ فقتلهُ الخادِمُ في بَعضِ الأيَّام وانصرَفَ فقالَ بَعضُ المُجَّانِ

تَبارَكَ اللهُ في علاهُ　　فرَّ مِنَ الفِسقِ جَبرَئيلُ
وَضلَّ مَنْ تزعُمونَ رَبًّا　　وهوَ على عَرشِهِ قتيلُ

وَيقال إِنهُ حمَلَهُ على ذلك ما كان يُكلِّفهُ مِنَ الفِسقِ واذَا طَمِعَ بعضُ

هؤلاء فانهُ لا يقتنعُ بالامامةِ ولا النبوَّةِ ولكنهُ يرتفعُ صعُدًا في الكذب * ويكونُ شربهُ من تحتِ العذب * أي الطُحلبِ • ولم تكنْ العربُ في الجاهليَّةِ تُقدِمُ على هذهِ العظائمِ * والامورِ غيرِ النظائم * بل كانت عقولُهم تجنحُ إلى رأيِ الحكماء * وما سلف من كُتُبُ القُدماء * إذ كان اكثرُ الفلاسفةِ لايقولونَ بنبيّ * وينظرُونَ إلى مَنْ زعمَ ذلك بعينِ الغبي * وكان ربيعةُ بنُ أميَّةَ بنِ خلفٍ الجمحيّ جرى له مع أبي بكرٍ الصدّيقِ رحمهُ الله خطْبٌ فلحقَ بالرُّومِ * ويُروى أنَّه قال

لَحقتُ بأرضِ الرُّومِ غيرَ مفكّرٍ * بترْكِ صلاةٍ مِن عشاءٍ ولا ظُهْرِ
فلا تتركُوني من صبوحِ مُدامةٍ * فما حرَّمَ اللهُ السُّلافَ مِنَ الْخَمرِ
اذا أمَرتْ تيمُ بنُ مرَّةَ فيكُمُ * فلاخيرَ في أرضِ الحجازِ ولامِصرِ
فإنْ يكُ إسلامي هو الحقُ والهُدَى * فإني قدْ خليتهُ لأبي بكرِ

وأفتنَ الناسُ في الضلالةِ حتى استجازوا دعوَى الربوبيَّةِ فكانَ ذلك تَنطُّساً في الكفرِ * وجمعاً للمعصيةِ في المزادِ الوفرِ * وإنَّما كانَ أهلُ الجاهليَّةِ يَدفعونَ النبوَّةَ ولا يجاوزونَ ذلك إلى سِواهُ * ولمَّا أجلَى عُمرُ بنُ الخطّابِ رحمةُ اللهِ عليهِ أهلَ الذمَّةِ عن جزيرةِ العرَبِ ، شقَّ ذلك على الجالينَ فيُقالُ إن رَجلاً مِن يهودِ خيبرَ يُعرفُ بِسُمَيرِ بنِ أدكنَ قال في ذلك

يَصولُ أبو حفصٍ علَينا بدِرَّةٍ * رُوَيدَكَ إنَّ المرْءَ يَطفو ويَرسبُ
كأنَّكَ لَمْ تتبعْ حمولةَ مأقِطٍ * لِتَشبعَ إنَّ الزادَ شيْءٌ مُحبَّبُ
فلوكانَ موسى صادِقاً ما ظهرتُمُ * علينا ولكنْ دولةٌ ثمَّ تَذهبُ
ونحنُ سبقناكُمْ إلى المَينِ فاعرِفوا * لنا رُتبةَ البادِي الذي هوأكذَبُ

مَشَيتُم على آثارنا في طَريقنا وبُغيَتُكُمْ في أَنْ تَسودُوا وتُرهَبوا

وما زال اليمنُ منذ كان مَعدِناً للمتكسبينَ للتديُّن * والمُحتالينَ على السُحتِ بالتزيُّن * وحدَّثني مَن سافرَ إلى تلكَ الناحيةِ أنَّ بهِ اليومَ جماعةً كُلُّهُم يزعُم أنَّه القائمُ المُنتظَرُ فلا يَعدَمُ جبايَهً من مال * يَصلُ بها الى خَسيسِ الآمال * وحُكيَ لي أنَّ لِلقَرامِطةِ بالأَحساء بَيتاً يَزعُمونَ أنَّ إمامهمْ يخرُجُ منهُ ويُقيمون على بابِ ذلك البَيتِ فرساً بِسَرجٍ ولجام * ويقولونَ لِلهَمَجِ والطَغام * هذا الفرَسُ لِركاب المَهديّ * يَركَبُهُ متى ظهر بحقٍّ بَديّ * وإنَّما غرَضُهُمْ بذلكَ خَدْعٌ وتَعليل * وتوَصُّلٌ إلى المملَكةِ وتَضليل * ومِنْ أعجَبِ ما سَمِعتُ أنَّ بعضَ رُؤَساءِ القَرامطةِ في الدَّهرِ القَديم * لَمَّا حضَرَتْهُ المنيَّةُ جمعَ أصحابَه وجعل يقول لهمْ لَمَّا أَحسَّ بالموتِ إنِّي قَد عزَمتُ على النُقلَة وقد كُنتُ بَعثتُ مُوسى وعيسَى ومُحمَّداً * ولا بُدَّ لي أَن أَبعثَ غيرَ هؤلاءِ * فعلَيهِ اللعنةُ لقد كفرَ أَعظمَ الكُفرِ في الساعةِ التي يجبُ أَنْ يُؤمِنَ فيها الكافرْ * ويَؤُوبَ الى آخرَتهِ المُسافر * وأَمَّا الوليدُ بنُ يَزيد * فكانَ عقلُه عقلَ وَليد * وقد بلغ سِنَّ الكَهلِ الجليد * ما أَغنَتْهُ نيةٌ سابِجَة * ولا نَفعتِ البُنابِجَة * وشُغِلَ عن الباطيَه * بجَريرة النَفْسِ الخاطيَه * دحاهُ إِلى سقَرَ داحٍ * فما يَغتَرِفُ بالاقداح * وقد رُويَتْ له اشعارٌ يَلحَقُ بِهِ منها العار * كَقَوله

أَدْنِيَا منّي خَلِيلي * عَبْدَلاً دُونَ الإزارِ

فلقَد أَيقنتُ أَنّي * غيرُ مَبعوثٍ لنارِ

واترُكا مَن يطلبُ الجنَّةَ يسعى في خَسارِ

سأَروضُ النَّاسَ حتى * يركبوا دِينَ الحمارِ

فالعجبُ لزمانٍ صيرَ مثلَه إماما * وأوردَهُ من المملكةِ جماما * ولعلَّ غيرَهُ ممن ملكَ يعتقدُ مثلَهُ او قريبا * ولكن يُسايرُ ويخافُ تثريبا * ومما يُروَى لهُ

انا الإمامُ الوليدُ مفتخرًا * أجرُّ بُردِي وأسمعُ الغزَلا
أسحبُ ذيلي إلى منازلِها * ولا أُبالي من لامَ او عذَلا
ما العيشُ إلاَّ سماعُ محسنةٍ * وقهوةٌ تتركُ الفتى ثملا
لا أرتجي الحورَ في الخلودِ وهل * يأمُلُ حورَ الجنانِ من عقَلا
اذا حبتْكَ الوصالَ غانيةٌ * فجازِها بذلِها كمَن وصَلا

ويقال إنَّه لما أُحيطَ به دخَل القصرَ وأغلَق بابَه وقال

دَعُوا لِيَ هنداً والربابَ وفرتَنَى * ومُسمعةً حسْبِي بذلك مالا
خذُوا ملْككم لاثبَّتَ اللهُ ملْككُمْ * فليس يُساوِى بعد ذاكَ عقَالا
وخلُّوا سبيلي قبل عيْرٍ وما جرَى * ولا تحسُدُوني أَنْ أموتَ هزَالا

فأُلبَ عن تلك المنزلةِ أيَّ ألْبٍ * ورُؤِيَ رأسُه في فمِ كلْبٍ * كذلكَ نقَل بعضُ الرُّواة * واللهُ القائمُ بجزاءِ الغُواة * ولا حيلةَ للبشَرِ في أُمِّ دَفرٍ * أعيَت كلَّ حَضَرٍ وسفْرٍ * كان حقُّ الخلافةِ أن تُقضى إلى من هو بنسُكٍ معروف * لا تصرِفُه عن الرُشد صرُوف * ولكنَّ البليَّةَ خُلقتْ مع الشمْس * فهل يخلُصُ من سكنَ في رَمس * وأمَّا ابو عيسى بنُ الرشيد * فليس بالناشدِ ولا النشيد * وإنْ صحَّ ما رُوِي عنه فقد باينَ بذلك أسلافَه * وأظهرَ لأهلِ الديانةِ خلافَه * وما يحفِلُ ربُّه بالعبيدِ صائمينَ للخيفةِ ولا مُفطِرين * ولكنَّ الإنسَ غدَوا محظَرين * وربما كانَ الجاهلُ أو المتجاهل * ينطِقُ بالكلمةِ وخلَدُهُ بضدِّها آهِل * وإنما أقولُ ذلكَ راجياً أنَّ ابا عيسى ونُظرآءَه * لم

يَتبَعوا في النَّبيِّ أُمرآءه * وأنَّهم على ما سِوى ما علَنَ يبيتون * لقد وعظهم الميتون * ورأى بعضُهم عبدَ السلام بنَ رَعبانَ المعروفَ بِديكِ الجِنِّ في النومِ وهو بحُسنِ حالٍ فذكر له الأَبياتَ الفائيَّةَ التي فيها

هي الدُنيا وقد نعموا بأُخرى * وتَسويفُ الظُنونِ من السَوَّافِ

ايِّ الهلاك * فقال إنما كنتُ أتلاعبُ بذلك ولم أَكُنْ اعتقدُه * ولعلَّ كثيرًا ممَّن شُهِر بهذه الجهالاتِ تكون طويتُهُ اقامةُ الشريعه * والإرتاعَ برياضِها المَريعه * فإنَّ اللسانَ طمّاح * وله بالفَنَدِ إسْماح * وكانَ أبو عيسى المذكورُ يُستحسَنُ شعرُه في البيتَينِ والثلاثةِ * وأنشدَ لهُ الصُوليُّ في نوادِره

لِساني كَتومٌ لأَسرارِه * ودَمعِي نَمومٌ بسِرِّي مُذيعُ

ولَوْلا دُموعي كَتَمتُ الهوَى * ولولا الهوَى لم يَكُن لي دُموعُ

فإن كان فرَّ مِن صيامِ شهرٍ * فلعلَّهُ يَقع في تعذيبِ الدَهر * ولا ييأسُ من رَوْحِ اللهِ إلاَّ القومُ الكافِرُونَ * وأمَّا الجنَّابيُّ فلَو عُوقِبَ بلَدٌ بِمَن يَسكنه لجازَ أن تُؤخذَ به جنَّابَه * ولا يُقبَل لها إنابَه * ولكنَّ حُكمَ الكتابِ المُنزَلِ أجدرُ وأحرى * أَن لا تزرَ وازِرَةٌ وِزرَ أُخرَى * وقدِ اختُلِف في حديثِ الركنِ معه * فزعَم مَن يدَّعي الخِبْرةَ به أنَّه أخذَهُ ليَعبُدَه ويُعظِّمهُ لأَنه بلغهُ أنَّه يدُ الصنَمِ * الذي جعل على خَلقِ زُحَل * وقيل جعلَهُ موطِئًا في مُرتَفَق * وهذا تناقضٌ في الحديث * وايُّ ذلكَ كانَ فعليهِ اللعنةُ ما رسا ثَبير * وَهَمى صَبِير * وأما العلَويُّ البَصري فذكرَ بعضُ الناسِ أنَّهُ كانَ قبلَ خرُوجِهِ يذكُرُ أنَّهُ من عبدِ القَيس ثُمَّ مِن أنمار * وكانَ اسمُهُ احمدَ فلمَّا خرَجَ تسمَّى عليًّا * والكذِبُ كثيرٌ جمٌّ * كأنَّه في النظرِ طَودٌ أَشمّ * والصدقُ لَديهِ كالحَصاة *

تُوطَأُ باقدامِ عُصاة * وتلك الأَبياتُ المنسوبةُ إِلَيه مِشهورةٌ وهي

أَيا حَرْفَةَ الزَّمْنَى أَلَمَّ بكِ الرَّدَى * أَمالي خلاصٌ منكِ والشملُ جامعُ
لَئِن قَنِعَتْ نَفسي بتعليمِ صِبيَةٍ * يَدَ الدهرِ إِنّي بالمذلَّة قانعُ
وهل يَرضَين حرٌّ بتعليم صِبيَةٍ * وقد ظَنَّ أَنَّ الرِّزقَ في الأَرضِ واسعُ

وما أَمنَعُ أَنْ يَكونَ حملَهُ حبُّ الحُطام *على أَنْ غَرِقَ في بحرٍ طام * يُسبِّحُ فيهِ ما دامَتِ السَّمواتُ والأَرضُ إِلاَّ ما شآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فعَّالٌ لمَا يُريد* وقد رُوِيَت له أَبياتٌ تَدلّ على تأَلُّهٍ * وما أَدْفَعُ أَن تكونَ قِيلَت على لسانه* لأَنَّ مَنْ خَبرَ هذا العالَمَ حكَم عليه بفجورٍ ومَين* واخلاقٍ تبعدُ مِن الزَين* والأَبياتُ *

قَتَلتُ الناسَ إِشفاقاً * على نفسِيَ كَي تَبْقَى
وحزتُ المالَ بالسَيفِ * لِكَيْ أَنعمَ لا أَشقَى
فمَن أَبصَر مَثوايَ * فلا يَظلِمْ إِذاً خَلْقا
فوَاوَيْلي إِذا ما مُتُّ عِندَ اللهِ ما أَلْقَى
أَخُلْداً في جوارِ اللّـهِ أَمْ في نارهِ أُلْقَى

وأَنشدني بعضُهم أَبياتاً قافيَّةً طويلةَ الوزنِ وقافيتُها مِثلُ هذه القافيةِ قد نُسبَتْ الى عَضُدِ الدولةِ وقيل إِنّه أَفاقَ في بَعض الأَيام فكتَبها على جدارِ الموضعِ الذي كانَ فيهِ وقد نُحِي بها نحوُ أَبياتِ البَصريّ * وأَشهَد أَنّها متكلَّفةٌ صنعَها رَقيعٌ من القومِ * وأَنَّ عَضُدَ الدولةِ ما سمِعَ بها قطُّ * وأَمَّا الحكايةُ عن اصحابِ الحديثِ أَنَّهم صحَّفوا رَخَمَةً فقالوا رَحْمَةً فلا أُصدِّقُ بما يجري مجراها * والكَذِبُ غالبٌ ظاهر * والصِدقُ خَفِيٌّ متضائل * فإِنّا للهِ وإِنّا إِليهِ

راجعون* وكذلك ادعاء من يدّعي أنّ عليًّا عليهِ السلامُ قال تهلك البَصرةُ بالزنج فصحفها اهلُ الحديث بالريح لا أومنُ بشيءٍ من ذلك * ولم يَكُنْ عليٌّ عليه السَّلامُ ممنْ يُكشفُ له علمُ الغيبِ * وفي الكتاب العزيز لا يَعلَمُ مَنْ في السَّموات والأرض الغيبَ إلاّ اللهُ * وفي الحديثِ المأثورِ أنَّه سَمِع جواريَ يُغنّينَ في عُرسٍ وَيقُلن

وأهدَى لنا أكبُشاً * تُبَحبِحُ في المِرْبَدِ

وزوجُكِ في النادي * ويعلَمُ ما في غدِ

فقالَ لا يعلمُ ما في غَدٍ الاّ اللهُ * ولا يجوزُ أن يُخبِرَ مُخبِرٌ مُنذُ مائةِ سنةٍ أنَّ اميرَ حلبَ حرَسها اللهُ في سنةِ اربعٍ وعشرينَ وأربعمائةٍ اسمهُ فلانُ بنُ فلانٍ وصفتُه كذا * فإن ادّعى ذلك مدّعٍ فإنّما هو متخرِّصٌ كاذبٌ * وأمَّا النجومُ فإنَّما لها تلويحٌ لا تصريح * وحُكِيَ أنَّ الفضلَ بنَ سهلٍ كان يتمثَّلُ كثيراً بقولِ الراجز *

لَئن نجوْتُ ونجتْ ركائبي * مِن غالبٍ ومِن لفيفٍ غالبِ

إنِّي لَنجَّاءٌ مِنَ الكرائبِ

وأنَّ غالباً كان في مَن قتَلَهُ فهذا يتّفق مثلُه * وأجدِرْ بهذه الحكايةِ أنْ تكونَ مصنوعةً فأمَّا ما تمثَّلَهُ بالشعرِ فغيرُ مُستنكرٍ * وربُما اتَّفقَ أن يكونَ في الوقتِ جماعةٌ يُسمّوْنَ بهذا فيُمكِنُ أن يقترنَ معنًى بلفظٍ على أنَّ في الأيّامِ عجائبَ وفوْقَ كُلِّ ذِي علمٍ عليم * وقد حُكِيَ أنَّ إياسَ بنَ معاويةَ القاضيَ كان يظنُّ الأشياءَ فتكونُ كما ظَنَّ * ولهذهِ العلّةِ قالوا رَجل نقابٌ وألمعيٌّ * قال أوسٌ

الأَلمعيُّ الَّذي يَظُنُّ لَكَ الظَّـــنَّ كأَنْ قد رَأَى وقَدْ سَمِعا

وقال نقابٌ يُحَدِّثُ بالغائبُ * فأَمَّا الحُسَينُ بنُ منصور * فليسَ جهلُه بالمحصور * وإِذا كانت الأُمَّةُ رُبما عبدتْ الحجَرَ * فكيف يأْمَنُ الحَصيفُ البُجَر * أَرادَ أَن يُدِيرَ الضَلالةَ على القُطْب * فانتَقَلَ عن تَدبيرِ العُطْب * ولو انصرفَ إِلى عِلاجِ البِرْس * ما بَقِيَ ذِكرٌ عنه في طِرْس * ولكنَّها مقادير * تَغشَى الناظرَ بها سمادِير * فكونُ ابنِ آدمَ حَصاةً أَو صَخرَةً * أَجملُ بهِ أَنْ يُجعلَ سُخرَةً * والناسُ الى الباطلِ سِرَاع * ولهم الى الفتنِ إِشراع * وكَم افتُرِيَ للحلَّاج * والكذِبُ كثيرُ الخلاَج * وجميعُ مَنْ ينسبُ إِليه بما لَم تجرِ العادةُ بمثاله فإِنَّه المَينُ الحَنْبَريت * لا أُصدِّق به ولو كَرِيت * وممَّا يُفتَعل عليه أَنَّه قالَ للذينَ قتلوه أَتظنُّون * أَنَّكم إِيَّايَ تقتلون * إِنَّما تقتُلونَ بَغلةَ المادِرانيِّ * وأَنَّ البَغلةَ وُجِدَت في إِصطَبلِها مقتولَةً * وفي الصوفيَّـــةِ إِلى اليومِ مَن يرفعُ شأْنَه * ويجعَلُ مع النَجمِ مَكانَه * وبلغَني أَنَّ ببغدادَ قوماً يَنتظِرونَ خُروجَه * وأَنَّهم يَقِفون بحيث صُلِبَ على دِجلَةَ يتوقَّعونَ ظُهورَه * وليس ذلك بِبِدْعٍ مِن جهلِ النَّاس * ولو عبَدَ عابدٌ ظَبْيَ كِناس * فقد نزلَ حظٌّ على قِرْد * فظفِرَ بأَكرمِ الوِرْد * وقالتِ العامَّةُ أُسجُدْ للقِرْدِ في زمانه * وأَنا أَتحوَّبُ مِن ذِكرِ القِردِ الذي يُقالُ إِنَّ القُوَّادَ في زمَنِ زُبيدةَ كانوا يَدخلُونَ للسَّلامِ عليه * وأَنَّ يَزيدَ بنَ مزيدٍ الشَّيبانيَّ دخَلَ في جملةِ المُسلِّمينَ فقتَلَه * وقد رُوِيَ أَنَّ يزيدَ ابنَ معاويةَ كانَ له قِرْدٌ يحملُه على أَتانٍ وَحشيَّـــةٍ ويرسلها معَ الخَيلِ في الحَلْبَةِ * وأَمَّا الأَبياتُ التي على الياء

يا سِرَّ سِرٍّ يَدِقُّ حتَّى * يَجِلُّ عن وَصفِ كُلِّ حَيْ

وظاهراً باطناً تبدّى * من كلّ شيءٍ لكلّ شيْ

يا جملة الكلّ لستَ غيري * فما اعتذاري إذاً إليْ

فلا باسَ بنظمها في القوّة ولكن قوله إليْ عاهةٌ في الأبياتِ ان قُيّد فالتقييد لمثل هذا الوزن لا يجوز عند بعضِ الناسِ * وإن كَسرَ الياءَ من إليْ فذلك رديءٌ قبيح * وأصحابُ العربيّةِ مجمعونَ على كَراهةِ قراءةِ حمزةَ وَما أَنتُمْ بمُصرِخيِّ بكسر الياء * وقد رُوِي أنَّ أبا عمْرو بنَ العلاء سُئل عن ذلك فقال إنّه لَحسَنٌ تارةً إلى فوْق وتارةً إلى أسفل * يعني فتحَ الياءِ في مُصرخيَّ وكسرها * والذين نقلوا هذه الحكاية يحتجّونَ بها لحمزةَ ويذهبونَ إلى أنَّ ابا عمرو أجازَ الكسرَ لالتقاءِ الساكنَينِ * وإن صحّتِ الحكايةُ عنهُ فما قالها إلاَّ متهزّئاً على معنى العكسِ كما قال الغنويُّ وهو سهلُ بنُ حنظلةَ

لا يمنعُ الناسُ منّي ما أردتُ ولا * أُعطيهمُ ما أرادوا حُسْنَ ذا أَدَبا

أَيْ ليس ذلك بحَسَنٍ * وهذا كما يَقول الرجُل لولَده إذا رآهُ قد فعلَ فعلاً قبيحاً ما أحسنَ هذا وهْو يُريدُ ضدَّ الحُسنِ * ولم يأْتِ كسرُ هذه الياءِ في شِعرٍ فَصيحٍ * وقد طعَن الفرّاءُ على البيتِ الذي أَنشدَهُ

قال لها هل لكِ يا تافيَّ * قالَت له ما أنتَ بالمَرضيِّ

وقد سمعتُ في اشعارِ المُحدَثينَ اليّ وعليّ ونحوِ ذلك وهو دَليلٌ على ضَعفِ المُنَّةِ ورَكاكةِ الغريزةِ * وكذلك قولُه الكلّ إدخالُه الالفَ واللامَ مكروهٌ * وكان أَبو عليٍ يجيزُه ويدّعي إجازَتَه على سيبوَيه * فامَّا الكلامُ القديمُ فيفتقدُ فيه الكلُّ والبعضُ وقد أنشدوا بيتاً لسُحَيْم

رأَيتُ الغنيَّ والفقيرَ كليهما * إلى الموْتِ يأْتي الموتَ لِلكلِّ معمِدا

وينشد لفتًى كان في زمن الحلاج

إِن يكُنْ مذهبُ الحلولِ صحيحاً * فإلهي في حُرمَـةِ الزجّاجِ

عَرَضَتْ في غلالَةٍ بطِرازٍ * بَـينَ دارِ العطّارِ والثّـلاّجِ

زعموا لِيْ أمراً وما صحّ لكِنْ * هُو مِن إفكِ شيخنا الحلاّجِ

وهذه المذاهبُ قديمةٌ تتنقلُ في عَصرٍ بَعد عصر ويقال إنّ فرعونَ كانَ على مذهبِ الحلوليَّـةِ فلذلكَ ادّعى أنّه ربُّ العزّةِ * وحُكي عن رجلٍ منهم أنّه كانَ يقولُ في تسبيحهِ سبحانكَ سُبحاني غفْرَانَك غفراني * وهذا هو الجنونُ الغالب * إنما مَن يقولُ هذا القولَ معدودٌ في الأَنعام * ما عرفَ كُنهَ الإنعام * وقال بَعضُهم

أَنا أَنتَ بلا شـكٍ * فَسبحانَـك سُبحاني

وإِسخاطُكَ إِسخاطي * وغفرانُـك غُفراني

وَلِمْ أُجلَدُ يا رَبّي * إِذا قيـل هُو الزاني

وبَنُو آدمَ بِلا عقول * وهذا امر يلقَنُهُ صغيرٌ عَن كبير * فيكونُ بالهلَكَة أَوْفَى صبير * أَمْ تحسَبُ أَنّ أَكْثرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يعقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاّ كالأَنعَامِ بلْ هُمْ أَضلُّ سبيلاً * ويُروَى لبعض أَهل هذه النِّحْلَةِ

رأَيتُ رَبّي يَمشي بلا لَكَةٍ * في سُوق يحيَ فكدتُ أَنفَطِرُ

فقُلتُ هل في اتصالنا طمعٌ * فقال هيهاتَ يمنعُ الحذَرُ

ولو قَضى اللهُ إِلفـةً بهوًى * لَم يَكُ إِلاّ السجودُ والنظَرُ

وتؤدّي هذه النِحلةُ إِلى التناسُخِ * وهو مَذهبٌ عتيقٌ يقول بهِ اهلُ الهندِ وقد كَثُر في جماعَةٍ من الشيعةِ * نسأَلُ التوفيقَ والكِفاية * ويُنشدُ لرجل

منَ النُّصَيْرِيَّةِ

إِعجبي أمَّنا لِصَرفِ الليالي * جُعِلَتْ أُختُنا سُكَينةُ فارَهْ

فازجُري هذهِ السنانيرَ عنها * واترُكيها وما تَضُمُّ الغَرارَهْ

وقال آخرُ منهم

تباركَ اللهُ كاشفُ المِحَنِ * فقد أرانا عجائبَ الزمَنِ

حمارُ شيبانَ شيخِ بَلدتِنا * صيَّر جارُنا أبو السكَنْ

بُدِّلَ من مَشْيِهِ بجلته * مشيتهُ في الحزامِ والرَسَنِ

ويُصوِّرُ لهم الرأيُ الفاسدُ أباجيرَ ومشبهات * فيَسلكونَ في تُغلُّسَ وَفي التُرَّهات * وحكِيَ لي عَن بَعضِ ملوكِ الهندِ وكانَ شاباً حسنَاً أنَّه جُدِّرَ فنظر الى وَجهِهِ في المِرآةِ وقد تغيَّر فأحرَق نفسهُ وقال أُريد أَن ينقلَني اللهُ الى صورةٍ احسنَ من هذه * وحدثَني قومٌ مِن الفقهاءِ ما هم في الحكايةِ بكاذبين * ولا في أسبابَ النِحَلِ جاذبين * أنَّهم كانوا في بلادِ محمودٍ وكان معه جماعةَ مِن الهند قد وثِقَ بِصفائهم * يُفيضُ عليهم الاعطيةَ لِوفائهم * ويكونون اقربَ الجندِ اليه اذا حلَّ او إِذا ارتحلَ وأنَّ رجلا منهم سافر في جيشٍ جهَّزَه فجاءَ خبرُه أنَّه قد هلك بموتٍ أو قتلٍ فجمعَتْ امراتُه لها حطباً كثيراً وأُوقدت نارا عظيمةً واقتحمتها والناسُ ينظُرون وكان ذلك الخبرُ باطلاً فلمّا قَدِمَ الزوجُ أُوقدَ له ناراً جاحمةً لِيحرِقَ نَفسه حتى يَلحَقَ بصاحبتِهِ فاجتمع خلقٌ كثيرٌ لِلنظر اليهِ وأنَّ اصحابَه من الهند كانوا يجيئون اليهِ فيُوَصّونَه باشياء الى أَمواتِهم هذا الى ابيه وهذا الى أَخيه وجاءه انسانٌ منهم بوردةٍ وقال أعطِ هذه فلاناً يعني ميتاً له وقذَف نفسَه في تلك النارِ * وحدَّث مَن شاهدإِحراقهم

نفوسهم أنّهم اذا لدغتهم النارُ أرادوا الخروجَ فيدفعهم مَن حضر اليها بالعصيّ والخُشُبِ * فلا اله الاّ اللهُ لقد جئتم شيئاً إدّاً * وفي الناسِ مَن يتظاهرُ بالمذهبِ ولا يعتقدُه يتوصّلُ به الى الدنيا الفانية * وهي أغدرُ من الورهاء الزانية * وكانَ لهم في المغربِ رجلٌ يُعرفُ بابن هانئ وكان من شعرائهم المجيدينَ فكان يغلو في مدحِ المعزّ أبي تميم معدّ غلوّاً عظيماً حتى قال يخاطبُ صاحبَ المَظلَمةِ

أمُديرَها من حيثُ دارَ لشدَّ ما * زاحمتَ حولَ ركابه جبريلا

وقال فيه وقد نزلَ بموضعٍ يُقال له رقادة

حلَّ برقّادةَ المسيحُ * حلَّ بها آدمٌ ونوحُ

حلَّ بها اللهُ ذو المعالي * وكلُّ شيءٍ سواهُ ريحُ

وحضر شاعرٌ يُعرف بابن القاضي بين يديْ ابنِ أبي عامرٍ صاحبِ الأندلس فأنشدَه قصيدةً أوّلُها

ما شئتَ لا ما شاءَتِ الاقدارُ * فاحكمْ فانتَ الواحدُ القهّارُ

ويقول فيها اشياء فأنكر عليه ابنُ أبي عامر وامرَ بجلدِهِ ونفيه * وأدلُّ رُتَبِ الحلاّجِ أن يكونَ شعوذيّا * لا تاقبَ الفهمِ ولا أحوذيا * على أنّ الصوفيّةَ تُعظّمُه منهم طايفة * ما هي لامرهِ شايفة * وأمّا ابنُ ابي عون * فانه اخذ في لونٍ بعد لون * غرّ البائسَ بابي جعفره * فما جعل رسلَهُ في أوفره * وقد تجدُ الرجلَ حاذقاً في الصناعةِ بليغاً في النظرِ والحُجّة فاذا رجعَ الى الديانة أُلفي كانّه عيرٌ مُقتاد * وإنّما يتبع ما يعتاد * والتألّه موجودٌ في الغرائز * يُحسَبُ من الألجاء الحرائز * ويلقنُ الطفلُ الناشيءُ ما سمعَهُ من الاكابر * فيلبث

معه في الدَّهرِ الغابرِ * والذين يَسكنُونَ في الصوامع * والمتعبّدون في الجوامع * يأخذونَ ما هم عليهِ كنقلِ الخبرِ عن المُخبِرِ * لا يُميّزونَ الصدقَ من الكذبِ لدَى المُعبِّر * فلو أنَّ بعضَهم ألفى الأُسْرَةَ من المَجوسِ لخرجَ مجوسيّاً * ومن الصابئةِ لأَصبحَ لهم قريباً سيّاً * واذا المُجتهد نكّبَ عن التقاليد * فما يَظفرُ بغير التبليد * واذا المَعقولُ جُعِلَ هاديا * نقَعَ بريّهِ صاديا * ولكن أَينَ مَن يصبرُ على احكامِ العقل * ويصقلُ فهمه أبلغَ صقل * هيهاتَ عُدِمَ ذلك في مَن تطلَعُ عليهِ الشمس * ومَن ضُمِّنهُ في الرِمَمِ رَمس * إلاَّ أن يَشُذَّ رجلٌ في الأُمَمْ * يُخَصُّ مِن فضلٍ بعَمَم * ربَّما لَقينا مَن نظرَ في كتبِ الحكماء * وتبعَ بعضَ آثارِ القدماء * فالفيناهُ يستحسنُ قبيحَ الامور * ويبتكرُ بابَ مغمور * ان قدر على قطيعٍ ركِبَهْ * وإن عرفَ واجباً نكَبَهْ * كأنَّ العالَم سعوا له في إفقاد * فهو يعتقدُ شرَّ اعتقاد * وإن اوُدِعَ وديعةً خان * وان سُئِلَ عن شهادةٍ مان * وإن وَصفَ لعليلٍ صفةً فما يحفلُ أَقتَلَهُ بما قال * ام ضاعفَ عليهِ الأَثقال * بل غرضُهُ فيما يكتسبْ * وهو الى الحكمةِ مُنتَسِب * ورُبَّ زارٍ بالجهالةِ على اهل ملّة * وعلّتهُ الباطنةُ ادهى علّة * وان البشرَ لكما جاءَ في الكتابِ العزيزِ كلُّ حزبٍ بما لَدَيهِمْ فَرِحونَ * والامامية تقرَّبوا بالتعفير * فعدّهُ بعضُ المتدينةِ ذنبا ليس بغفير * ويحضرُ المجالسَ أُناسٌ طاغون * كأنّهم للرشدِ باغون * واولئكَ علمَ اللهُ اصحابُ البدَعِ والمكرْ * ومن الك بزنجٍ في ذكرْ * كم متظاهرٍ باعتزال * وهو مع المخالفِ في نِزال * يزعمُ أنَّ ربَّهُ على الذرةِ يُخلّدُ في النار * بَلْهَ الدرهمَ وبَلْهَ الدينار * وما ينفكُّ يحتقبُ من المآثِمِ عظائم * ويقع بها في أطائم * ينهمك على العهارِ والفسق * ويظعنُ من الاوزارِ المؤبقةِ

باوفى وسْق * يَقنُتُ على رَهطِ الاجْبار * ويسندُ الى عبد الجبارَ * يـ
الدأبَ في النهارِ والليل * ويضمرُ انَّ شيخَ المعتزلةِ غيرَ طاهرِ الرُّدْنِ ولا الذيل
قد صيَّرَ الجدلَ مَصيدَةً * ينظمُ به منَ الغيّ قصيدة * وحدِّثتُ عن امامٍ لهم
يُوقَّرُ ويُتبَع * وكأنهُ من الجهلِ رُبَع * انهُ كانَ اذا جلسَ في الشَرب * ودارت
عليهم المُسكِرةُ ذاتُ الغرب * وجآءهُ القدحُ شربَهُ فاستوفاه * وأشهَدَ مَن
حَضَرهُ على التوبةِ لِما اُقتفاه * والاشعريُّ اذا كشفَ ظهرَ نُمِيّ * تلعنهُ الأرض
الراكدةُ والسُّمِيّ * انما مَثَلُهُ مَثَلُ راعٍ حطمة * يخبطُ في الدهمآءِ المظلمة *
لايحفلُ علامَ هجمَ بالغنم * وأن يقعَ بها في اليَم * وما اجدرَهُ ان تأتي بـ
سراحين * تضمنُ لجميعها أنْ يحين * فمَن له ايسَرُ حجى * كأَنما وُضعَ في دجى *
إلاَّ مَن عصمَهُ اللهُ باتّباعِ السّلَفْ * وتحمَّلَ ما يُشرَعُ منَ الكُلَفْ *

وإنَّا ولا كفرانَ للهِ ربِّنا * لَكالبُدْنِ لاتدري متى حتفُها البُدْنُ

ان شُعِرَ قلَّدَ المسكينُ سواد * فنما وثقَ بمَن اغواه * وان بحثَ عن السرِّ وتبصَّرْ *
اقصرَ عنِ الخبرِ وقصَّر * والشيعةُ يزعمونَ أنَّ عبدَاللهِ بنَ ميمونَ القدَّاحِ وهو من
باهلةَ كانَ من علّيَةِ اصحابِ جعفر بن محمدٍ عليه السلام وروى عنه شيئاً كثيراً
ثم ارتدَّ بعدَ ذلك فحدَّثني بعضُ شيوخهم انَّهم يروونَ عنهُ ويقولونَ حدثنا عبد
اللهِ بنُ ميمونِ القدّاح كاحسنَ ما كانَ اي قبلَ ان يرتدَّ ويروونَ لهُ

هاتِ اسقنِي الخمرةَ يا سنْبرُ * فليسَ عندي أنّي أُنْشَرُ
اما ترى الشيِّعَةَ في فتنَةٍ * يغرُّها من دينِها جعفرُ
قد كنتُ مغرورًا به برهةً * ثمَّ بدا لي خبرٌ يُستَرُ

ومما يُنسَب اليه

مشيتُ الى جعفرٍ حقبةً * فالفيتُهُ خادعاً يَخلُبُ
يجرُّ العَلاءَ الى نفسهِ * وكلٌّ الى حبلهِ يجذبُ
فلو كانَ امرُكُم صادقاً * لَمَا ظلَّ مقتولُكم يُسحَبُ
ولا غُضَّ منكم عتيقٌ ولا * سما عمرٌ فوقكم يَخطبُ

والحُلولية قريبةٌ من مذهبِ التناسخِ *وحُدِّثتُ عن رجلٍ من رُؤساءِ المنجمينَ من اهلِ حرَّانَ اقامَ في بلدِنا زماناً فخرجَ مرةً مع قومٍ يتنزهونَ فمرَّ والثورُ يَكرُبُ فقالَ لاصحابهِ لا اشكُّ في انَّ هذا الثورَ رجلٌ كانَ يُعرَفُ بخلفَ بحرَّانَ وجعلَ يصيحُ بهِ يا خَلَفُ فيتَّفقُ ان يخورَ ذلكَ الثورُ فيقولُ لاصحابهِ ألَا ترونَ الى صحَّةِ ما خبرتُكم بهِ *وحُكيَ لي عن رجلٍ آخرَ ممن يقولُ بالتناسخِ انهُ قالَ رأيتُ في النومِ ابي وهوَ يقولُ أَبُنيَّ إنَّ روحي قد نُقلَتْ الى جملٍ اعورَ في قِطَارِ فلانٍ واني قداشتهيتُ بطيخةً قال فاخذتُ بطيخةً وسأَلتُ عن ذلكَ القِطَارِ فوجدتُ فيه جملاً اعورَ فدنوتُ منهُ بالبطيخةِ فاخذَها اخذَ مُريدٍ مشتهٍ افلا يرى مولاي الشيخُ الى ما رُمِيَ بهِ هذا البَشرُ من سوءِ التمييزِ * وتحيُّزِهِمْ الى ما يمتنعُ منَ التحييزِ * واما ابنُ الراوَنديّ * فلم يكن الى المصلحةِ بمهديّ * واما تاجهُ فلا يصلحُ أَنْ يكونَ نعلا * ولم يجِدْ منْ عذابٍ وعْلا * أي ملجأً قال ذوالرمة

حتّى اذا لم يجدْ وعْلاً ونجنجها * مخافةَ الرميِ حتى كلُّها هيمُ

ويجوزُ أَنْ يُنظَّمَ تاجهُ عقارب * فما كانَ المحسنُ ولا المُقارب * فكيفَ بهِ اذا تُوِّجَ شبوَات * أَليس يمْنيه عن تلكَ الصبَوات * وهل تاجهُ إلاَّ كما قالتِ الكاهنةُ أُف وتف * وجوْرَبٌ وخُفّ * قيلَ وما جورَبٌ وخُفّ *قالت

وَادِيانِ بجهنّم * ماتاجهُ بتاجِ ملك * ولكنْ دُعيَ بالمهلك * ولا اتخذَ من الذهَب * وسوفَ يُصوَّرُ من اللهَب * ولا نُظِمَ من دُرّ * بل وقعَ من عناءٍ بِقُرّ * يقال صابَتْ بِقُرٍّ اذا وقعت في موضعها وأكثرُ ما يَستعملُ ذلكَ في الشرّ قال الشاعرُ

تَرجَّتْها وقد صابَت بِقُرٍّ * كما ترجو اصاغرَها عُتَيْبُ

ما تُوِّجَ من الفِضّة * ولا يُقنَعُ له بالقضّة * ماهو كتاجِ كِسْرَى * لكن طَرَقَ بسوءِ المَسْرَى * ولا تاجُ الملكِ أَنُوشُروان * ولكن أَثقلَ وجرَّ الهوان * ذلك تاجُ فَرَسَ عنقا * فظُنَّ على من تُوِّجَ بهِ مُخنقا * ليسَ هو كتاجِ المُنذِر * ولكن مُنْدِيَة غويٍّ حَذِر * ولا هو كخرزاتِ النعمان * بل مُعيَّنٌ يُدَّخَرُ في الازمان * وما يُفْقَدُ مثالُهُ الى أَنْ يُنقَض * منهُ وبرٌ تقوّض * وأَما الدامغ فما إِخالُهُ دمغَ إِلاَّ مَنْ أَلَّفَه * وبسوءِ الخلافة خلفَه * وفي العربِ رَجلٌ يُعرَفُ بدميغ الشيطان * وهذا الرجلُ كداوي الخيطان * وانما المُنكَر * انَّهُ في الآونَةِ يُذْكَر * دَلَّ ممن وضَعَهُ على ضعفِ دماغ * فهل يُؤْذَنُ لصوتِ ماغ * من قولهم مغَت الهرّة اذا صاحت

رماني بأَمرٍ كنتُ منهُ ووالدي * بريئاً ومنْ جُول الطَّويّ رَمانِي

رجعَ عليه حَجَرُهْ * وطالَ في الآخرة بَجَرُهْ * بئسَ ما نُسبَ الى راوند * فهل قَدَحَ في دُباوند * انما هتَكَ قميصَه * وأَبانَ للناظرِ خميصَه * واجمع مُلحدٌ ومهتد * وناكبٌ عن المحجة ومقتد * انَّ هذا الكتابَ الذي جاءَ بهِ محمدٌ صلى اللهُ عليهِ كتابٌ بَهرَ بالإِعجاز * ولقيَ عدوَّهُ بالإِرجاز * ما حُذِيَ على مِثال * ولا اشبَهَ غريبَ الأَمثال * ماهو من القصيدِ الموزون * ولا الرجزُ من

سهلٍ وحزون * ولا شاكلَ خطابةَ العَرب * ولا سَجعَ الكهنةِ ذوي الأَرب * وجاءَ كالشمسِ اللائحة * نوراً للمسرّةِ والبائحة * لو فهمهُ الهضبُ الراكدُ لتصدّع * اوالوعولُ المعصمةُ لراقَ القادرةَ والصدَع * وتلكَ الأَمثالُ نضربُها للناسِ لعلّهم يتفكّرونَ * وإنَّ الآيةَ منهُ اوبعضُ الآيةِ لتعترضُ في افصحِ كلمٍ يقدرُ عليهِ المخلوقون * فيكونُ فيهِ كالشهابِ المتلألىءِ في جنحِ غسَق * والزُهرَةِ الباديةِ في جدوبٍ ذاتِ نسَق * فتبارَكَ اللهُ أَحسنُ الخالقين * واما القضيبُ فمَن عمله اخسرُ صفقةً من قضيب * وخيرٌ لهُ من انشائه * لو رَكبَ قضيباً عِندَ عِشائه * فقذفتْ بهِ على قَتاد * ونزعَتِ المفاصلَ كنزعِ الأَوتاد .

انَّ الطِرِمّاحَ يهجُوني لأَشتمَهُ * هيهاتَ هيهاتَ عيلتْ دُونَهُ القُضُبُ

كيفَ للناطقِ بهِ أَنْ يكونَ اقتضبَ وهو يافع * اذ مالَهُ في العاقبةِ شافع * ووَدَّ لو انَّهُ قضبَه * او تلتئمُ عليهِ الهضبَة * وقد صُدَّ ان يكونَ مثلَ القائل

وروحةِ دنيا بين حيينِ رُحتُها * اسيرُ عَروضاً او قضيباً اَروضُها

وقضيبُ وادٍ كانت فيهِ وقعةٌ في الجاهليةِ بينَ كِندةَ وبينَ الحارثِ بنِ كعبٍ فكيفَ لهذا المائقِ أَنْ يكونَ قُتِلَ في قضيب * وسقط في إِهابهِ الخضيب * فهو عليهِ شرٌّ من قضيبِ الشجرةِ على الساعية * ومَن لهُ ان يظفرَ بمنطقِ الناعية * وكيفَ لهُ أَنْ يُجدَّعَ بقضيبٍ هنديّ * ويُلبَسَ مما لَغطَ بهِ ثوبُ المغذيّ * لقد انزلَ اللهُ بهِ من النكال * ما لا يُدفعُ بحملِ الأَنكال * فهو كما قال الأَول .

فلم أَرَ مغاوبينِ يَمري فرينا * ولا وقعَ ذاكَ السيفِ وقعَ قضيبِ

وهذا البيتُ يُستَشهدُ بهِ كما علِمَ لانهُ قال مغلوبين يفري وانما يجبُ ان يقالَ يفريانِ ولكنَّهُ اجرى الاثنينِ مجرى الجمعِ ومثلهُ قولُ الراجزِ

مثلَ الفراخِ نُتِقت حواصلُهُ

واما الفريدُ فافردَهُ من كلِّ خليل * والبسهُ في الأَبدِ بُرْدَ الذليل * وفي كِندَةَ حيٌّ يُعرَفونَ بالحيِّ الفريد * وهم بنو الحرثِ بنِ عديٍّ بنِ ربيعةَ بنِ معاويةَ الاكرمينَ ابن الحرثِ الاصغرِ بنِ معاويةَ بنِ الحرثِ الاكبرِ بنِ معاويةَ ابنِ ثورٍ بنِ مُرتعَ بنِ معاويةَ بنِ ثورٍ وهو كِندَة * واصحابُ النسبِ يقولونَ كِنديٌّ بنُ عفيرِ بنِ عديٍّ بنِ الحارثِ بنِ مُرَّةَ بنِ أُدُدَ بنِ زيدٍ بنِ يشجُبَ ابنِ عريبا ابنِ زيدٍ بنِ كهلانَ بنِ سباء وانما قيلَ لهمُ الحيُّ الفريدُ لانَّ بني وهبٍ حالفوا بني ابي كَرِبٍ وبني الدِئلِ ولم يدخُل معهم بنو الحارثِ ولا معَ بني عديٍّ فقيلَ لهمُ الحيُّ الفريدُ * ومن انفردَ بعزّه لوقارتهِ * فانَّ فريدَ ذلكَ الجاحدِ ينفردُ لحقارتهِ * كانهُ الأَجربُ اذا طُلي بالعنيّة * فرّ من دُنوهِ من يرغبُ عن الدنيَّة * واذا جذلت الغانيةُ بفريدِ النظام * فهوَ قلادةُ مآثمٍ عِظام * وذكرَ ابو عبيدة إنَّ في ظهرِ الفرسِ فقارةٌ يقالُ لها الفريدةُ وهيَ اعظمُ الفقار * فلو حُمِلَ فريدُ ذلكَ المتمردُ على جوادٍ لحطَمَ فريدتَه * او زيّن بهِ الحبُّ الغانيةَ لأهلكَ خريدتَه * واما المرجانُ فاذا قيلَ انهُ صغارُ اللؤلوء فمعاذَ اللهِ ان يكونَ مرجانهُ صغارَ حصى * بل اخسَّ من ان يُذكرَ فيُنتَصى * واذا قيلَ انهُ هذا الشيءُ الاحمرُ الذي يجيءُ بهِ من المغربِ فانَّ ذلكَ له قيمة * وخسارةُ كتابهِ مقيمة * وانما هو مرجانٌ من مرَجتُ الخيلَ بعضَها مع بعضٍ * وتركتَها كالمهملةِ في الارضِ * او لعلهُ مُرجانٌ من جنى الشجرة * او مرّجانٌ من الشياطينِ الفجرة *

اوجانٍّ من الحيّاتِ المقتولةِ بأيسرِ الأمر * والمبنّضة الى المنفرد والعمر * اي الجماعة من الناسِ * واما ابنُ الروميِّ فهوَ احدُ من يُقالُ أنَّ ادبَه كانَ اكثرَ من عقلهِ * وكانَ يتعاطى علمَ الفلسفة * واستعارَ من ابي بكرٍ بن السَّراجِ كتاباً فتقاضاهُ بهِ ابو بكرٍ فقالَ ابنُ الروميِّ لو كانَ المشتري حدثاً لكانَ عجولاً * والبغداديّونَ يدّعونَ انه متشيعٌ ويستشهدونَ على ذلكَ بقصيدتهِ الجيميّةِ * وما اراهُ إلاَّ على مذهبِ غيرهِ منَ الشعراءِ ومَن أُولعَ بالطِّيرَة * لم يَرَ فيها من خيرَة * وانمَّا هيَ شرٌّ متُعجَّل * وللأنفُسِ أَجَلٌ مؤجَّل * وكلُّ ذَلكَ حذَرٌ منَ الموتِ الذي هُوَ رِبَقٌ في اعناقِ الحيَوان * حكُمَ لقآؤُهُ في كُلِّ أَوان * وفي الناسِ مَن يظَنُّ أَنَّ الشيءَ اذا قيلَ جازَ ان يقعَ وكذلكَ قالتِ العامَّةُ أَلارجافُ اولُ الكونِ ويُقالُ إنَّ النبيَّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّم تمثَّلَ بهذا البيتِ ولم يُتمِّمهُ

تفاءلْ بما تهوى يكُنْ فلقلَّما * يُقَالُ لشيءٍ كانَ إلاَّ تحققا

ومهما ذهبَ اليهِ اللبيبُ فالخيرُ في هذهِ الدُّنيا قليلٌ جداً والشرُّ يزيدُ عليهِ باجزاءٍ ليستْ بالمُحصاة * وما اشبهَ ذوي التُقى بالعُصاة * كُلُّهمْ الى التلَفِ يُساقون * يلقونَ ما كُرِهَ ولا يُعاقُون * ولعلَّ اللهَ جاَّتْ قدرتُه يُميِّزُهمْ في المُنقَلَب * ويسعفُ بمُرادهِ اخا الطَّلَب * وقالَ علقمةُ

ومَن تعرَّضَ للغربانِ يَزجرُها * على سلامتهِ لابُدَّ مشؤُمُ

وكانَ ابنُ الروميِّ معروفاً بالتَطيرْ * ومَن الذي أُجريَ على التَّخيُّرْ * وقد جاءتْ عن النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ اخبارٌ كثيرةٌ تدلُّ على كراهةِ الاسمِ الذي ليسَ بحسَنٍ مثل مُرَّةَ وشهابٍ والحُبابِ لأنهُ يتأَوَّله في معنى الحيَّةِ * ونحوَ

من حكاية ابن الرومي التي حكاها الناجم ما حكي عن امرأة من العرب انها قالت للأخرى سمّاني ابي غاضية وإنما تلك نارٌ ذاتُ غضى * فالحمدُ لربي على ما قضى * وتزوجتُ من بني جمرة رجلاً احرق * وما أمرق * أي لم يكثر مرقهُ * وكانَ اسمهُ توربا وانما ذلك تراب * فشمتت بيَ الأتراب * وكانَ ابوهُ يدعى جندلة فعضضتُ عندهُ بالجندل * وما شممتُ رائحة مندل * وكانَ اسمُ أمهِ سوّارة فلم تزل تُساورني في الخصام * ولا تنفعني بعصام * فقالتِ الأخرى لكن سمّاني ابي صافية فصفوتُ من كلِّ قذى * وجنبتُ مواقعَ الاذى * وزوّجني في بني سعد بن بكرٍ فبكّرَ عليَّ السعد * وانجزَ لي الوعد * واسمُ زوجي محاسنُ جزيَ الصالحةَ فقد حاسنَ وما لاسن * واسمُ ابيهِ وقّافُ رعاهُ اللهُ فقد وقفَ عليَّ خيرَه * واكثر لديَّ ميرَه * واسمُ أمهِ راضيةُ رضيتْ أخلاقي * ولم تجنحْ الى طلاقي * واذا كانَ الرجلُ خثارماً * لم يزل في الكثكث آرماً * إن رأى سمامةً من الطيرِ حسبَها من السمام * او حمامةً فرقَ من الحمام * كما قال الطائي

هنَّ الحمامُ فإن كسرتَ عيافةً * من حائهنَّ فإنهنَّ حِمامُ

وإن عرضتْ لهُ خنساءُ من البشر * فإنهُ لا يأمنُ منَ الشرّ * يقولُ اخافُ من رفيقٍ يخنس * وامرٍ يُدنس * وان كانت الخنساءُ من الوحوش * نفر قلبهُ من الحُوش * إنْ رآها سانحة * هزّتْ من رُعبهِ جانحة * يقولُ قد ذهبَ أهلُ عقلٍ وافر * من أربابِ المناسمِ وصحبِ الحافر * يتطيّرونَ بالسنيح * ويرهبونَ معهُ ذهابَ المنيح * وإنْ اتتهُ بقدَرٍ بارحة * عاينَ بها البخلاءَ الجارحة * يقولُ ألم يكُ ذوو خيلٍ وسروج * يخشونَ الغائلةَ من البروج *

وإنْ لَقِيَ رجلاً يُدعى اخنس * فكانما لَقِيَ هِزَبْراً يَتَبَهْنَس * يقولُ مايؤمِنُني أنْ يكونَ كاخنسَ بني زُهرةٍ فرَّ بحلفائهِ عن وفر * وطُرِحَتِ القتلى في الجفر * وإنْ استقبلَ من يولعُ بذلكَ أعفر * فانهُ ينتظرُ أنْ يُعَفَّر * وإنْ بَصُرَ بالأدماء * ايقنَ بسفكِ الدماء * وإنْ جبهَهُ ذيّال * فكأنهُ المصورُ العيّال * يقول ما اقربَني من إذا له * تبطّلَ كلامَ العذّاله * وإنْ آنسَ نعامةً بقفر * وهو معَ الركبِ السفْر * فما يأخُذُها منَ النعيم * ويجعلُها بالهلكةِ مثلَ الزعيم * يقولُ منَ الفَندِ والعيِّ * اوّلها نعيٌ وانما ذلكَ نَعِيّ * وإنْ عنَّ لهُ في الخرقِ ظليم * فذلكَ العذابُ الأليم * يقولُ ليتَ شعري مَنِ الذي يظلمُني * ايأخُذُ نشبي ام يكلمُني * وإنْ نظَرَ الى عُصفور * قالَ عَصفٌ من الحوادثِ بوفور * فهوَ طولَ أبدِهِ في عَناء * ولا بُدَّ لهُ من الفناء * ولهذهِ الطويّةِ جعلَ ابنُ الروميّ جعفراً منَ الجوعِ والفِرار * ولو هُدِيَ صرفَهُ الى النهرِ الجرّار * لأنَّ الجعفرَ النهرُ الكثيرُ الماء ولكن إخوانُ هذهِ الخليقة * لايحملونَ الاشياءَ الواردةَ على الحقيقة *

واراد بعضُهم السفَرَ في اولِ السنةِ فقالَ إنْ سافرتُ في المُحرّم * كنتُ جديراً انْ أُحرَمْ * وانْ رحلتُ في صفَر * خشيتُ على يدي أنْ تصفَر * فأخَّرَ سفَرَهُ الى شهرِ ربيعٍ فلماسافرَ مرِضَ فلم يحظَ بطائلٍ فقالَ ظننتُهُ من ربيعِ الرياض * فاذا هو من رَبعِ الامراض * واما إعدادُهُ الماءَ المثلوجِ فتماة * وما تُنفعُ بالحيلِ غُله * وتقريبُهُ الخنجرِ تحرُّزٌ من جان * وتُنقَضُ الاقضيةُ وما بنى الباني * ورُبَّ رَجُلٍ يحتفرُ لهُ قبراً بالشام * ثم يجشّمُهُ القدَرُ بَعيدَ الإجشام * فيموتُ باليمَنِ او بالهند * والحتفُ بالغائرةِ والفند * وما تدري نفسٌ بأيِّ أرضٍ تموتُ إنَّ اللهَ عليمٌ خبيرٌ وكما إنَّ النفسَ جهلَتْ مدفنَ عظامِها * فهي الجاهلةُ بالقاطعِ

لِنظامها * كم ظانٍ انهُ يهلُكُ بسيف * فهلكَ بحجرٍ من خيف * وَموقنٍ إنَّ شجبهُ يقدَّرُ على مهاد * فالقتهُ الاسَلُ ببعضِ الوهاد * والبيتانِ اللذانِ رواهما الناجمُ عن ابنِ الروميّ مقيدّانِ وما علمتُ انهُ جآء عن الفصحآء هذا الوزنُ مقيداً إلاَّ في بيتٍ واحدٍ يتداولهُ رُواةُ اللغةِ والبيتُ

كأنَّ القومَ عشُّوا لحمَ ضانٍ * فهم نَعِجُون قد مالتْ طُلاهم

وهذا البيتُ مؤسّسٌ والذي قالَ ابنُ الروميّ بغيرِ تأسيسٍ وما يدري الناجم * ولعلّهُ بالفكرِ راجِم * أَفي الجنةِ حَصلَ ذلكَ الشيخُ أَم في السعير * وما اثقلَ وُسوقَ العير * واما ابو تمّام * فما أَمسكَ من الدينِ بزِمام * والحكايةُ عن ابنِ رجّادٍ مشهورة * والمَهجةُ بعيبِها مبهورة * فان قُذفَ في النارِ حبيب * فما تُغني المِدَحُ ولا التشبيب * ولوانَّ القصائدَ لها عِلم * وتأسفُ لِما يشكو الحِلم * لأَقامت عليهِ الممدودتانِ اللتانِ في اوّلِ ديوانهْ * مأْتماً يعجبُ لإِسوانهْ * فناحتا عليهِ كابنتيْ لَبيد * وجرُعتاهما منَ الثكلِ نظيرُ الهبيد * وقالتا مازعمهُ الكلابيُّ في قولهِ

وقولا هوَ الميتُ الذي لاحريمهُ * اضاعَ ولا خانَ الصديقَ ولا غدَرْ
الى الحولِ ثمَّ اسمُ السلامِ عليكما * ومَن يبكِ حولاً كاملاً فقداعتذَرْ

وكأَني بهما لو قُضيَ ذلكَ لأَجتمعتْ اليهما الممدودات * كما تجتمعُ نسآء معدودات * فيجيئنَ من كلِّ أَوْب * ويتواعدنَ المَحفِلَ على نَوب * ولو فعانَ ذلكَ لبارتهُنَ البائيّاتُ بمأْتمٍ اعظمَ رنينا * واشدَّ في الحندُسِ حنينا * كما قال العنقيُّ

يُجاوبنَ الكلابَ بكلِّ فجرٍ * فقدضحكتْ منَ النوحِ الحلُوقُ

واذا كانَ مأتمُ الممدودات في مائةٍ ممَّنْ يُسعدهُنَّ ويُظاهرْ * وجبَ أَنْ يكونَ مأتمُ البائيّاتِ في آلافٍ تُعلنُ وتُجاهرْ * لانَّ البآءَ طريقٌ رَكوب * والمدُّ في القصائد سبيلٌ منكوب * وما نظمهُ على التآء * فإنَّهُ لا يُعجزُ عن الإيتآء * وتجيُّ الثائيّتانِ وكِلتاهُما كابنةِ الجَونِ * تبتدرُ في حالكِ اللونِ * ولو صُوّرتا منَ الآدميات * لزادتا على قَينَتي ابنِ خَطَلٍ في المَرثيّات * وإنَّ الثآءَ لقليلةٌ في شعرِ العربِ الّا أَنهما تستعينانِ كَلِمةَ كُثَيِّر

حبالُ سلامة اضحتْ رِثاثا * فسقيًا لها جُدُدًا او رِماثا

وباراجيزِ رؤبةَ وما كانَ نحوَها منَ القوافي المتكلَّفة * والاشعار المتعسّفة * ولهما فيما نَظمَ ابنُ دُرَيْد * اعوانٌ بالعجلِ والرُّوَيد * فأمّا الداليّاتُ والرائيّاتُ وما بُني على الحروفِ الذُّلُلِ كالميمِ والعينِ واللامِ وما جرى مجراهُنَّ فلو اجتمعَ كُلُّ حيزٍ منهنَّ وهو خراد * لضاقَ عنهنَّ الصَّدَرُ والأَبراد * وزِدْنَ على ما ذُكِرَ انهُ اجتمعَ في جنازةِ احمدَ بنِ حنبلٍ من النسآءِ والرجال * ويقالُ انهُ لم يجتمعْ في الجاهليةِ ولا الإسلامِ جمعٌ اكثرَ مِمّا اجتمعَ في موتِ احمدَ * حُزِرَ الرجالُ بألفِ ألفٍ والنسآءُ بستمائةِ ألفٍ والله العالمُ بيقينِ الاشياء * وانْ كانَ حبيبُ ضيَّعَ صلواتهُ * فانَّهُ لَضالٌّ بفلواتهُ * لا يبلغُ فيهِ كيدُ العُداة * ما بلغَ إهمالُ غداة * كم ضدٍ نكصَ عنهُ ذا بُهْر * وليسَ كذلكَ صلاةُ الظُهر * إنْ تركَها فإنَّها شاهدة * وفي الشكيّةِ لهُ جاهدة * وكم منْ قصرٍ يُشيَّدُ في الجنةِ بصلاةِ العصر * ومسكٍ في الجنةِ متأرِّج * لِمصلّي المَغربِ ليسَ بالحَرِج * وحورٍ أُنشئنَ ببديعِ الانشآء * لِمَنْ حافظَ على صلاةِ العِشاء * وقد جآءَ في الحديثِ النهيُ ان تُسمّى العَتَمةَ * ورُوِيَ لا تَخْدعوا عن اسمِ صلاتِكم فانما يُعتِمُ بحلابِ الأبلْ * وفي حديثٍ

أخر ان العَتَمَة اسمُ بنتِ الشيطانِ وأنَّ من يعجزُ عن إداءِ تلكَ الركعات * لِيَشتَمِلَ على نيةٍ عات * فليتَ حبيباً قرنَ بينَ الصلاتين * فجعلهما كهاتين * كما قالَ القائلُ

قرنَ الظُهرَ الى العصرِ كما * تُقرَنُ الحِقَّةُ بالحِقِّ الذَكَرْ

وإنّي لأَضنُّ بتلك الأَوصال * أن يَظلَّ جسدُها وهو بالموقَدةِ صال * لانهُ كانَ صاحبَ طريقةٍ مبتدَعة * ومعانٍ كاللؤلؤ متَتبَّعة * يَستخرجُها من غامضِ بِحار * ويغضُّ عنها المُستغلقَ من المحار * وإن أُبتدرَتهُ مَهَنَةُ مالك * فقد نُبذَ في المهالك * فليتَهُ كالجعديّ * او سُلكَ به مَسلكَ عديّ * او كانَ مذهبهُ مذهبَ حاتمٍ فقد كانَ متألِّها * ومنَ الخشيةِ متوِلِّها وقالَ

وإنّي لَمجزيٌّ بما انا عاملٌ * ويضْطمُني ماويَّ بيتٌ مسقفُ

اوليتَهُ لَحِقَ يزيدَ بنَ مُهَلهِلٍ فقد وفدَ على النبيِّ صلى اللهُ عليهِ وسلم وطرحَ عنهُ ثوبَ الغبي * واما المازيار * فحلاّلٌ بالسفَهِ سيّار * وحسبهُ ما يَتجرّعُ منَ الحميم * ويحتملُ من المقالِ الذميم * وقدخلّدَ لهُ في الكتبِ ما يُوجبُ لعنَهُ الى يومِ الدين * وأنّى لهُ أنْ يجعلَ كأديمٍ ودين * ورَحِمَ اللهُ بنَ ابي دُؤاد * فلقد شفي الانفسَ منَ الجُؤاد * وكشفَ حالَ الافشين * فعُلِمَ أنّهُ آلفُ شَين * مخالفُ رشادٍ وزَين * وبابَكُ فتحَ بابَ الطغيان * ووُجدَ من شِرارِ الرعيان * واظنُّ جهادَهُ عليهِ التّبارافضلَ جهادٍ عُرِف * وذنبَهُ اكبرَ ذنبٍ اقتُرِف * ولعلّهُ يَوَدُّ في الآخرةِ أنهُ ذُبِحَ عن كُلِّ مَن قتَلَ في عدّانه * مائةَ مرةٍ في نهلِ مدّانه * ثمّ خاصَ من العذابِ المطبق * واستنقذَ عُنُقَهُ من الرِّبقِ * والعجبُ لأَبي مُسلم * خبطَ في الجنانِ المظلم * وظنَّ أنهُ على شيءٍ *

فكانَ كالمعتمدِ على الفيءِ * حَطَبَ لنارٍ أَكَلَته * وقتَلَ في طاعةِ ولاةٍ قتلته *
وليسَ بأَولِ مَن دأب لِسواه * واغواهُ الطَمَعُ فيمن اغواه * وإنما سَهِرَ
لأُم دَفرٍ * وتبِعَ سرابًا في قفرٍ * فوجَدَ ذنبَهُ غيرَ المُغتَفَرِ * عندَ صاحبِ الدولةِ
أَبي جعفرٍ * وكلُّ ساعٍ للفانيةِ لا بدَّ لهُ منَ النَدَم * في أَوانِ الفرقةِ وحينَ
العدَم * فَذَمُّنا لها يُحسَبُ منَ الضلال * كما تمنّى القَنَعَ أَخو الإقلال * وهذهِ
زيادةٌ في النَصَب * وفازَ بالسبَقِ حائزُ القَصَب * يَذمُّها على غيرِ جنايةٍ * ولم
تخُصَّ أَحداً بالعنايةِ * بل ابناؤُها في المحَنِ سَواء * لا تُساعفهُم الاهواء *
فرُبَّ حاملِ حزْمَةٍ عضيد * ليسَ رَثَدُهُ بالنضيد * يَعجزُ ثمنها عن القوت *
ويكابدُ شظفَ عيشٍ ممقوت * يَلِجُ سُلاَّءُ في قدَمه * ويَخضبُهُ الشائكُ بدَمه *
وهو أَقلُّ أَشجاناً منَ الواثبِ على السرير * يَنعمُ برَشاءٍ غَرير * يجمعُ لهُ
الذهبَ من غيرِ حلٍّ * بإِعناتِ الأُممِ وإِسخاطِ الإلّ * واذا ملأَ بطنَهُ من
طَعام * وَسبحَ في بحرٍ منَ الترَفِ عام * فتلك النِعمُ ولذَّاتُهُ * تحدُثُ لإِجلِها
أَذاتُهُ * يختَلِجهُ القَدَرُ على غفولٍ * وغايةُ السفَرِ الى قُفولٍ * وما يَدري العاقلُ
اذا افتكرَ أَيَّ الشخصينِ أَفضل * أَربيبٌ عُقِدَ عليهِ إِكليل * ام ارقشُ ظلّهُ
في الملكِ ظليل * كلاهُما بلَغ آرابا * واحدُهُما يأْكلُ ترابا * والآخرُ يُعلُّ
بالراح * ويُجتهَدُ لهُ في الأَفراح * وما علِمنا أَنَّ النُسكَ مُوَقِّيا * ولا في
الاسبابِ الرافعةِ مُرَقِّيا * والعالَمُ بقَدَرٍ عاملون * اخطأَهُم ماهُم آملون * وما
آمِنُ أَنْ تكونَ الآخِرَةُ بإِرزاق * فتغدو الراجحةُ الى المِهراق * على أَنَّ
السرَّ مُغيَّب * وكُلُّنا في المُلتَمسِ مُخيَّبٌ * والجاهلُ وفوقَ الجاهلِ * مَن ادّعى
المعرفةَ بغِبِّ المناهلِ * واللعنةُ على الكاذبين * اما الذينَ يدَّعونَ في عليٍّ عليهِ

السلامُ ما يدّعون فتلك ضلالةٌ قديمة * وديمةٌ من الغَوايةِ تتّصلُ بهاديمة * وقد رُوِيَ أنهُ حرَّقَ عبدَ اللهِ بنَ سبأ * لمّا جاهرَ بذلك النبأ * واعتقادُ الكيسانيةِ في محمدِ بنِ الحنفيةِ عجيب * لا يُصدّقُ بمثلهِ نجيب * وقد رُوِيَ أنّ أبا جعفرَ المنصورَ رُفِعَتْ له نارٌ في طريقِ مكّةَ في الليلةِ التي ماتَ فيها فقالَ قاتلَ اللهُ الحِميَريَّ لو رأى هذهِ النارَ لظنّ انها نارُ محمدِ بنِ الحنفيةِ وعليٌّ له سابقة * ومحاسنُ كثيرةٌ رائقة * وكذلكَ جعفرُ بنُ محمد * ليسَ شرَفُهُ بالثَّمَد * وقد بلغني أنّ رَجلاً بالبصرةِ يُعرفُ بشاباسَ تزعمُ جماعةٌ كثيرةٌ انهُ ربُّ العزّة * وتُجبى اليهِ الأموالُ الجُمّة * ويحملُ الى السلطانِ منها قِسماً وافرا * ليكونَ بما طَلَبَ ظافرا * وهو اذا كُشفَ ساقطٌ لاقط * يبذُّهُ الى الفضلِ الماقط * والماقطُ الذي يُكرى من بلدٍ الى بلد * وحُدِّثتُ عن امرأةٍ بالكوفة يُدَّعى لها مثلُ ذلك * وقد سمعتُ مَن يُخبرُ أنّ لابنِ الراونديِّ معاشرُ تذكرُ انّ اللاهوتَ سكَنَهُ * وانّ مَن علِمَ مكّنَه * ويخترِصونَ لهُ فضائلَ يشهدُ الخالقُ واهلُ المعقول * أنّ كَذبَها غيرُ مصقول * وهو في هذا أحدُ الكفَرة * لا يُحسبُ منَ الكرامِ البَرَره * وقد انشدَ لهُ منشِد * وغيرُهُ التقيُّ المُرشد

قسّمتَ بيّنَ الورى معيشتَهمْ * قسمةَ سكرانَ بيّنَ الغلَطِ

لو قسَمَ الرزقَ هكذا رجلٌ قلنا لهُ قد جننتَ فاستعطِ ولو تمثّلَ هذانِ البيتانِ لكانا في الاصر * يطولانِ أرَمِي مصر * فلو ماتَ الفطِنُ كمداً لما عتب * فأينَ مهربُ العاقلِ من شقاءٍ رُتّب * أكلُّ ما خدَعَ خادِع * أرسلَتْ من الكفرِ مصادع * والمصادعُ السهامُ * وما حسّنَتِ السوداءُ الغالبةُ بسفيهِ

دعواه * الاّ وافقَ جهولاً عواه * أي عَطَفه * وقد ظهرَ في الضيعةِ المعروفةِ
بالنَيرَبِ المقاربةِ لسرمينَ رجلٌ يُعرفُ بأَبي جوف * لا يستترُ منَ الجهلِ
بجَوْفَ * والحوفُ أُزُرٌ من أَدَم مُشقَّقِ الاطرافِ السافلةِ تتّزرُ بهِ الجاريةُ وهي
صغيرةٌ * وكانَ يدَّعي النبوّةَ ويخبرُ باخبارٍ مُضحِكة * وتثبتُ نيّتهُ على ذلك ثباتَ
المَحكَة * وكانَ لهُ قطنٌ في بيتٍ فقالَ ان قطني لا يحترقُ وأَمرَ ابنهُ ان يدني
سراجاً اليهِ فأَخذَ في العطبِ وصرختِ النساءُ * واجتمعتِ الجيرةُ وانما
الغرضُ اطفاءٌ * وحدثني مَن شاهدَ انه كان يُكثر الضَحكَ من غيرِ موجب *
ولا عندَ حدثٍ معجب * فقيلَ لهُ لمَ تَضحكُ فقالَ كلاماً معناهُ انَّ الانسانَ
ليفرحُ بهينٍ قليل * فكيفَ مَن وصلَ الى العطآءِ الجليل * وكانَ بيّنَ
الجنون * ليس خبْلهُ بالمكنون * فاتّبعهُ الاغبياء * وكذّبَ ما تقولهُ الانبياء *
حتى قتلهُ والي حلبَ حرسها اللهُ وذلكَ بعدَ مقتلِ البطريقِ المعروفِ
بالدَّوْقَس في بلدِ افامية * وكانَ الذي حثَّ على قتلهِ جيشُ بنُ محمد بن
صمصامة لان خبرهُ رُقيَ اليه فأَرسلَ الى سلطانِ حلب حرسها اللهُ يقولُ اقتلْهُ
والاَّ انفذتُ اليهِ مَن يقتلهُ وكانَ السلطانُ يتهاونُ بهِ لانهُ حقير * ورُبَّ شاةٍ
نتجَ منها الوقير * أي قطيعُ الغنم * وبعضُ الشيعةِ يُحدّثُ انَّ سليمانَ الفارسيّ
في نفرٍ معهُ جاؤا يطلبونَ عليَّ بنَ أَبي طالبٍ سلامُ اللهِ عليه فلم يجدوهُ في
منزلهِ فبيناهم كذلكَ جاءَت بارقةٌ تتبعها راعدة واذا عليٌّ قد نزلَ على اجّارِ
البيتِ في يدهِ سيفٌ مخضوبٌ بالدمِ فقالَ وقعَ بينَ فيئتينِ منَ الملائكةِ
فصعدتُ الى السمآءِ لاصلحَ بينهما والذينَ يقولونَ هذهِ المقالةَ يعتقدونَ ان
الحسنَ والحسينَ ليسا من ولدهِ فحاقَ بهمِ العذابُ الاليمُ * أَفلا يرى الى هذهِ

الامةِ كيفَ افتنّتْ في الضلالةِ كافتنانِ الربيعِ في اخراجِ الاكلاء * والوحشِ الراتعةِ في تربيبِ الاطلاء * وللكذبِ سوقٌ ليستْ للصدق * تجعلُ الأسدَ من ابنآءِ الفرق * واما الذي ذكرهُ من بلوغِ السنّ فان اللهَ سبحانهُ خلقَ مقراً وشهْدا * ورغبةً في العاجلةِ وزهدا * واذا اللبيبُ انعمَ النظرَ لم يرَ الحياةَ الاَّ تجذبهُ الى الضيَر * وتحثُّ جسدَهُ على السيَر * فالمقيمُ كاخي ارتحال * لا تثبتُ الاَقضيه بهِ على حال * صبحٌ يتبسّم وإمساء * لا يلبثُ معهما النسآء * كانهما سيدَا إضْرآء * والعمرُ ثُلّةٌ في اقتراء * وهما على السارحِ يغيرانِ * فيفنيانِ السائمةَ ويبيرانِ * وان كان مكّنَ اللهُ وطأَةَ الادبِ بقائهِ قدأماطَ الشيبةَ فانما الفقهآء في طلبِ علومٍ وآداب * صيرّ طلابَها الزمَ داب * ولو كانَ لها على الحيِّ تلبُّث * كان لها بنفسهِ النفيسةِ تشبُّث * ولكنها بعضُ الاعراضُ * لا تشعرُ بحياةٍ وانقراض * واذا كنا على ذمِّ هذهِ المنزلةِ مجمعين * ولفراقِها مزمعين * فلمَ نأسفُ على نأيِ الخوّانة * ان الاشاءَةَ لمن العوّانة * والاشاءَةُ النخلةُ الصغيرةُ والعوّانةُ النخلةُ الطويلةُ * ومتى اخلصَ قرينُ الغفلةِ توبة * فانها لا تتركُ حوبة * تغسلُ ذنوبَهُ غسلَ الناسكةِ جزيزَ الغرار * في متدفّق سحابٍ مدرار * كثرَ فيهِ القهَلُ والدّنَس * فأحبَّ رحضةَ الانَس * وكان قدأُخذ عن اثباجِ غنمٍ بيض * تفوقُ مايرتعُ منَ الريض * فعادَ وكأنّهُ كافورُ الطيب * او ما ضحكَ من كافورٍ رطيب * والكافورُ الطلّع وقيلَ هو وعآءُ الطلعةِ * فأما الغانياتُ بعدَ السبعين * فالاشيبُ لديهنَ كالعاسلِ يباكرُ العين * وقد حُكيَ ان أبا عمرو بن العلاء كانَ يخضبُ فاشتكى في بعضِ الأيامِ فعادهُ بعضُ أصحابهِ فقالَ نقومُ ان شاءَ

الله تعالى من علتك فقال ما آملُ بعد ستٍ وثمانينَ وعادَ اليهِ وقد تماثلَ فقال لا تحدّثْ بما قلتُ لكَ وهذا من ظريفِ ما رُويَ رغبَ في تمويهِ بالخضاب * وكتمِ سنّهُ عن كلِ الاصحاب * وقد تحدَّثَ بعضُ طلّابِ الأدبِ انه أدام اللهُ تزيينَ المحافلِ بحضورهِ ذكرَ التزويجَ يريدُ الخدمةَ فسرَّني ذلك لانهُ دلَّ على اقامةٍ بالوطن * وفي قربهِ الفرحةُ لذوي الفطن * اذ كانَ كالشجرةِ الوارفُ ظلالها في الهواجرِ * والباردُ هوآؤها في ناجرِ * والطيّبُ ثمرُها للذائقِ * والأرجُ نسيمُها للناشقِ * وهو يعرفُ حكايةَ الخليلِ عن العربِ اذا بلغَ الرجلُ الستينَ فايّاهُ وإيا الشواب * ولا خيرَ عندَ التواب * ولكن النَّصفَ * ممن يوصف * لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ * ولعلهُ تُقْدَرُ له كصاحبةِ أبي الأسود أم عمرو * وربَّ خيرٍ تحت الخُمر *

كثوبِ اليماني قد تقادمَ عهدُهُ * ورُقعتُه ماشئتَ في العينِ واليدِ

أو كما قالَ الآخر

ضناكٌ على نيرَينِ امستْ لِداتُها * بَلِينَ بِلا الرَيطاتِ وهي جديدُ

وحُكي عن أبي حاتمٍ سهلِ بنِ محمدَ انهُ قرأَ على الاصمعي شعرَ حسَّانَ بنِ ثابت فلما انتهى الى قوله

لم تفتها شمسُ النهارِ بشيءٍ * غيرَ انَّ الشبابَ ليسَ يدومُ

قال الاصمعي وصفها واللهِ بالكِبَر وقد يجوزُ ماقالَ والاشبهُ ان يكونَ قال هذا وهي شابّةٌ على سبيلِ التأسفِ أي ان الاشياءَ لابقآءَ لها كما قال الآخر

أنتَ نِعمَ المتاعُ لو كنتَ تبقى * غيرَ أنْ لابقآءَ للانسانِ

ولو نشطَ لهذهِ المأْربةِ لتنافستْ فيهِ العُجزُ والمكتهلات * وعلَتْ خِطبهُ المنُهبِلات * لان العاقلةَ ذاتَ الاخصاف * تجنُبُ الى مُعاشرةِ حليفِ الإنصاف * وهل هو كما قال الاول

ياعزَّ هل لكِ في شيخٍ فتًى أبداً * وقد يكونُ شبابٌ غيرُ فِتيانِ

فليسَ بأولِ من طلبَ نجوزا * فتزوَّجَ على السنِّ عجوزا كما قال

اذا ما اعرضَ الفتَياتُ عني * فمَن لي أن تساعفَني عجوزٌ

كأنَّ مجامعَ اللَحيينِ منها * إذاحسرتْعنِ العرنينِ كوزُ

ويُروى للحارثِ بنِ حلزة ولم اجدهُ في ديوانه

وقالوا ما نكحتَ فقلتُ خيراً * عجوزاً من عُرَيْنَةَ ذاتَ مالِ

نكحتُ كبيرةً وغرِمتُ مالاً * كذاكَ البيعُ مرتخصٌ وغالِ

وأعوذ بالله مما قال الآخر

عجوزٌ لو أنَّ الماءَ يُسقى بكفّها * لما تركتنا بالمياهِ نجوزُ

وما زالت العربُ تحمَدُ الحيزبونَ والشهلة * ولا تكرهُ مع الشرخِ الكهلةْ * وقد تزوّجَ النبيُّ صلى الله عليه وسلم خديجةَ بن خُوَيلدٍ وهو شابٌّ وهي طاعنةٌ في السنِّ وقالت لهُ أُمُّ سلمةَ ابنةِ أبي أُمية يارسول الله اني امرأةٌ قد كبرتُ وما اطيقُ الغيرةَ فقال امَّا قولكِ قد كبرتِ فأنا اكبرُ منكِ وأما الغيرةُ فاني سوفَ ادعو اللهَ ان يزيلها عنكِ * وقال الشاعر

فما انا بابنِ رُهمٍ قدعلمتم * ولا ابنَ العامليّةِ فاحذروني

ولكنّي وُلدتُ بنجمِ شكسٍ * لشمطآءِ الذوائبِ حيزبونِ

ولا أشكُ انه قد استخدمَ في مصرَ أصنافَ جوارٍ * هنَّ للمآربِ موارٍ *

ولولا انَّ اخا الكَبْرةِ يفتقرُ الى معين * لكانت الحزَامةُ ان يقتنعَ بوردِ المَعين * فهو يعرفُ قولَ القائلِ

ما العيشُ الاَّ القُفْلُ والمفتاحُ * وغرفةٌ تخرقُها الرياحُ
لا صخَبٌ فيها ولا صِياحُ

وحدَّثني ابنُ القنسري المقرئُ انهُ سمعهُ يسأَلُ عن غلامٍ للخدمةِ وربما كان استخدامُ الاحرارِ يمنعُ من القرار * فقد قال أبو عبادة

أَنا من ياسرٍ ويُسرٍ ونُجْحٍ * لستُ من عامرٍ ولا عَمَّارِ
ما بأَرضِ العراقِ ياقومُ حرٌّ * يفتديني من خدمةِ الاحرارِ

وان يخدمَ نفسهُ الوحيد * خيرٌ من أَن يلجَ بيتهُ العبيد * فطالما احوجوا المالكَ الى ضرب * وان يتقيَّهم بالغَرْب * ورُبَّ نازلٍ من أَهلِ الأَدبِ في خان * ليسَ بالخائنِ ولا المُستخان * يخدمهُ صبيٌّ هو من الرقِّ حرٌّ * وفي خدمتهِ السَرَقُ والضرُّ * اذا أَرسلهُ بالبِتَكِ بناتِ الدرهمِ ليأْتيه بالبطيخةِ حينَ يكثُرُ البطيخ ويتيح * شعرهُ المشتعل متيح * سرق في السُّبيلِ القطَع * وانتهى في الخيانةِ ونطَع * ثُمَّ وقفَ بالبائع * فغبنهُ غبنَ الرائع * فأَخذ صغيرةً من بطيخ * لا تلقى الناظرَ بمثلِ الورْسِ اللطيخ * ثم انصرفَ بها لاعبا * كأَنما هدَى كاعبا * فلم يزلْ يتلقَّفُ بها في الطريق * حتى كسرها بينَ فريق * فاختلطَ حبُّها بالحصباء * وزهِد في قربها كلُّ الأَرباء * ويجوزُ ان يحملَها في حالِ السلامةِ ويمضي ليسبحَ معَ الفِتيان * فإِذا نزل في الماء اختطفها بعضُ العرَمة منَ الصبيان * فأكلَها وَهوَ يراه * لايحفل بأَديمها إِذ فرَاه * وقد يرسلُهُ بالغضارةِ يلتمسُ لَبَنا * فيقابلُ من سوءِ الراي غبَنا * فإِذا حصلَ فيها

الهَذْبدِ * عَـثَر فاذا هو على الصحراء متَبَلِّد * وصـارت الفخّارةُ خزَفاً لا يراد * يلغيه النُسّكَةُ والمُرّاد * فان كان صاحبهُ يذهبُ مذهبَ ابنِ الروميّ عدَّانَّ تحطَّمَ الغضارة * فناءُ عيشهِ ذي الغَضارة * فدعا بالحَرَب * وشُدِهَ عن فواتِ الأَرَب * وما يصنعُ بذلك المُصمْقرّ * وقد حانَ المرتحَلُ الى المقرّ * وكان في بلدِنا غلامٌ لبعضِ الجندِ يزعم * ويصدقُ فيما زعم * انه كان مملوكا لابي أُسامةَ جنادةَ بنِ محمدٍ الهرَويّ بمصرَ وكانَ يأسفُ لفراقه * ويعجبُ من جميلِ اخلاقهِ * ويقولُ انهُ باعَهُ من اجلِ العَوم * لما اوقع غلاءً في السوم * وانما ذكرتُ ذلك لانه عرّفَ اللهُ الوقتَ بحياتهِ اي طيّبه * ممن قد عرف جُنادةَ وجرّدَه * واما اهلُ بلدي حرسهم الله فاذا كان الحظُّ قد اعطاني حسنَ ظنِ الغرباء * فلا يمتَنِع ان يُعطيني تلكَ المنزلةَ من الرهطِ القرباء * ولـكنهم معي كطلاّبِ الخطبـةِ من الاخرس * وحرّ ناجرٍ من شهرِ القَرس * وسيدي الشيخ ابو العباس الممتع في السنِ ولدٌ * وفي المودة اخٌ * وفي فضله جدٌّ او ابٌ * وانه في ادبهِ لكما قال تعالى وما لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * واما إشفاقُ الشيخ عمّرَ الله خلدَه بالجذل * واراحَ سمعهُ من كلِ عـذل * فتلك سجيةُ الانيس * لا يختصُّ بها اخو الجبنِ عن الشجاعِ البئيس * ومن القسوط * تعرضٌ بالقنوط * قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ كم من اديبٍ شربَ وطربَ ثم تاب * واجابَ العتاب * فقد يضلُّ الدليلُ في ضوءِ القمر * ثم يهديهِ اللهُ باحدِ الأَمر * وكم استنقذَ من اللجِ غريق * فسلمَ وله تشريق * وقد كان الفُضَيْلُ بنُ عياض * يسيمُ في أَوْبَلِ رياض * ثم حُسِبَ في الزهّاد * وجُعل من اهلِ الاجتهاد * وربَّ خليعٍ وهو فتى * تصدر لما

كَبَر وافتى * ومغنٍّ بِطُنْبورٍ او عود * قُدرَ لهُ تولّى السعود * فرقى منبرًا لِلعظات * من بعد ارسالِ اللحظات * ولعلَّهُ قد نظر في طبقاتِ المغنّينَ فرأى فيهم عمرَ بنَ عبدِ العزيز ومالكَ بن أنسٍ هكذا ذكر ابن خُرْدَاذَبَةَ * فان يك كاذبًا فعليه كَذِبُهُ * والحكايةُ معروفةٌ ان ابا حذيفةَ كان يشاربُ حمّادَ عجْرَدٍ وينادمه فنسك ابو حذيفةَ واقام ابو حمّادٍ في الغيِ فبلغهُ ان ابا حذيفةَ يذمهُ ويعيبه فكتب اليه حمّاد

ان كان نُسكُكَ لايتمُّ * بغيرِ شتمي وانتقاصي

فاقعدْ وقمْ بي كيفَ شئتَ مع الآداني والاقاصي

فلطالما زكّيتني * وانا المقيمُ على المعاصي

ايَّامَ تُعطيني وتأ * خذُ في اباريقِ الرصاصِ

أليسَ الصحابةُ عليهم رضوانُ الله كلُّهم كانَ على ضلال * ثم تداركهُ المقتدرُ ذو الجلال * وفي بعض الرواياتِ ان عمرَ بنَ الخطابِ خرجَ من بيتهِ يريدُ مجمعاً كانوا يجتمعونَ فيه للقمار * فلم يجدْ فيهِ احداً فقال لأذهبنَ الى الخمّار * لعلي اجدُ عندهُ خمراً فلم يجدْ عندَهُ شيئاً فقال لأَذهبنَ ولأُسلمنَّ * والتوفيق يجيءُ من اللهِ سبحانَهُ وتعالى بإِجبار * وفيما خوطبَ به النبي صلى الله عليه وسلم وَوَجدَكَ ضالاً فهدَى * وذكر ابو معشرَ المَدنيّ في كتاب المَبعثِ حديثاً معناهُ ان النبي صلى الله عليه وسلم ذبحَ ذبيحةً للاصنامِ فأخذَ شيئاً منها فطُبِخَ له وحمله زيدُ ابنُ حارثةَ ومضيا ليا كلاهُ في بعضِ الشعابِ فلقيهما زيدُ ابنُ عمرِو بنِ نُفيل وكان من المتألّهينَ في الجاهليةِ فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم ليأ كلَ من الطعامِ فسأَله عنه فقال هو شيءٌ ذبحناهُ لآلهتنا فقال زيدُ ابنُ عمرو

اني لا آكلُ من شيءٍ ذُبِحَ للأَصنام ِوانّي على دينِ ابراهيم صلى الله عليه وسلم فأَمر النبي صلى الله عليه وسلم زيدَ بنَ حارثةَ بالقآءِ ما معه * وفي حديث آخر وقد سمعتهُ باسنادٍ ان تميمَ بنَ أوسٍ الداريّ والدارُ قبيلةٌ من لَخَم كان يهدي الى النبي صلى الله عليه وسلم في كلِ سنةٍ راويةً من خمرٍ فجآءَ بها في بعض السنين وقد حرجتِ الخمرُ فأَراقها وبعضُ أَهلِ اللغةِ يقول فبَهّاها * والمطبوخُ وإِن اسكرَ فهو جارٍ مجرى الخمرِ على انَّ كثيراً من الفقهآءِ قد شربوا الجُمْهُوريَّ والبُخْتَجَ وَالمُنصَّف * وذُكِرَ عند احمدَ بنِ يحيي ثعلبٍ احمدُ بن حنبل وإِنْ كانَ شربَ النبيذَ قطّ * والنبيذُ عندَ الفقهآءِ غيرُ الخمرِ فقال ثعلبٌ أَنا سقيتهُ بيدي في ختانةٍ كانت لخلفَ بنِ هشامِ البَزَّار * فأَما الطلاء فقد كان عمر بن الخطاب عليه السلام جزّاً منه على نصارى الشامِ لجنودِ المسلمينَ والمثل السائر

هيَ الخمرُ تكنى الطِلآءِ * كما الذئبُ يُكنى أَباجعده

وهذا البيت يروى ناقصاً كما عُلِمَ وهو يُنسَبُ الى عبيد بن الأَبرص وربما وجدَ في النسخةِ من ديوانهِ وليس في كلِّ النسخِ والذي اذهبُ اليهِ ان هذا البيت قيل في الاسلام بعد ما حُرِّمتِ الخمرُ وانما لذّةُ الشُرْبِ فيما يعرضُ لهم من السكرِ ولولا ذلك لكان غيرُها من الاشربةِ اعذبَ وأَذْفأَ وقال التغلبيّ

عللاني بشربةٍ من طلآءِ * نعمتُ النيمِ في شبا الزَّمهريرِ

ويروى لدعبل

عللاني بسماعٍ وطلا * ونصيفٍ جائعٍ يبغي القرى

وهذا يدلُّ على ان الطلا يُسكرُ ويُروى للهذلي

إذا ما شئتُ باكرني غريضٌ * وزقٌّ فيهِ نيٌّ او نضيجُ

وقال آخر

لا تسقني الخمرَ الا نيئةً قدُمتْ * تحتَ الختام فشرُّ الخمرِ ما طُبخا

وان كان هيّاً أَ اللهُ له المحابَّ قد شربَ نيّاً * وقال له النُّدمانُ هنيّاً * فلهُ أُسوَةٌ بشيخِ الازد محمدُ بن الحسن اذ قال

بل ربَّ ليلٍ جمعتْ قطريهِ لي * بنتُ ثمانينَ عروسٌ تُجتَلى

ثم قال في آخر القصيدة

فان امُتْ فقد تناهتْ لذتي * وكلُّ شيءٍ بلغَ الحدَّ انتهى

وما اختارُ لهُ أَن يأخذَ بقول الحكَمي

قالوا كبرتَ فقلتُ ما كبرتْ يدي * عن أَن تسيرَ الى فمي بالكأسِ

وهو يعرفُ البيتَ

وما طبخوها غيرَ انَّ غلامَهم * سعى ليلةً في كرمِها بسِراجِ

وقولَ عبدِ اللهِ بنِ المعتز

ذكرَ العلجُ أَنهم طبخُوها * فرضينا ولو بعودِ خلالِ

وقدماً طابَ النُدامى مطبوخا * شبَّاناً في العمرِ وشيوخا * ينافقونَ بالصفةِ ويوارون * وعن الصهباءِ العاتقةِ يدارون * وأَبياتُ الحسينِ بنِ الضحاكِ الخليعِ التي تنسبُ الى أَبي نواسَ معروفةٌ

وشاطريِّ اللسانِ مختلَقِ التـ * ـكريهِ شابَ المجونَ بالنُسكِ

باتَ بغُمّى يَرتادُ صاليةَ الا * نارِ ويَكنى عن ابنةِ الملكِ

دسستُ حمرآءَ كالشهابِ لهُ * من كفِّ خمّارِ حانةٍ أُفكِ
يحلفُ عن طبخها بخالقهِ * وربِّ موسى ومنشيءِ الفُلُكِ
كانما نصبُ كأسِها قمرٌ * يكرعُ في بعضِ انجمِ الفَلَكِ

ومن النفاقِ ان يظهرَ الانسانُ شربَ ما أَجاز شربَهُ بعضُ الفقهآء * ويعمِدَ الى ذاتِ الاقهآء * فقدأَحسنَ الحَكَميُّ في قوله

فاذا نزعتَ عن الغوايةِ فليكنْ * للهِ ذاكَ النزعُ لاللناسِ

وقد آنَ لمولاي الشيخِ أَن يزهدَ في شيمةِ حُمَيْد * وينصرفَ عن مذهبِ أَبي زيد * وانما عنيتُ حُمَيدَ الأَمجيَّ قائلَ هذهِ الابيات

شربتُ المدامَ فلم اقلعِ * وعوتبتُ فيها فلم ارجعِ
حُمَيدُ الذي أَمَجٌ دارُهُ * اخوالخمرِذوالشيبةِ الاصلعِ
علاهُ المشيبُ على حبِّها * وكانَ كريماً فلم يَنزَعِ

وقال آخر

تُعاتبني في الرّاحِ أُمٌّ كبيرةٌ * وما قولُها فيما أَراهُ مصيبُ
تقولُ الا تجفو المدامَ فعِندنا * من الرزقِ تمرٌ مُكثِبٌ وزبيبُ
فقلتُ رويداً ماالزبيبُ مُفرّحي * وليسَ لتمرٍ في العظامِ دبيبُ
فانَّ حُمَيْدًا علَّها في شبابهِ * ولم يَصْحَ منها حينَ لاحَ مشيبُ

واذا تسامعت المحافلُ بتوبتهِ اجتمعَ عليـه الشبانُ المقتبلون * والأُدباء المكتهلون * وكلُّ أَشيبَ لم يبقَ من عمرهِ الاضئمُ حمار * كما اجتمعَ لِسَمَرٍ أَصنافُ السُّمّار * فيقتبسون من آدابِهِ * ويُصغُونَ المسامعَ لخطابِه * وجلس لهم في بعضِ المساجدِ بحلبَ حرسها اللهُ فانّها من بعدِ أَبي عبدِ اللهِ بنِ خالويه

عَطَلَتْ من خلخالٍ وسوار * ونارت من الادبِ اشدَّ النوّار * واذا كان ذلك بتفضّلِ اللهِ اعدَّ معهُ خنجراً كخنجرِ ابنِ الروميّ او الذي عناهُ ابن هرْمة في قوله

لاأُمتِعُ العُوذَ بالفصالِ ولا * ابتاعُ الا قريبةَ الأَجلِ

لاغنمي في الحياةِ مُدّلهاً * الاَّ دِراكَ القرى ولا إِبلي

كم ناقةٍ قد وجأْتُ مِنحرَها * بمستهلِّ الشؤبوبِ او جَمَلِ

فاذا جاسَ في منزلهِ مجالسَهُ الذي يلتقطُ اهلُه زهرَ اسحار * بل لؤلؤَ بحار * فيكونُ ذلكَ الخنجرُ قريباً منهُ فاذا قضى ان يمرَّ ببابِ المسجدِ الكهلُ المرقَّبُ الذي ارادهُ القائلُ بقوله

اذا الكهلُ المرقَّبُ غاضَ أَلنَا * الى سيٍّ له في القرْوثانِ

كأَنَّ الذارعَ المغاولَ منها * سليبٌ من رجالِ الدَّيْبلانِ

وثَبَ اليه وثبةَ نَمِر * الى متُخلفةٍ وقيرٍ أَمِر * او امرَ بعضَ اصحابهِ بالوثوبِ اليه فوجأَهُ بذلك الخنجرِ وجأةً فانبثَ بمثلِ الدم * او الخالصِ من العَندم * وقرأَ هذه الآيةَ إِنَّ الحسناتِ يُذهبنَ السيّئاتِ ذلكَ ذِكرى للذاكرينَ * فاذا مضى صاحبهُ مستعدياً الى السلطانِ فقالَ من فعلَ ذلك بك فسمّاهُ لهُ قال السلطانُ بمشيئةِ اللهِ لاحرَّ بوادي عوفٍ ما اصنع بجنثِ الأَدبِ وبقيةِ اهله ووطئها تحتَ قدمه * وحسبها من زعانفِ أُدمه * مايفعل ذلك مرةً او اثنتين الا وحملةُ الذوارعِ قد اجتنبت تلك الناحيةَ كما اجتنبتْ ابو سفيان ابن حرب طريقهُ من خوف النبي صلى الله عليه وسلم فقال حسان

اذا اخذتْ حوْرانُ من رملِ عالجٍ * فقولا لها ليسَ الطريقُ هنالكِ

ولا بأس ان كان المُعَدُّ مِشْمَلاً يَشْتَمِلُ عليه في الكُمّ فاذا ضُرِبَ بَرَّ ذارعُ الخمرِ * ذَكَرَ مَن نظرَ في كتابِ المبتدا حديثَ طالوتَ لما أَمرَ ابنتَهُ وهي امرأةُ داود صلى الله عليه وسلم ان تُدخلَهُ عليهِ وهو نائمٌ ليقتلَه فجعلتْ لهُ في فراشِ داودَ زقَّ خمرٍ ودسَّتهُ عليهِ وضربَهُ بالسيفِ وسالتِ الخمرُ فظنَّ انها الدمُ * فادركَهُ الأَسفُ والندمُ * فأَومأَ بالسيفِ ليقتلَ نفسَه ومعهُ ابنتُهُ فامسكت يدَه وحدَّثتهُ مافعلتهُ فشكرها على ذلك * ويكونُ السكرانُ اذا المَّ بذلك المسجدِ تُرْتَرَ ومُزْمِزَ كما جآءَ في الحديث واستُنْكِهَ فان اوجبت الصورةُ ان يُجلَدَ جُلِد ولا يقتصرُ له الشيخُ اغراهُ الله ان يأْمرَ بالمعروفِ وينهى عن المنكرِ على اربعينَ في الحدِّ على مذهبِ اهل الحجازِ ولكن يجلدهُ ثمانينَ على مذهبِ اهلِ العراقِ فانها اوجعُ وافجع * ويقال ان النبي صلى الله عليه وسلم جلَدَ اربعينَ فلما صارَ الامرُ الى عمرِ بنِ الخطاب عليه السلام استقلَّها فشاورَ عليًّا عليهِ السلامُ فجعلاها ثمانين * واذا صحت الاخبارُ المنقولةُ بان اهلَ الآخرةِ يعلمون اخبارَ اهلِ العاجلةِ فلعلّ حواريَهُ المعدَّاتِ لهُ في الخلدِ يسأَلنَ عن اخبارهِ مَن يَردُ عليهنَ من الصلحآءِ فيسمعْنَ مرةً انه بالفُسطاط وتارةً انهُ بالبَصْرة ومرة انه ببغداد وخطرةً انه بحلب * فاذا شاعَ امرُ التوبةِ وماتَ ناسكٌ من اهلِ حلبَ اخبرهنَّ بذلك فسُرِرْنَ وابتهجنَ وهنأَ هُنَّ جاراتُهنَّ ولا ريبَ انهُ قد سمعَ حكايةَ البيتينِ الثابتَينِ في كتابِ الاعتبار

انعمَ اللهُ بالخيالينِ عيناً * وبمسراكِ يا أُميمُ الينا

عجبًا ماجزعتِ من وحشةِ اللحـــــدِ ومن ظلمةِ القبورِ علينا

أَعوذُ باللهِ من قوم يحثهم المشيبُ على ان يستكثروا من أُمّ زَنبَق * كأَنها

المُنجيةُ من بنتِ طَبَق * كما قال حاتم

وقد علمَ الاقوامُ لو انَّ حاتماً * أرادَ ثراءَ المالِ كانَ لهُ وَفرُ
يُفَكُّ بهِ العاني ويؤكلُ طيبًا * وليستْ تُعرّيهِ القداحُ ولا اليَسْرُ
اماويَّ إنْ يصبحْ صدايَ بقفرةٍ * من الأرضِ لا ماءٌ لديَّ ولا خمرُ
ترَيْ أنَّ ما اهلكتُ لم يكُ ضَرَّني * وأنَّ يدي مما بخلتُ بهِ صِفرُ

وقال طرَفَة

فان كنتَ لا تستطيعُ دفعَ منيّتي * فَدَعْني أُبادرْها بما ملكتْ يدي

وقال عبدُ اللهِ بن المعتز

لا تُطلْ بالكؤسِ مطلي وحبي * ليسَ يومي ياصاحبي مثلَ أمسي
لا تَسلني وسَلْ مَشيبيَ عني * مذعرفتُ الخمسينَ انكرتُ نفسي

فهـذا حثّتهُ كثرةُ سنيهِ على أن يستكثر من السُّلافة * وما حفظَ حقَ الخلافة * وانَّ العَجبَ طمعهُ أن يلي * كأنه في العبادة شَجِبَ وبُلي * ولكنَّ القائلَ قال لمعاوية بن يزيد

تلقّاها يزيدُ عن أبيهِ * فخذها يا معاويَ عن يزيدا

وقد كان محمد بن يزيد المبرّد ينادمُ البُحترِيَّ ثم ترك وانا اضَنُّ بهِ ميَّزَ اللهُ من الغيظِ قلبَ عدوِّهِ أنْ يكونَ كأبي عثمان المازني عُوتبَ في الشراب فقال اذا صار اكبرَ ذنوبي تركتهُ * واما ابراهيم بن المهدي فقد أساءَ في تعريضهِ بالكأسِ لمحمدِ بنِ حازمٍ ولكن مَن عَبثَ باليمِّ والزير * لم يكن في الديانةِ اخا تعزير * وقد رُوِيَ انَّ المعتصمَ دعا ابراهيمَ كعادتهِ فغنّاهُ البيتينِ اللذينِ يقالُ فيهما غنّى صوتَ بنِ شكلةَ وبكى ابراهيمُ فقال له المعتصمُ ما يُبكيك

فقال كنتُ عاهدتُ اللهَ اذا بلغتُ ستينَ سنةً ان اتوبَ وقد بلغتُها فاعفاهُ المعتصمُ من الغناء وحضورِ الشراب * والتوبةُ اذا لم تكن نصوحا * لم يُلفَ خلقُها منصوحا * وكان في بلدِنا رجلٌ مغرم بالقهوةِ فلما كبرَ رغبَ في المطبوخ وكان يحضرُ مع نداماهُ وبين يديهِ خرْدَاذيٌّ فيه مُطْبَخَةٌ وعندهم قدحٌ واحدٌ فيشربُ هو من المطبوخِ ويشربُ اصحابهُ من النيءِ فاذا جاء القدحُ اليه ليشربَ غسلَهُ من اثرِ الخمرِ وشربَ فيه فاذا فرغَ خرْدَاذيُّ المطبوخَ رجع فشربَ من شرابِ اخوانه * واما مخاطبتهُ غيرَهُ وهو يعني نفسَهُ فهو كقولهم في المثلِ إياكِ أعني واسمعي ياجارة ولا عَنْدَدَ عن الجبلّةِ يُريدُ المتنسّكُ ان ينصرفَ حبهُ عن العاجلة وليس يقدرُ على ذلك كما لا تقدرُ الظبيةُ ان تصيرَ لَبُؤة * ولا الحصاةُ ان تتصور لؤلؤة * يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ * وقولِ القائل في الدعاء اللهمَّ اجعلْ وَصَيي بازيا * يكون للسفهِ مواذيا

لقد علمتَ ولا انهاكَ عن خُلُقٍ * ان لا يكونَ امرؤٌ إلّا كما خُلِقا

وأنّا لَنجدُ الرجلَ موقناً بالآخرةِ مصدقاً بالقيامةِ معترفاً بالوحدانيةِ وهو يحجأُ على النابجِ بعظم * وعلى الجاريةِ بدارية نظم * كأنه في الأرض مُخلَّد * وان فني سهلٌ وجلَّد * وكثيرٌ من الذين يتلون الآية مَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ وهم بها مصدقون * ومن خشيةِ إلههم مشفقون * يضنّونَ بالقليلِ التافهِ * ولا يسمحونَ للسائلِ ولا الوافهِ * فكيفَ تكونُ حالُ من يُنكِرُ حديثَ الجزاء * ولا يقبلُ عن الفانيةِ حسنَ العزاء * وقد

مرَّ حديثُ ابي طلحةَ او ابي قتادةَ ومعناهُ انهُ خاصمَ يهودياً الى النبي صلى الله عليه وسلم وكان لابي طلحة حديقةُ نخلٍ وبينهُ وبينَ اليهودي خُلْفٌ في نخلةٍ واحدةٍ فقال النبي صلى الله عليه وسلم لليهوديّ اتسمحُ له بالنخلةِ حتى اضمنَ لكَ نخلةً في الجنةِ ونعتها رسول الله صلى الله عليه وسلم بنعوتِ اشجارِ الجنةِ فقال اليهوديُّ لا ابيعُ عاجلاً بآجلٍ فقال ابو طلحةَ اتضمنُ لي يارسولَ اللهِ كما ضمنتَ لهُ حتى اعطيهُ الحديقةَ فقال نعم فرضي ابو طلحةَ بذلك واخذ اليهوديَّ وذهبَ الى حديقته فوجد فيها امرأَتَه وابناءَهُ وهم يأكلونَ من جناها فجعلَ يُدخِلُ اصبعهُ في افواهِهم فيخرجُ ما فيها من التمرِ فقالت امرأَتهُ لِمَ تفعلُ هذا ببنيكَ فقال اني قد بعتُ الحديقةَ فقالت ان كنتَ بعتها بعاجلٍ فبئسَ ما فعلتَ فقصَّ عليها الخبرَ ففرحتْ بذلك ولو قيل لبعضِ عبّادِ هذا العصرِ اعطِ لبنةً ذاتَ قضّه * لتُعطى في الآخرةِ لبنةً من فضّة * لما أجاب * ولو سُئِلَ أَمةً عوراء * يُعوَّضُ منها في الآخرةِ بحَوْراء * لما فعلَ على أَنَّهُ منَ المصدّقين * فكيفَ مَن غُذيَ بالتكذيب * وجحدَ وقوعَ التعذيب * واما خاذُوهُ فلقي طائرَ الحَيْن * متكفياً من بين جناحين * فلا إلهَ الا الله ما أُعدَّ المِهراس * لِيُنْضَخَ بهِ الراس * ولكن لكلِ أَجلٍ كتاب * والشرُّ يَبْكُرُ وينتاب * مَنَتْهُ نفسهُ التوبةَ فكانت كصاحبةِ امرئ القيس لما قال لها

مَنَّيْتِنا بغدٍ وبعدَ غدٍ * حتى بخلتِ كأَسواءِ البخلِ

ويُحكى عن أَبي الهذيلِ العلاّفِ انه كانَ يمرُّ في الاسواقِ على حمارٍ ويقول ياقومُ احذروا توبةَ غلامي وكان له غلامٌ يعِدُ نفسهَ التوبةَ فسقطت عليهِ آجرَّةٌ

فقتلَته * والدنيا الغرّارةُ ختلَته * وأولَ ما سمعتُ باخبارِ الشيخِ أدامَ اللهُ تأثيلَ
الفضلِ ببقائه من رجلٍ واسطيٍّ يتعرّضُ لعلمِ العروضِ ذكَرَ أنهُ شاهدَهُ
بِنَصيبِينَ وفيها رجلٌ يُعرَفُ بأبي الحسينِ البصري معلماً لبعضِ العلويّةِ وكان
غلامٌ يختلف اليه يُعرَفُ بابنِ الدّانِ وقد اجتاز الشيخُ ببلدنا والواسطيُّ يومئذٍ
فيه وقد شاهدت عنداً بي أحمد عبد السلام بن الحسين المعروف بالواجكا
رحمه الله فلقد كان من احرارِ الناسِ كُتباً عليها سماعٌ لرجلٍ من أهلِ حلب
وما أَشكُّ انهُ الشيخُ أيدَ اللهُ شخصهُ بالتوفيق وهو اشهرُ من الأبلقِ
العقوق لا يفتقرُ الى تعريفٍ بالقريض * بل يصدَحُ شرفهُ بغيرِ التعريض * قال
البكريُّ النسّابةُ لرؤبةَ مَن أنت * قال أنا ابنُ العجاج قال قصّرتَ وعرّفت *
وانما هو في الاشتهار * كما سطع من ضوء نهار * وكما قال الطائي

تحميهِ لألاؤهُ او لوذعيّتُهُ * من أنْ يُذالَ بمَنْ اوممَّنِ الرجُلُ

وان تناسخت الامَمُ في العصور * فهو عليُّ بن منصور * الذي مدحه الجعفيّ *
فقال والخالق وفيّ

في رتبةٍ حجَبَ الورى عن نيلها * وعلا فَسمّوهُ عليَّ الحاجبا

حجَبَ طلاّبَ الأدبِ عن تلكَ الرتبة * ونزلَ بالشامخةِ لا العتَبَة * وأما العلماء
الذين لقيهم فأولئكَ مصابيحُ الناجية * وكواكبُ الداجية * وانَّ في النظرِ
اليهم لَشرفا * فكيفَ بمن اغترفَ من كلِّ بحرٍ وَجدَ غُرَفا * وانما أقول ذلك
على الاقتصار ولعلّهُ قد نزفَ بحارَهم بالقلمِ والفَهم * وفتحوا له اغلاقَ البُهم *
جمعُ بُهمةٍ وهو الامرُ الذي لا يُهتدى له فأَخذَ عن الكتابيِّ سُورَ التنزيل *
وفازَ بثوابٍ جزيل * فكأَنما لقّنهُ إيّاهُ الرسول * وبدون تلك الدرجةِ يُبلَغ

السُّول * او أَخذها عن جبرئيل * فلا غِيَرَ ولا تبديل * وسهلوا له ما صَعُبَ من جبالِ العربيةِ فصارت حزُونته كتابِ سِيبويهِ عندَهُ كالدّماث * وغنِيَ في اللجَجِ عن ركوبِ الارماث * واما انحيازهُ الى أَبي الحسن رحمه الله فقد كان ذلك الرجلُ سيّدا * ولمن ضَعُفَ من أَهلِ الأَدبِ مؤيّدا * ولمن قوي منهم وآدًا * ودونَهُ للنوبِ محادّا * وكان كما قال القائلُ

واذا رأَيتَ صديقَهُ وشقيقَهُ * لم تدرِ أَيّهما ذوو الأَرحامِ

وكما قال الطائي

كلُّ شعْبٍ كنتم بهِ آلَ وَهبٍ * فهو شِعْبي وشِعْبُ كُلِّ أَديبِ

والمثلُ السائرُ على أَهلها تجنى بَرَاقِشُ وذَكَرَ الصُّوليُّ انه دخل على المُتقيّ بعد ما قتَلَ بنو حمدانِ محمدَ بنِ رائقٍ فسأَلهُ عن أَبياتِ نَهْشَل بن حَرِيّ

ومولًى عصاني واستبدَّ برأيهِ * كما لم يُطعْ بالبَقّتينِ قصيرُ
فلمّا رأَى ما غِبَّ أَمري وأَمرهُ * ونآتْ باعجازِ الامورِ صُدُورُ
تمنّى نئيشاً أَن يكونَ أَطاعني * وقد حدَثتْ بعدَ الامورِ أُمورُ

يُقالُ فعل كذا نئيشاً أَي بعد مافات قال الشاعر

انّكَ يا قُطَيْنُ ولستَ منهمْ * لَأَلأَمُ مالكٍ عقَبًا ورشيا
تناءَتْ منكمُ عدَسُ بنُ زيدٍ * فلم تعرفكمُ الا نئيشا

وما زال الشبانُ المحسُّونَ من أَنفسهم بالنهضةِ يبغونَ ما شرُفَ من المراهص * وكيف بالسلامةِ من الواهص * والمثلُ السائرُ رأْيُ الشيخِ خيرٌ من مشهدِ الغلام * وربما سار الطالبُ سَورة * فواجهت من القدرِ زورَة * إِنَّ الغُفَّةَ من العيش * لتغني المجتهدَ عن البري والريش * ولكن لا موئلَ من القضاء

المحتوم * وآهٍ من عُمُرٍ بالتلفِ مختوم *

وسَوْرَةِ علمٍ لم تُسدَّدْ فأَصبحتْ * وما يُتَمارَى انها سَورةُ الجهلِ

واما حجُجهُ الخمسُ فهو ان شآءَ الله يستغني في المحشرِ بالاولى منهنَّ وينظرُ في المتأخّرينَ من أهلِ العلمِ فلا ريبَ انه يجِد فيهم مَن لم يَحْجُجْ فيتصدَّقُ عليهم بالاربعِ وكأني به وعمَاعِمُ الحجيج * يرفعونَ التلبيـةَ بالعجيج * وهو يفكّرُ في تلبياتِ العربِ وانها جاءَت على ثلاثةِ أَنواعٍ * مسجوعٍ لا وزن له * ومنهوكٍ ومشطورٍ فالمسجوعُ كقولهم لبَّيكَ ربَّنا لبّيكْ * والخيرُ كلُّهُ بيديك * والمنهوكُ على نوعينِ أَحدهما من الرَجزِ والآخرُ من المنسرحِ فالذي من الرَجزِ كقولهم لبَّيكَ انَّ الحمدَ لك * والملكَ لا شريكَ لك * الا شريكَ هو لك * تملكُهُ وما مَلَكْ * أَبو بناتٍ بِفَدَكْ * فهذهِ من تلبياتِ الجاهليةِ وفَدَكُ يومئذٍ فيها أَصنامٌ * وكقولهم لبَّيكَ يامعطي الأَمرِ * لبّيكَ عن بَني النَّمرِ * جئناكَ في العامِ الزَّمِرِ * نأَملُ غيثاً ينهمِر * يطرقُ بالسيلِ الخَمِرْ * والذي من المنسرحِ جنسانِ أَحدهما في آخرهِ ساكنانِ كقولهم لبّيكَ رَبَّ همَدان * من شاحطٍ ومِن دان * جئناكَ نبغي الإِحسان * بكلِّ حرفٍ مذعَان * نطوي اليكَ الغِيطان * نأَملُ فضلَ الغفران * والآخرُ لا يجتمع فيه ساكنان كقولهم لبّيك عن بجيلَه * الفَخْمَةِ الرجيلَه * ونعمتْ القبيلَه * جاءَتْكَ بالوسيلة * تؤمّلُ الفضيلَة * وربما جآؤُا بهِ على قوافٍ مختلفة كما رووا في تلبيةِ بكرِ بنِ وائلٍ لبّيكَ حقّاً حقا * تعبداً ورقّا * جئناكَ للنصاحة * لم نأْتِ للرَّقاحة * والمشطورُ جنسانِ احدهما عند الخليل من الرجز كما روى في تلبية تميم

لبّيكَ لولا انَّ بكرًا دونكا * يشكُرُكَ الناسُ ويكفرونكا

ما زالَ منا عَثَجٌ يأتونكا

والآخر من السريع وهو نوعان أحدهما يلتقي فيه ساكنان كما يروونَ في تلبيةِ همدان

لبّيكَ معْ كلِّ قبيلٍ لَبّوكْ * همْدانُ ابناءُ الملوكِ تدعوكْ

قد تركوا أصنامَهم وأتابوكْ * فاسمعْ دعاءً في جميعِ الأملوكْ

قولهم لَبّوك أي لزموا أمرَك * ومن روى لبوك فهو سنادٌ مكروهٌ * والمشطورُ الذي لا يجتمع فيه ساكنان كقولهم

لبَّيكَ عن سعدٍ وعن بنيها * وعن نسآءٍ خلفها تُغْنيها

سارت الى الرحمةِ تجتنيها

والموزونُ من التلبيةِ يجبُ أن يكونَ كلُّهُ من الرجزِ عند العربِ ولم تأتِ التلبيةُ بالقصيدِ ولعلَّهم قد لبّوا بهِ ولم تنقلْهُ الرواةُ وكأني لمّا اعتزمَ على استلامِ الركنِ وقد ذكرَ البيتينِ اللذينِ ذكرهما المفجّعُ في حد الاعراب

لو كانَ حياً قبلهنَّ ظعائنا * حيّا الحطيمُ وجوههنَّ وزمزمُ

لكنّهُ عما يطيفُ بركنهِ * منهنَّ حمّاءُ الصدى مستعجمُ

فيعجَبُ من خروجهِ من المذكّرِ الى المؤنثِ واذا حملَ هذا على اقامةِ الصفةِ مقامَ الموصوفِ لم يبعدْ وكذلك يذكر قول الآخر

ذكرتُكَ والحجيجُ له عجيجٌ * بمكّةَ والقلوبُ لها وجيبُ

فقلتُ ونحنُ في بلدٍ حرامٍ * بهِ للهِ أخلصتِ القلوبُ

أتوبُ اليكَ يا ربّاهُ مما * جنيتُ فقد تظاهرتِ الذنوبُ

فأمّا من هوى ليلي وحبّي * زيارتِها فاني لا أتوبُ

فيقولُ أَليسَ قال البصريونَ ان هآء النُّدْبَة لا تَثبُتُ في الوصـلِ والهآء في قوله يا رباهُ مثلَ تلكَ الهآء ليس بينهما فرقٌ ولـكن يجوزُ أن يكونَ مغزاهم في ذلك المنثورَ من الـكلامِ اذا كان المنظومُ يحتملُ أشياء لا يحتملها سواه ولعلَّهُ قد ذكر هذه الابيات في الطوافِ

اطوّفُ بالبيتِ فيمن يطوفُ * وأرفعُ من مئزري المُسْبَلِ

واسجدُ بالليلِ حتى الصباحِ * واتلو من المُحكَمِ المُنْزَلِ

عسى فارجَ الكربِ عن يوسفٍ * يُسخِّرُ لي ربَّةَ المِحْمَلِ

فقالَ ما أيسرَ لفظ هذه الابيات لولا انه حذَف إنْ من خبر عسى فسبحان الله لا تَعـدمُ الحسناءُ ذاما وأيُّ الرجالِ المهذبُ *وذكرَ عند النفرِ وتفرّقِ الناس هذين البيتين

ودّعي القلبَ يا قَريبَ وجودي * لمحبٍّ فِراقـهُ قـد أَحمّـا

ليسَ بينَ الحياةِ والموتِ إلاّ * أَنْ يردّوا جِمالهم فتُزَمّا

وقولَ قيسِ بنِ الحَطيم

ديارُ التي كادت ونحنُ على منىً * تحُـلُّ بنـا لولا نجاءُ الركائبِ

ولم أرَهـا إلاّ ثلاثاً على منىً * وعهدي بها عذرآء ذاتَ ذوائبِ

تبدّت لنا كالشمسِ تحتَ غمامةٍ * بدا حاجبٌ منها وضنّتْ بحاجبِ

وميّز بين هذينِ الوجهينِ في قولهِ تحلُّ بنا لانه يحتمل ان يكون تحلُّ فينا وقد يجوز أن يريد تحلُّنا كما يقال انزل بنا هاهنا أي أنزلنا ومنه قوله

كما زلّتِ الصفواءُ بالمتنزّلَ

وان كانت الحِجج التي اتى بها مع مجاورةٍ فقدا قام بمكة حتى صار اعلمَ بها من

ابنِ دايةَ بوَكْرِهِ والكدريّ بأفاحيصه والحرباء بتَنْضبتِهِ وان كان سافرَ الى اليمنِ أو غيرهِ وجعل يحجُّها في كل سنة فذلك أَعظمُ درجةٍ في الثواب * واجدرُ بالوصولِ الى محلِّ الأَوَّاب * ولعلهُ وقفَ بالمغمّس وترحم على طُفَيل الغنويّ لقوله

هل حبلُ شمّاءَ بعدَ الهجرِ موصولُ * ام انتَ عنها بعيدُ الدار مشغولُ
اذ هيَ احوى من الرِّبْعيِّ حاجبهُ * والعينُ بالإِثمدِ الحاريِّ مكحولُ
ترعى اسرّةَ موْليٍّ اطاعَ لها * بالجزعِ حيثُ عصى اصحابهُ الفيلُ

وانما اطلقتُ الترحمَ على طُفيل اذ كان بعضُ الرواةِ يزعُم انه ادركَ الاسلامَ ورُويَ له مدحٌ في النبي صلى الله عليه وسلم ولم أَسمعهُ في ديوانه وهو

وأَبيكَ خيرٍ انَّ إِبلَ محمَّدٍ * عُزُلٌ تناوحُ إِنْ تهبَّ شمالُ
وإِذا رأَينَ لدى الفناءِ غريبةً * فاضتْ لهنَّ منَ الدموعِ سجالُ
وترى لها حدَّ الشتاءِ على الثرى * رخَماً وما تحيا لهنَّ فِصالُ

وأنشد أَبياتَ بنِ أَبي الصلت الثقفي

ان اياتِ ربّنا ظاهراتٌ * ما تمارى فيهنَّ الا الكفُورُ
حُبِسَ الفيلُ بالمغمّسِ حتى * ظلَّ يحبو كأَنَّهُ معقورُ
كلُّ دينٍ يومَ القيامةِ عندَ اللـ * ـهِ الاَّ دينَ الحنيفةِ بورُ

وما عدم ان تخطرَ لهُ أَبيات نُفيل

أَلا حُيّيتِ عنا يا رُدَيْنا * نَعِمنا كمْ معَ الإِصباحِ عينا
رُدَيْنَةُ لو رأَيتِ فلا ترَيْهِ * لدى جنبِ المغمّسِ ما رأَينا
إِذاً لعذرتِني ورضيتِ أَمري * ولم تأْسَيْ على ما فاتَ بينا

حَمِدتُ اللهَ اذ ابصرتُ طيراً * وخِيفَ حجارة تُلقى علينا
وكلُّ القوم يَسأَلُ عن نُفَيلٍ * كأَنَّ عليَّ للحُبْشانِ دينا

وليت شعري اقارنَا أهلَّ أم مفرداً وأرجو أن لا تكونَ لقيتْهُ بمكّةَ شَهْلَةٌ تعرضُ عليهِ فُتيا بن عباس * تخلفُ مابها من بأس * فتذكر قول القائل

قالت وقد طفتُ سبعاً حولَ كعبتها * هلْ لكَ ياشيخُ في فُتيا بنِ عبّاسِ
هلْ لكَ في رَخصةِ الاطرافِ ناعمةٍ * تُمسي ضجيعكَ حتى مَصدَرِ الناسِ

فأما المنتسبونَ الى جوهرٍ فالجوهرُ بعدَ ادراكِ الحظ * يرجعُ الى تغييرٍ وتَشَظّ * كم درّةٍ في تاجِ مَلِك * لما رُمِيَ بالمهلِك * فضَّتها من الأسفِ خطاياه * وهل تَثني منَ الأَجلِ سراياه * وأُخرى على نحرِ كعاب * شطّت عن الدنَسِ والعاب * مُنيتْ بالنقابةِ أو النُّحاز * فجعلتها الوالدةُ في منحاز * وكأَني به وقد مرَّ بأَنطاكيةَ فذكر قول امرئ القيس

علونَ بانطاكيَّةٍ فوقَ عقمةٍ * كجرمةِ نخلٍ او كجنةِ يثربَ

وخطرَ له ان النَّطِكَ وهو اللفظ الذي يجب ان يشتقَّ منه انطاكيّة لو كانت عربية مهْمَلٌ لم يحكهِ مشهورٌ من الثقات ولما مر بمَلَطْيَةَ انكر وزنها وقال فَعْلَيَةٌ مثالٌ لم يُذكَرْ واذا حملناها على التصريف وجب ان تكون ياؤها زائدة لا ن قبلها ثلاثة من الأصول * واما صديقهُ الذي جُدِبَ عند السَّبْر * فهو يعرف المثلَ أعرِضْ عن ذي قبر * اذا حجزَ دونَ الشخصِ تراب * فقد تقضّت الآراب * مَن لِيمَ في حالِ حياته * استحقَّ المعذرةَ في مماته * ولعلَّهُ نطق بما نطقَ في معنى انبساط * ولا هو بالكلم ساط * ومَن غفرَ ذنبَ حيٍّ وهو يُلحِقُ به الاذاه * فكيفَ لا يغفرُ لهُ بعد الميتةِ وقد عدِمَ منهُ الشذاه * وسلامٌ

على رمسٍ من مخالسٍ * يُعْدَل بالف تسليمةٍ في المجالس * وهو يعرفُ ماقالوهُ في معنى البيت* وآتي صاحبيْ حيث ودّعا * اي ازور قبره* واما الذي انكره من البديه فمولاي الشيخ مكرّرٌ في الادبِ تكريرَ الحسنِ والحسينِ في آل هاشم * والوشمِ المرجّع بكفِ الواشم* وهل يُعْجَبُ لسجعةٍ من قمري * او قطرةٍ تسبقُ من السحابِ المري* ولو بادَهَ خزاميٌّ عالجٍ بالرائحةِ لجازَ ان يرعفَ غضيضُها *اوالبروقَ الوامضةَ لما امتنعَ ان يُعجّلَ وميضُها * وفي الناس من يكونَ طبعهُ المماظةُّ فيؤذي الجليس* ويُكثرُ التدليس* وهو يعلم انه فاضلٌ لا ينضلُهُ في الرمي مناضلِ* والبديهُ ينقسمُ افانين * ويُصرِفُ للنفر اظانين* فمنه القَبَل* ولعلّهُ فيه اجرى من سبَل * او هو السَّبَل والمرادُ بسبَل الفرسُ الانثى المعروفة والسبَل المطر وبديهُ التمليط * ولا تجود الراسيةُ بالسَّليط * وبديهُ الاعنـات * وذلك المُوقظُ من السِّنات * وهو يختلفُ كاختلافِ الأَشكال * ولا ينهضُ به ذو الوِكال * واما ابو عبد الله بن خالويه واحضاره للبحث النَّسَخ *فانه ما عجزَ ولا انسخ*اي نسي ولكن الحازم يريدُ استظهارا* ويزيد على الشهادةِ الثانية ظهارا

اری الحاجاتِ عند ابي خبيبٍ * نَكِدْنَ ولا أُميـةَ في البلادِ

اين كابي عبد الله لقد عدمهُ الشام * فكان كمكة اذ فُقـد هشام * عَنيْت هشامَ بن المغيرة لان الشاعر رثاه فقال

اصبحَ بطنُ مكّةَ مُقْشعرًّا * كأنّ الارضَ ليسَ بها هشامُ

يظَـلُ كأنهُ اثنـاءِ سَوْطٍ * وفوقَ جفانهِ شحمٌ رُكامُ

فللكبرآءِ اكلٌ كيفَ شآؤا * وللصغرآءِ حملٌ واقتسامُ

وأبو الطيبِ اللغويّ اسمهُ عبدُ الواحدِ بنِ عليٍّ له كتابٌ في الاتباعِ صغيرٌ على حروفِ المعجمِ في أيدي البغداديينَ وله كتابٌ يعرَفُ بكتابِ الأبدالِ قد نحا فيه نحو كتابِ يعقوبَ في القلبِ وكتابٌ يُعرَفُ بشجرِ الدرِّ سلك به مسلك أبي عمرٍو في المداخل وكتابٌ في الفَرْق قد اكثرَ فيه واسهب ولا شك انهُ قد ضاع كثير من كتبه وتصنيفاته لان الروم قتلوه واباهُ في فتح حلب وكان ابن خالويه يلقبه قُرْمُوطةَ الكَبَرْتَلِ يريدُ دحروجةَ الجبلِ لانه كان قصيراً وحدثني الثقة انه كان في مجلس أبي عبد الله بن خالويه وقد جاءَهُ رسولُ سيفِ الدولةِ يأمره بالحضور ويقول له قد جاء رجلٌ لغويٌّ يعني أبا الطيب هذا قال المحدِثُ فقمتُ من عندِه ومضيت الى المتنبي فحكيت له الحكاية فقال الساعةَ يسلأُ الرجل عن شوط براحٍ والعِلَّوض ونحو ذلك يعني انه يُعْنِتُهُ وكان أبو الطيب اللغوي بينه وبين أبي العباس بن كلاب البَكْتَمِرِيّ مودة ومؤانسة وله يقول

يا عبدَ انكَ عندَ القلبِ جنّتُهُ * حبّاً وانَّكَ عندَ الطرفِ ناظرُهُ
ازمعتُ سيراً فقلْ ما أنت قائلُهُ * واذكُرْ لراعي الهوى ما انتَ ذاكرُهُ
لا اشتكي سهراً طالتْ مسافتُهُ * الليلُ يعلمُ اني الدهرَ ساهرُهُ

قوله ياعبد يريد يا عبد الواحد كما قال عدي بن زيد في الابيات الصادية التي مضت غُيِّبْتَ عنّي عبدَ في ساعةِ الشرِّ وجُنِّبْتَ أوانَ العُوَيصْ يريدُ عبدَ هندٍ وقد كان أبو الطيبِ يتعاطى شيئاً من النظمِ وقد علم الله انني لا في العيرِ ولا في النفيرِ * ومَن للجارمةِ بالتكفير * كلما رغبتُ في الخمول * قُدِّرَ لي غيرُ المأمول * كان حقُّ الشيخ اذ اقامَ في معرّةِ النعمان سنة أنْ لا يسمع لي بذكر * ولا

اخطرَ لهُ على فِكر * والآن قد غمرَ إفضالُه * واظلني دَوحُ أَدبهِ لا ضالُه * وجاءتني منه فرائدُ لو تمثَّلتِ الواحدةُ منها تُومه * لم تكن بالصحفِ مكتومه * ولاستغني بثمنِها القبيل * وعِمرَ اليها السبيل * ينظرُ منها الناظرُ الى جوهره مثل الزُّهرَه * قال الراجز

ذهبٌ لما رآها ترمُرَهْ * وقال ياقومُ رأيتُ منكرَهْ
شذرَةُ وادٍ اذ رأيتُ الزُّهرَهْ

وبعضهم يروى ترملَهْ مكان ترمره وهي اكثرُ الراويتينِ على ما فيها من الاكفاء وهو أدام الله عزَّ الأَدبِ بحياته كريمُ الطبعِ والكريم يُخدَعُ ومن سمع جاز أَن يخال * والجندل لاينتج الرخال * وأَما ما ذكره من ميله في مصر الى بعض اللذات فهو يعرف الحديث أَريحُوا القلوبَ تعِ الذكرَ * وقال أُحيحَةُ بن الجلاح

صحوتُ عن الصِبا واللهوُ غُولٌ * ونفسُ المرءِ آونةً ملولُ

وكان ينبغي أَن يكون في هذا الوقت يضبط ما معه من الأَدب بدرس من يدرس عليه اذ كانت أَلسنٌ لا بد لها من تأثير * وان ترمي بقلةٍ كُلَّ كثير * ولكن قطرتُه القاردةُ تُغرِق * ونَفَسُهُ اذا بردَ يُحرِق * وقال رجل من قريش

لله دَرّي حينَ ادركني البِلا * على ايما تأتي الحوادثُ أَندمُ
أَلم اجتلي البيضاءَ يبرقُ حجلُها * لها بَشَرٌ صافٍ ووجهٌ مقسَّمُ
ولم اصطبحْ قبلَ العواذلِ شربةً * مُشعشعةً كأَنَّ عاتقَها الدمُ

ولعله قد قضى الأَربَ من ذلك كلهِ والاشياء لها أَواخر * وانما العاجلةُ سراب ساخر * وقد عاشر ملوكاً ووزراء * فلا منقصة ولا ازراء * وقدسمع

نباءَ النعمانِ الاكبر * إذ فارقَ ملكَهُ فِراقَ المُعبَر * وتعوَّضَ من الحريرِ المُسوح * ورَغبَ في ان يسوح * واياهُ عنى العِبَادِيُّ في قوله

وتذكَّرْ ربَّ الخورنقِ اذ فكـ * ـرَ يوماً وللهُدى تفكيرُ

سَرَّهُ ملكُهُ وكَثرةُ ما يـ * ـملكُ والبحرُ معرضاً والسديرُ

فارعوى جهلهُ فقال وما غبـ * ـطةُ حيٍّ الى المماتِ يصيرُ

والسكرُ محرَّمٌ في كل الملل ويقال ان الهند لا يُملِّكُونَ عليهم رجلاً يشرب مسكرا * لانهم يرونه منكرا * ويقولون يجوزُ أَن يَحدُثَ في المملكةِ نبأٌ والملكُ سكران * فاذا الملك المتبع هكران * لُعنت القهوة * فكم تهبط بها رهوة * لاخيرَ في الخمر * توطئُ على مثلِ الجمر * من اصطبحَ فيهَجا * فقد سلكَ الى الداهيةِ منهجا * من اغتبقَ امَّ ليلى * فقد سحب في الباطلِ ذيلا * من غريَ بامِّ زنبقٍ * فقد سمح بالعقل الموبقَ * من حملَ بالراحةِ راحا * فقد اسرع للرَّشَدِ سِراحا * من رضيَ بصحبة العقّار * فقد خلعَ ثوبَ الوقار * من أَدمنَ قرقفا * فليس على الواضحة موَقَّفا * من سَدكَ بالخرطوم * رجع الى حال المفطوم * المواظبةُ على العاني * تمنعُ بلوغَ الاماني * الخيبةُ لسبيئة * تخرجُ من سرٍّ كلَّ خبيئة * لا فائدةَ في الكُميت * تجعلُ حيّاً مثلَ الميت * من بُليَ بالصَّرخَديِّ * لم يكن من الفاضحةِ بالمفديِّ * ما اخونَ عهودَ السُّلاف * تنقضُ مريرَ الاحلاف * اما السُّلافة * فسلٌّ وآفة * كم شابٌّ في بني كلاب مات عَبْطة * وما بلغ من الدنيا غِبْطه * رماهُ بسُحاف قاتل * إدمانُ المُعتَّقةِ ذاتِ المخاتل * من بَكَّرَ الى الشمول * فرأيهُ ينظرُ بطَرْفٍ مسمول * اقلُّ عنتًا من كرينة * ليثٌ زأَر في العرينة * كم بَرْبَط * عصفَ بجهدِ

وسبَط * كم مزْهَر * اوقع هاجداً في السهَر * وهو يعرفُ أبياتَ المتنخِّل

مِمَّا أُقضِّي وَمَحَارُ الفتى * للضيع والشيبةِ والمقتَلِ

انْ يُمْسِ نشوانَ بمصروفةٍ * منها بنيٍّ وعلى مرْجَلِ

لا تَقِهِ الموتَ وَقِيَّاتُهُ * خُطَّ له ذلك في المحْبَلِ

وينبغي ان يزهِّده في الصهباء الصافيــة * ان نداماهُ الاكرمينَ أصبحوا في الاجداث العافية * كم جلس مع فتيان * أَتى عليهم الزمن كلَّ الاتيان * فكان كما قال الجعدي

تذكرتُ والذكرى تهيجُ ليَ الهوى * ومن حاجةِ المحزونِ أَن يتذكرا

نداماي عنــدَ المنذرِ بنِ مُحرِّقٍ * فاصبحَ منهم ظاهرُ الارضِ مقفرا

وهو يعرف الابيات التي أَولها

خليليَّ هبَّا طال ما قد رقدتما * أَجِدَّكما لا تقضيانِ كَراكما

وهل يعجز ان يكون كما قال الآخر

اما الطلاءُ فاني لستُ ذائقها * حتى الاقيَ بعدَ الموتِ جبَّارا

كأَنه كان نديمه على الطلاء * فلما رماه التاف من غير بلاء * حرم عليهِ شربها * حتى تُسكنَه الراكدةُ تُربَها * وسرَّتني فيئةُ الدنانيرِ اليه فتلك اعوان * تشتبه منها الالوان * ولها على الناسِ حقوق * تَبَرَّ إِنْ خيفَ عقوق * قال عمرُو بن العاص لمعاوية رأَيتُ في النوم أَن القيامة قد قامت وجيء بك وقد الجمك العرق فقال معاوية هل رأَيت ثَمَّ من دنانيرِ مصرَ شيئاً وهذه لا ريبَ من دنانيرِ مصرَ لم تجيء من عند السُّوق ولكن من عند الملوك * ولم تكن مهرَ هلوك * فالحمد لله الذي سلَّمها الى هذا الوقتِ ولم تكن كذهبٍ مخزون *

صار الى الخمّارةِ مع الموزون * كما قال

وخمّارةٍ من بناتِ المجوسِ * ترى الزقَّ في بيتها شائلا
وزنَّا لها ذهباً جامداً * فكالتْ لنا ذهباً سائلا

ولا أُلغِزَ عنها هذا البيت

دنانيرُنا من قرنِ ثورٍ ولم تكن * من الذهبِ المضروبِ بينَ الصفائحِ

لو رآها المرقّشُ لعلم انها أَحسنُ من وجوه حبائبِهِ * لما غدا الظاعن بربائبه * فقال

النشرُ مسكٌ والوجوهُ دنا * نيرٌ واطرافُ الأَكُفِّ عَنَمْ

وانها لأَحسنُ من الوجوهِ التي ذكرها الجعدي * وزعم انَّ حسنَها بديٌّ * فقال

في فُتُوٍّ شُمِّ العرانينَ امثا * لِ الدنانيرِ شُفْنَ بالمثقالِ

أُخذَتْ من جوائزِ كرامٍ صيد * تارةً بالخدمةِ وتارةً بالقصيد * ولم تكن في العيدية مُرَهنَّات * ولا عند الغرَض مُوَهنَّات * كما قال رَدَّادٌ الكلابيُّ

يطوى بنُ سلمي بها عن راكبٍ بُعُرًا * عيديةً أُرهِنَتْ فيها الدنانيرُ

وهي عند البَله والكَيْس * اجودُ من الخاتمِ ذَكَرَهُ بنُ قَيس * فقال

إِن ختَمتْ جازَ طينُ خاتمِها * كما تجوزُ العبدِيَّةَ العُتُقُ

أَرادَ بالعبديةِ دنانيرَ نسبها الى عبدالملك بن مروان ويقال انه أَول من ضرب الدنانير في الاسلام وَجلّتْ عن نقد الصيرفيّ * وهي الرواجح لدى الميزان الوفيّ * حاش لله أَن تكون كما قال الفرزدق

تنفي يداها الحصى في كلِّ هاجرةٍ * نفيَ الدنانيرِ تنقادَ الصياريفِ

وهذا البيت يُنشَدُ على وجهين الدنانير والدراهيم ولا هي من دنانير ايله * باع بها البائع نخيلَه * وانما ذكروا دنانير ايلَه لانها كانت في حيز الروم فتأتيها الدنانير من الشام قال

وما هبرزيٌّ من دنانير ايلةٍ * بأيدي الوشاةِ مشرقّاتياً أكَلُ

الوُشاةُ النقاشونَ الذين يَشُونَ ولو رآها الضبيُّ مُحْرِزٌ لشهد انها حين تبرز أجل من تلك القسمَات * وان كانت في اوجهِ ذي سِمات * قال

كأَنَّ دنانيراً على قَسَمَاتِهِمْ * وإِن كانَ قد شفَّ الوجوهَ لقآءُ

ومعاذَ اللهِ ان تُقرنَ بحوذان واد * سقتْهُ روائحُ وَغواد * حتى اذا القيظُ وَهجَ * تمزَّق مالبسَ وانهجَ * قال الشاعر

وربَّ وادٍ سقاهُ كوكبٌ أمِرٌ * فيهِ الأَوابدُ والأُدْمُ العيافيرُ

هبطتُّهُ غادياً والشمسُ شارقةٌ * كأَنَّ حوذانهُ فيهِ الدنانيرُ

ولو أَخذ مثلها النادم على بيع كُميتِه * لأَسكنتِ البهجةَ في خلادهِ وبيتِه * ولم يأسف ان عوِّض حماراً من فرَس * ولوُجِدَ على الشكوى ذاخرَس * ولم يقل

ندمتُ على بيعِ الكُميتِ وإِنما * حياةُ الفتى همٌّ لهُ وخسارُ

ولما أَتاني بالدنانيرِ سائمي * أَصاختْ وهَشَّتْ للبياعِ نوارُ

وقالت أَتِمَّ البيعَ واشترِ غيرَهُ * فحولكَ في المشتا بنونَ صغارُ

فانفقتُ فيهم ما اخذتُ ولم يزَلْ * لديَّ شرابٌ راهنٌ وقُتارُ

الى ان تداعى الجندُ بالغزوِ وانْجَابَت * غيومُ شتاءٍ سُحْبهنَّ غِزارُ

واعوزني مهرٌ يكونُ مكانهُ * كأَنْ ليسَ بينَ العالمينَ مهارُ

وسار على الخيل المُغذّةِ صَحبتي * وسرتُ وتحتي للشقآء حمارُ

ولله المنّةُ كما نجاها بالقدَرِ من بكور * ليس مَن بَكَرَهُ بالمشكور * يحملُ معه دنانير * ولا يصحبُ من القومِ صنانير * اي بخلآء فيُقيمُ بهم في الدَّسكَرَةِ ايّاما * ايقاظًا في السكرِ او نياما * فتفني الذهبَ باقداح * كانها جزورُ الميسرِ وهي القِداح * قال الجمدي ‑

ودسكرةٍ صوتُ ابوابها * كصوتِ المواتحِ في الحَوْأَبِ
سبقتُ اليها صياحَ الديوكِ * وصوتَ نواقيسَ لم تُضْرَبُ

قال اخر

وقبضةٍ من دنانيرٍ غدوتُ بها * للدّسكريِّ وحولي فتيةٌ سُمُحُ
ولم يزلْ ثمّ يسقينا ويأخذُها * حتى استقلَّ بما في الصرّةِ القَدَحُ

ولو كان الشيخ ادركَ مَن تقدم من الملوكِ لكان كل واحد منها كالذي قال فيه القائل

واصغرُ من ضربِ دارِ الملوكِ * يلوحُ على وَجهِهِ جعفرُ
يزيدُ على مائةٍ واحداً * اذا نالهُ معشرٌ ايسَرُوا

ودنانيرُهُ باذنِ الله مُقدّسات * ماهُنَّ بالحرج مُلَدّسات * والحَزامةُ من سوسِهِ وشيمِه * فلا يدفع الى مُقارضٍ شيئًا من عِيدِه * اي مختاراته وفي الكتاب العزيز ومِنْ أهلِ الكِتَابِ مَنْ إنْ تأمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يؤدّهِ اليكَ ومنهُم مَنْ إنْ تأمَنْه بدِينارٍ لا يُؤَدّهِ إليكَ وهذا قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد كان في زمانه من يتحرَّج * يتضمّخ بالنسك ويتأرَّج * فاما اليوم فلو امِنَ كتابيٌّ على نُمِيّ * لاسرعتْ اليه الظِّنَنُ اسراعَ رَمِيّ * والرمي ههنا سحابٌ

سريع الاقشاع من قول الهذلي

اولئكَ لو دعيتَ اتاكَ منهمْ * رجالٌ مثل ارميـةِ الحميمِ

وما عنيتُ بالكتابيّ من نُسبَ الى توراةٍ وانجيل * دون من نُسبَ الى القرآن البجيل * على انه لا بد من امانةٍ مفترقةٍ في البلاد * تكون للخيّرِ من التلاد * وانها في الآخرةِ لأشرف * وارحضُ لما يُقترف * فليشفق على هذه الصُبابَه * اشفاق النَّدُس ذي اللَّبابَة * فكل واحد منها دينارُ اعزّة * يبعثُ الرابي على الهزّة * كما قال سحيم

تُريكَ غداةَ البينِ كَفًّا ومعصمًا * ووجهاً كدينارِ الاعزّةِ صافيا

ولو نظر اليه قيسُ بن الخطيم لما شبّه به وَجهَ كنودِه * وجعلهُ من انصرِ جنوده * ولم يسمح ان يقول

صرمتَ اليومَ حبلَك من كنودا * لتبـدلَ وصلَها وصـلاً جديدا

عَشيّـةَ طالعتْ فأرتكَ قصراً * محاسنَ فخمـةً منها وجيدا

ووجهاً خلتهُ لمّا بدالي * غداةَ البينِ ديناراً نقيدا

ولمثله قصد ربيعة بن المكدّمِ * لما ايقن بحتفٍ مقدّم * فقال

شدّي عليَّ العضبَ امَّ سيّارْ * فقد رُزيتُ فارساً كالدينار

او ملكه مالك بن دينار مع زهده * وبلوغهِ في الورع اقصى جهـده * لجاز ان يحجأ به على دينار ابيه * وقد يكذبُ قائلٌ في التشبيه * وكلُّ هبرزيّ من هذهِ الصفْرِ المباركةِ ابلغُ في قضاءِ الحاجةِ من دينارٍ الذي اختارهُ للمآربة قائل هذا البيت هلْ انتَ باعثُ دينارٍ لحاجتِنا اوعبدُ ربٍّ اخا عونَ بن مِخراقِ وهـذا البيت يتداوله النحويون * وزعم بعض المتاخرين من اهل العلم انه

مصنوع وما أجدره بذلك * فأما قول الفرزدق

رأيتُ بنَ دينارٍ يزيدَ رَمى بهِ * الى الشامِ يومَ العترِ واللهُ قاتلهْ

فلو كان دينارٌ هذا المذكور كأحدِ هذهِ الدنانير لأُرِبَ بهِ أن ينسبَ اليه يزيد وأين هيَ من دنانير النَّخَّة التي قال في واحدها القائل

عَمّيْ الذي منَعَ الدينارَ ضاحيةً * دينارَ نَخَّة جَرْمٍ وهو مشهودُ

ودينارُ النَّخَّةِ دينارٌ كان يأخذهُ المُصدّق اذا فرغَ من الجبايةِ وكل نقيش من هذه الراجعة بعد اليأس انفع لغليل الصديان من دينارٍ الذي دعاه لسقيه راكبُ فلاه * وهو على كور علاه * فقال

أقول لدينار وهن شَوَائِلٌ * بنا كَنَعامٍ طَالِبَاتِ رئالِ

لكَ الويلُ أدرِكني بشربةِ آجِنٍ * من المآءِ ما مشروبُها بزُلالِ

فما كادَ دينارٌ يُغيثُ بنطفةٍ * حُشاشةَ نفسٍ آذنتْ بزوالِ

ولا هو كدينارِ الاخطلِ الذي ذكره في قوله

كُمِّتْ ثلاثةَ أحوالٍ بطينتها * حتى اشتراها عِبادِيٌّ بدينارِ

لو وقع الى عباديّ لما مَذِل به لخمّار * ولو حُسب في الضمار * ولا كالدينار في البيت الذي انشده أبو عمر الزاهد

وفي الكتابِ اسطرٌ محكوكهْ * لاحظَّ في الدينارِ للكارُوكهْ

زَعم ان الكارُوكه القوّادة * والعجبُ لها تقرُّ من بنانِ السارق * فرارَ دنانيرِ الشارق * وصفها أبو الطيب فقال

والقى الشرقُ منها في ثيابي * دنانيراً تفرُّ من البنانِ

لو رآها كُثيِّرُ عزة لآءَلى أوْكدَ أليَّهْ * انها أحسنُ من الهِرَقليّه * التي تشبه

بمنفردها نفسه فقال

يروق عيون الناظرين كأنه * هِرَقْلِيٌّ وزنِ احمرالتبرِ راجح

وان كانت زائدة على الثمانين فقد اوفت على عدة أصحاب موسى الذين جآء فيهم * وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلاً لِمِيقَاتِنَا * وعلى عدة الاستغفار المذكور في قوله * إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَهُمْ * وعلى عدة اذرع السلسلة في قوله تعالى * فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ ولو كان الانسان في قليب عمقه ثمانون قامة لجازان تستنقذه هذه المصفرّة من غير مرض والزائلة بما يتعرض من الجرَض * وانما ذكرت ذلك لقول الاعشى

ولو كنتَ في جُبٍّ ثمانينَ قامةً * ورُقِّيتَ أسبابَ السمآءِ بسلمِ

ولو كانت سِنُو زُهيرٍ مثلها لما وصف نفسه بالسآمة * ولكانت له انهضَ قامه * والقامة الاعوان كأنها جمع قائم قال الراجز

وقامتي ربيعةُ بنُ كعبِ * حسبُكَ ما عِنْدَهُمْ وحسبي

ولو أدركه عروةُ بن حِزَام وهو يقول

يُكلِّفني عمي ثمانينَ ناقةً * ومالِيَ ياعفراءُ غيرَ ثمانِ

لجاز أن يرق له فيُغيثهُ من هذه الثمانين ببعضها او يسمح له بكلها لانهُ كريمُ طبع * وعودُه في النُّوَبِ عُودُ نَبْع * ولو صارت في يد عروة هذه الثمانون لبلغ بها الأُمنية لان الناقة في ذلك الزمان كانت ربما اشتريت بعشرة دراهم وفي بعض أخبار الفرزدق ان رَجلاً من ملوك بني أُمية أعطاه مائة من إِبل الصدقة فباعها بألف وخمسمائة درهم بعد ماعُنِّي به وزيدَ في الثمن وقد

مرت به الحكاية التي يذكرها أصحاب التاريخ ان الجمل كان يباع في زمن أبي جعفر المنصور بدرهم وانه صادر قوماً من أصحابه وكانت لهم نعاجٌ فباعوها ثمانيَ نعاجٍ بدرهمٍ هذا مما وُجد بخط المرزباني في تاريخ بن شجرة وهي انصر من الثمانين التي ذكرها العلوي البصري في قوله

عبرتُ اليهم في ثمانين فارساً * فادركتُ منهم بغيتي ومراديا

ولولا خشيةُ الغلو لقلتُ ومن ثمانين الفا ذكرها المتنبيُّ في قوله

ثمانونَ ألفاً ولم أُحصِهِمْ * وقد بَلَغَتْ رجمَها او تزيدُ

وكيف لهمام بن غالب ان ترميه الحوادث بهذه الثمانين كما رمته بسنيه في قوله

رمتني بالثمانينَ الليالي * وسهمُ الدهرِ اقتلُ سهمِ رامِ

ولو ملكها راعي ثمانين الذي يقال فيه أحمق من راعي ضأن ثمانين لجعلت له عقلاً صافياً * وثوباً من الدعة ضافيا * والمثل السائر وجد ان الدَّعَه والرِّفين * يذهِبُ أَفَنَ الافين * ويروى يُغطِّي أَفَنَ الافين * وليس للرِّقَة * شرفُ هذهِ الاشكالِ المشرقَة * وللذهب على الفضة صرف * والمكارم لها عرف * وهو يعرف حكاية الحطيئة مع سعيد بن العاص لما قال له اي الناس أشعَرُ قال الذي يقول وهو ابو دُاؤاد الايادى

لا أَعُدُّ الاقتارَ عُدْماً ولكن * فقدَ مَن قد رُزِئتُهُ الأعدامُ

قال ثمّ مَن قال الذي يقول وهو حسان بن ثابت

رُبَّ علمٍ اضاعَهُ عدَمُ المـا * لِ وجهلٍ غطّى عليهِ النعيمُ

قال ثم من قال الذي يقول وهو اعشى قيس

بيضاءُ ضحوتَها وصفـــراءُ العشيةِ كالعرارَه

قال ثم من قال ثم حسبك بي اذا وضعتُ رِجلاً على رِجل ثم عوَيتُ في آثار القوافي كما يعوي الفصيل في آثار الإبل وقال الشاعر

وجدتُ بني الجَرْاء قوْماً اذلَّةً * ومنْ لا يُهْنهمْ يَئْسِ وغداً مُهضَّما

واحمقَ من راعى ثمانين ترتعي * بجنبِ الستّار بقلَ روض موَسَّما

وتلك الثمانون أُلقِيَ فيها الربعُ الى ان يصيرَ قيراطُها قنطاراً * ولا فتئَ كلُّها مِعطارا * اي هو قريب من عطر * لا يعدم في صيام ولا فطر * اوفر حظاً في المحمدة من التي ذكرها الحرّاني السلمي ابو المحلّم عوف بن المحلّم في قوله

انَّ الثمانينَ وبلِّغتَها * قداحوجتْ سمعي الى ترجُمانْ

وَبَدّلَتني بالشطاط الخَنا * وكنتُ كالعدةِ تحت السِنّانْ

لان التي ذكرها تُضعف * وهذه تُنعشُ وتُسعِف * وتلك تجعلُ الرجلَ بعد كونه كالقناة * كانهُ قوسٌ في ايدي الحُناه * وهذه تُقيم الأَوَد * وتسرُّ الأَسْوَدَ * والبيت المنسوب الى العتريف معروف

حبَشيٌّ له ثمانونَ عيباً * أَكسَبَتْهُ مهابةً وجَلالاَ

ولعله قد اجتاز في ارض الموصل بالقرية التي تعرف بثمانين وهي قرية من الجبل المعروف بالجوديّ فان كانت ثمانون القرية وَطنَ اناس * فهذه تجرى مجرى الوطنِ في الايناس * كما قال

الفقرُ في اوطاننا غربةٌ * والمالُ في الغربةِ اوطانُ

لله در الذهب من خليل * فانه يفيءُ بظل ظليل * وان دُفن لم يبال * ما هو كغيره بال * أُعطِيَ نفيسَ المقدار * فما همَّ شرفُهُ بانحدار * والدُّر اذا كُسِر ذهبت قيمته * ولم يحفظ ان تنحطم كريمته * ورب ذهب في سوار *

غبر زمانا غير متوار * ثم جعل في خلخال * تختالُ بلبسهِ ذاتُ الخال * ثم نقل الى جام او كاس * وهو بحسنه كاس * ما تغير لبشار النيران * ولا غدر بوفى الجيران * ولعل هذه الثمانين قد ادرك ذهبها قارون * وموسى المرسل واخاه هارون * وليس للهلكة به اتصال * ولا من العزة له انفصال * يُعظّم في ارض السند * وبلاد الهند * واما ابنة الاخت ادام الله لها الصيانة فانها اذلَتْ على الخَال اذا كان احد الوالدين * فهمت ان تأكل بيدين * وما هي بأُخت للرجل الذي قال فيه القائل

ووراءَ الثارِ مني ابنُ اُختٍ مَصِعٌ عقدتُهُ ماتُحَلُّ

ولا تجعلها اختا للهجْرِسِ لانه طَالَبَ خالَه بثار * فلم يقبحُ ما فعل من الآثار * ولكن تشبُه ان تكون اختاً لابن مُضَرِسْ حين فاتها الأُخوَّةُ من الهِجْرِس * وهو المعروف بالخَتُّوت واسمه توبَة وكان له اخ يقال له طارق فقتله رِهطُ خالهِ فرأى ان يقتل خاله وقال

بكتْ جزعاً اميّ رُمَيْلَةُ أن رأت * دماً من اخيها في المُهَنّدِ باديا
فقلتُ لها لاتجزعي انّ طارِقاً * حميمي الّذي كانَ الخليل المصافيا
وما كنتُ لو أُعطيتُ الفي نجيبهٍ * واولادها لغواً تُساقُ وراعيا
لأرضى بوترٍ منهم دُونَ أن أرَى * دماً من بني عوفٍ علي السيفِ جاريا
وما كانَ في عَوفٍ دمٌ لو اصبتُهُ * ليُوفيَني من طارقٍ غيرَ خاليا

وهو القائل

لتبكِ النسآءُ المعولاتُ لطارقٍ * ويبكينَ مرداساً قتيلَ قنَانِ
قتيلانِ لاتبكي المخاضَ عليهما * اذا شبعت من قرملٍ وافانِ

ويجوز ان يكون قد وَشَحَ الى هذه المرأَةِ شيءٌ من ادبِ الخُؤُلَةِ فليتّقِ معرّةَ بيانِها أكثرَ من اتقائهِ خُلْسَةَ بَنَانِها فهو يعلم انَّ الشعر ورثه زهير بن ابي سُلْمى من خاله بشامة بن الغدير ولم يكن في مُزَيْنَةَ شعر يذكر وحضره زهير عند الوفاة فاراد ان يعطيه شيئاً من ماله فقال بُشامةُ اما يكفيك اني ورّثتك غرائبَ القصيد * وربما كان في نسآء حلب حرسها الله شواعرُ فلا يأمن من ان تكون هذه منهن * فطالما كنَّ اجودَ غرائز من رجالهن * وحدَّث رجل ضرير من اهل آمِد يحفظ القرآن ويأنس باشيآء من العلم انه كان وهو شاب له امرأةٌ مقَيِّنةٌ تزين النسآءَ في الاعراس وكانَ يُنجِّم على الطريق وكانت له قرعة فيها اشعار كنحو ما يكون في القرع وكان يعتمد حفظ تلك الاشعار ويدرسها في بيته ولا غريزة له في معرفة الاوزان فيكسر البيت فتقول له امرأَته الماشطة وَيلي ما هذا جيدٌ فيُلاَجُّها ويزعم انها مخطئةٌ فاذا اصبح مضى فسأَل من يعرف ذلك فاخبره بان الصواب معها وعرَّفه كيف يجب ان يكون فاذا لقنَهُ عنه عاد في الليلة الثانية فذكره وقد أَصلح فتقولُ الماشطة هذا الساعة جيد * وكان لي كَرِيٌّ من اهل البادية يُعرف بعلوان وله امرأَة تزعم انها من طي فكان لا يعرف موزون الابيات من غيره وكانت المرأَة تحسُّ بذلك وكانت تتأسف على طفل مات لها يقال له رجبٌ وكانت تنشد هذا البيت

اذا كنتَ من جرّا حبيبكَ موجعاً * فلا بُدَّ يوماً من فراقِ حبيبِ

فقالت يوماً اذا كنت من جرّا رجيب موجعا فعلمت ان الوزن مختل فقالت اذا كنت من جرّا رُجَيْبَنَ موجعاً فحركت التنوين وانكرت تحريكه بالطبع فقالت اذا كنت من جرّا رجيبكَ موجعاً فاضافته الى الكاف فاستقام الوزن

واللفظ * وفي الكتاب العزيز يا أيُّها الذينَ آمنوا انّ مِنْ أزواجِكُمْ وأولادِكُمْ عدُوًّا لكُمْ فاحذَرُوهمْ وإنْ تعفُوا وتصفحُوا وتغفِروا فانَّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ * واما ابو بكر الشبليُّ رحمه الله فلا ريب انه من اهل الفضل وارجو ان يكون سالما من مذهب الحلوليّة وانشدني له منشد

باحَ مجنونُ عامرٍ بهواهُ * وكتمتُ الهوى ففزتُ بوجدي

واذا كانَ في القيامةِ نودي * اينَ اهلُ الهوى تقدَّمتُ وحدي

هكذا أُنشدته نودي بسكون الياء ولا احب ذلك وان جائز اوانما يوجد في اشعار الضَّعفَةِ من المحدثين فان صح ان هذين البيتين له فلا يمتنع ان يعترض عليه قائل فيقول من زعم انه صاف * فما يجب ان يأتي بغير الانصاف * وادعاؤه الانفراد من العالم لا يُسلّمه اليه البشر ان كان هواه للمخلوقين * او الخالق ولا يقين * فله في الأمم نظراء كثير

وانا اعتذر الى مولاي الشيخ الجليل من تأخير الاجابة فان عوائق الزمن منعت من املاء السوداء كأنها سوداء التي عناها القائل

نُبِّئتُ سوداءَ تنآني واتبعُها * لقد تباعدَ شكلانا وما اقتربا

وجدتُها في سبابي غيرَ مُطلِبةٍ * فكيفَ والرأسُ جونٌ تُسعِفُ الطلبا

وانا مستطيع بغيري فاذا غاب الكاتب فلا املاء * ولا ينكر الاطالة على فان الخالص من النضار العين * طالما اشترى باضعافه في الزنةِ من اللجين * فكيف اذا كان الثمن من النُّفيَّاتِ * اللائي يوجدن في الطرق مرميّات * وعلى حضرتهِ الجليلة سلامٌ يتبعُ قُرُومهُ إفالُهُ وتلحق بِعُوذِهِ اطفالُهُ

تمت الرسالة والحمد لله رب العالمين

﴿ كلمة في هذه الرسالة ﴾

لحضرة العالم الفاضل والكاتب البليغ الشيخ عبد الرحمن افندي البرقوقي

هذا ايها القارئ الكريم آخر رسالة الغفران لحكيم الشعراء وشاعر الحكماء أبي العلاء احمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي المعري ولد هذا الفيلسوف الكبير سنة ثلاث وستين وثلاثمائة للهجرة في معرة النعمان (قرية بالشأم من اعمال حمص بين حلب وحماة) ولم ينشب ان اصابه الجُدَرِي فذهب بيسرى عينيه وغشى يمناهما ببياض ثم تلقى عن ابيه كلمات في النحو ولم يتلمذ لاحد بعد ذلك بل توفر بنفسه على درس اللغة وآدابها حتى حذقها وملك اعنة الكلام يصرفه كيف شاء

وكان الرجل يتلهب ذكاء منذ نعومة اظفاره وكان مع ذلك آية في الحفظ حتى رووا في ذلك ما لا يكاد يدركه التصور وكانت نفسه تواقة شرهة في طلب العلم لا تقنع منه باليسير فقام يجوب البلاد ويتفقد دور الكتب ويجلس الى اهل العلم والفلسفة على اختلاف نحلهم وما زال حتى افضى به التطواف الى دار السلام وهي مهد العلم في تلك الايام وما كاد يحس به البغداديون حتى طاروا الى لقائه زَرَافاتٍ ووحداناً لان صيت الرجل كان قد سبقه اليهم حتى صار له دوى في كل ناد فاقام بين ظهرانيهم رَدَحاً من الزمن يختلفون اليه يباحثونه ويقرؤن عليه وهو في غضون ذلك يتقصى فنون الفلسفة ويتلقفها من الافواه ويلتقطها من صدور الرجال حتى ضرب فيها بسهم وجرى في علومها على عِرْق ثم انقلب الى اهله مسرورا ورغب عن الدنيا وزخارفها

وقيع في كسر بيته ووضع من الشعر الحكيم والنثر المعجز ما نرى بعضه اليوم

فمن ذلك كتاب اللزوميات او لزوم ما لا يلزم وهو ديوان كبير صدره بمقدمة في الشعر تشف عن علم جم وادب غزير وقد اودعه من ضروب الحكمة وانواع الفلسفة والآراء الغريبة ما دل على علو كعبه في الفلسفة ورسوخ قدمه في البيان

وكان قد عمل شعراً قبل عزلته جمع اكثره في ديوان سمي سقط الزند يليه آخر يعرف بضوء السقط خاص بما نظمه في الدروع ويقل في شعره ما امتلأ به شعر غيره من الغلو في المديح والافراط في الهجاء الى سوى ذلك مما تنبو عنه نفس حكيم مثل ابي العلاء

قالوا ووضع كتابا عارض به القرآن سماه «الفصول والغايات في مجازات السور والآيات» فقيل له ما هذا الا جيد الا ان ليس عليه طلاوة القرآن فقال حتى تصقله الالسن في المحاريب اربعمائة سنة وعند ذلك انظروا كيف يكون (وهذه احدى المفتريات عليه بما يجل عنه فضله وعلمه)

وعدوا له من المؤلفات كتابا عفا أثره ولم يبق الا خبره وهو كتاب الايك والغصون المعروف باسم (الهمزة والردف) قالوا انه ينيف عن المائة جزء وهو يبحث في اخبار العرب وفنون من الادب: حكى الذهبي قال (حكى من وقف على المجلد الاول بعد المائة من كتاب الهمزة والردف فقال لا اعلم ما كان يعوزه بعد هذا المجلد) وكذلك اختصر رحمه الله ديوان ابي تمام وشرحه وسماه ذكرى حبيب وهذب ديوان البحتري وسماه عبث الوليد واختار ديوان المتنبي وسماه معجز احمد يروي انه لما وصل الى شرح بيت المتنبي

انا الذي نظر الاعمى الى ادبي ... واسمعت كلماتي من به صمم

قال : كانما نظر المتنبي اليَّ بلحظ الغيب : ولابي العلاء رسائل مختلفة في فنون من الادب تمتاز عن كلام غيره من ائمة البلاغة بامتلائها بالمعاني الشريفة والفوائد الغريبة الدالة على اضطلاع الرجل بالمعارف المختلفة التي لا تكاد تجتمع في صدر رجل

وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد

ومن بين تلك الرسائل هذه التي سماها رسالة الغفران كتاب ارسله للاديب علي بن منصور الحلبي المعروف بابن القارح (شيخ اديب كان يرتزق بالتعليم في الشام ومصر وتوفي بالموصل) جوابا عن رسالة جاءت منه على ابي العلاء لم نقف عليها بعد ولكن يظهر ان الرجل اطرى فيها ابا العلاء وتنقص فيها اناسا انحرفوا عن الجادة وامتدح الشرائع وحسَّ على التمسك بها وانبرى على الزنادقة بالنعي والتشنيع فاجابه ابو العلاء بهذه الرسالة

صدر ابو العلاء هذه الرسالة بما تصدر به الكتب عادة من بث الشوق وتباريح الوجد الى المكتوب اليه وافتن ابو العلاء في الحديث عن هذا المعنى ايما افتنان ثم ذكر وصول رسالة ابن القارح اليه وطفق يبالغ في الثناء عليها والاعجاب بما حوته من شرف معنى وبراعة اسلوب الى ان قال (ومثلها شفع ونفع وقرب عند الله ورفع في قدرة ربنا ان يجعل كل حرف منها شبح نور لا يمتزج بمقال الزور ولعله سبحانه قد نصب لسطورها المنجية من اللهب معاريج من الفضة او الذهب تعرج بها الملائكة من الارض الراكدة الى السماء وتكشف سجوف الظلماء بدليل الآية يصعد اليه الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وهذه الكلمة الطيبة كأنها المعنية بقوله الم تركيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل

حين بأذن ربها وقد غرس لمولاى الشيخ الجليل ان شاء الله بذلك الثناء شجر في الجنة لذيذ اجتناء) واخذ يصف هذه الشجر التي غرست لصاحبه في الجنة جزاء ثنائه على الله وكلمه الطيب وبين ان قد اعد له في ظلال تلك الشجر ولدان مخلدون وانه تجرى هناك انهار من ماء يمدها الكوثر وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى الى ان قال (وكأني به : يعنى عليّ بن منصور : واذا استحق تلك الرتبة وقد اصطفى ندامى من ادباء الفردوس) والملائكة يدخلون عليهم من كل باب يحيونهم ويبالغون في الاحتفاء بهم وابو عبيدة يذاكرهم بوقائع العرب ومقاتل الفرسان والاصمعي ينشدهم ما احسن قائله كل الاحسان الى آخر ما سيمر على القارئ هناك مما يصف به ابو العلاء تلك الاحوال ذاهبا في الوصف مذاهب الافتنان من الحور والولدان الى القصور والجنان الى آمال النفس ولذاذة الوجدان منزلا في كلامه ما ورد من اوصاف الجنة والنيران ذاكرا في ثنايا ذلك من مشاهدة علي بن منصور لجماعة الشعراء وائمة اللغة وامراء الكلام ومما دار بينهم من ضروب المحاضرة وانواع المماتنة ومن اقوالهم ومأخذهم ومن احوالهم هناك وما يلاقيه بعضهم من صنوف النعيم وآخرون من ضروب العذاب الاليم ذاكرا من كل ذلك ما يخلب لب القارئ ويأخذ بمجامع قلبه وكل هذا يعلمه القارئ اذا نظر في الرسالة وانما مهدناه طريقا للحقيقة التالية : :

لا جرم ان ابا العلاء يرمي بهذه الرسالة الى اغراض عالية اهمها في رأينا هذا الاسلوب الذي يكاد ينفرد به وان كان احتذى فيه طريقة الرواة واهل الاخبار فهم يجيئون بالكلمة من الغريب والخبر من الانباء ثم يتناولون

بالتفسير كل ما يتصل بما جاءوا به فيخرجون من فن الى فن ويدخلوا معنى في معنى سواه حتى تكون جملة كلامهم درسا جامعا على نحو ما يصنع العلماء الغربيون لعهدنا في الكليات الكبرى وهو ما يسمونه بالدرس الانسكلو بيذي غير ان المعري مع انطواء كلامه على كل ذلك قد توخى باسلوبه الفكاهة الغريبة التي تبعث في النفس هزتها لغير المألوف وذلك ولا شك اجمع لنشاطها واتم لانبساطها حتى تجتمع على تلك الدقائق من اللغة والاشعار وما ادمج فيها من رقائق الاخبار وأرى أن الذين يرمون الرجل بالزندقة لما أخذوه من ظاهر رسالته قد غفلوا عن هذه الحكمة التي هي ركن من اركان الاصلاح الادبي فان ذكاء ذلك الحكيم وعلمه وما يعي قلبه وتستنبطه فطنته كلها وسائل للابداع والتفنن وهذا الغرض منتهى ما يطمح اليه الاديب فهو اذا استطاعه كان تركه له بلاهة وغفلة ولو جاز أن يستدل على الاعتقاد والاخلاق بمثل هذه الاقوال التي يراد بها مثل ما اسلفنا لقيل في بديع الزمان الهمذاني ما لم يقل في احد ولرمي بوضع مقامات الكدية بالخسة والدناءة ونحوهما وهو هو نديم الملوك والامراء وموضع اجلالهم بلا افتراء .

والمطلع على التاريخ يعرف من أحوال تلك العصور الادبية والسياسية ما يهون نسبة هذه الفرية الى المعري لان الحرية لا تنضج بين الناس وعليها ظل الاستبداد من الرؤساء فكم ذهبت كلمة بعالم وكم طمست هبَّة من تلك المَعالم

ولرسالة الغفران في عصرنا مزية توجب الثناء على طابعها الهمام امين افندي هنديه وهي حاجتنا الشديدة في الكتابة بعد ان سقط بها الضعف وفرقت اجزاءها الركاكة الى اسلوب خيالي يتسع لما يحمّل من المعاني المختلفة

متابعة لغرض الكتاب من التأثير فالرسالة من هذه الجهة نهاية المطمح وغاية المطمع لأن ما فيها من توثيق السرد واطراد السلاسة والتفنن مع السلامة وهذه الالفاظ التي تنزل من معانيها منزلة القطر من الزهر كل ذلك في جملته هو الاسلوب الذي تلقاه أسرع ما تكون الى تدبره اسراع ما يكون الى الانطباع في نفسك هذا الى الشذور والفرائد التي تتلقاك في أثنائه وتعترضك في معاريضه حتى تصيب منها في اللحظة الواحدة ما تكد لتحصيله الاذهان في الزمن الطويل

وجملة القول ان ابا العلاء بهذا الصنع العجيب الذي لم يسبق اليه والذي يتناقس في وضع مثله فلاسفة أوروبا اليوم يستأهل به ان يكون معجز تلك الايام ونادرة الفلك وبكر عطارد

سمع بهذه الرسالة الغريبة جناب الهمام امين افندي هنديه فحبب اليه ان يحيي هذا الأثر الجليل بالطبع ويهديه الى الناطقين بالضاد فاستعارها من مكتبة حضرة العالم الكبير والاديب الضليع صديقنا صاحب العزة احمد بك تيمور : ولتوفير الفائدة عمد جناب امين افندى الى نابغة هذا العصر وراعي تلعات النظم والنثر استاذنا وصديقنا المرحوم الشيخ ابراهيم اليازجي اللغوي الشهير وطلب اليه ان يتولى تصحيح الكتاب اثناء طبعه فاجابه الى ملتمسه على تزاحم اشغاله وكثرة اعماله

وما كاد يتم تصحيح وطبع الملزمة السابعة عشرة حتى استأثر الله بالاستاذ واختطفته يد المنية الى رحمته تعالى ومن ثم فقد كلف حضرة امين افندي احد كبار العلماء بتصحيح الباقي حتى انتهت الرسالة والحمد لله

وبعد فاننا ننصح لعشاق اللغة ورواد البلاغة ان يعنوا باقتناء هذه الرسالة ويتوفروا على مطالعتها بدون ان يعروهم ضجر اذا تعثروا في طريقهم بكلمة غريبة ولفظة غير مأنوس حتى تنطبع فيهم ملكة البيان وتقدى فيهم قوة الخيال ويحتذوا على غرارها فيما بعد ان شاء الله

عبد الرحمن

البرقوقي

